الجامع في الهدايات القرآنية

الحزب الأول من سورة البقرة

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية غيرها من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢].

أولا: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾

***هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور اختلف العلماء فيها، وفي الحكمة منها على أقوال يمكن حصرها في قولين :

القول الأول: أن لها معنًى وفسروا هذا المعنى؛ لكنهم اختلفوا في تعيين معناها: هل هو اسم لله عزّ وجلّ؛ أو اسم للسورة؛ أو أنه إشارة إلى مدة هذه الأمة؛ أو نحو ذلك؟

القول الثاني: أن لها معنًى الله أعلم به، وهي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها؛ لأنهم يقولون: إن القرآن لا يمكن أن ينزل إلا بمعنى.

قال ابن كثير: « ولا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدى؛ ومن قال من الجهلة: إنَّه في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية، فقد أخطأ خطأً كبيرًا، فتعين أن لها معنى في نفس الأمر، فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين، وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه إتباعه، وإلا فالأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة لا نعلمها.

١- يفيد الابتداء بالحروف المقطعة في هذه السورة وفي غيرها استنزالا لطائر عناد المشركين الذين يشككون في كتاب الله تعالى بأن يأتوا بهذا الكتاب الذي هو مؤلف من الحروف التي يتكلمون بها.

٢- يفيد ذكر الحروف المقطعة في القرآن أن الصوت الذي يصدر عن بني آدم والمسمى بالحروف يؤجر العبد إن تلفظ بهذه الحروف وقرأها، قال ﷺ: « لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

٣- تفيد دلالة على إعجاز القرآن الكريم، وأنه من لدن الخالق سبحانه، فهو متحدى به من بدايته، بخلاف جميع كتب الخلق التي يعتريها النقص، ويعتذر مؤلفوها عن الخلل والزلل، ويتركون المجال للتوجيه والتصحيح والتصويب.

٤- تفيد الحروف المقطعة التحدي والإعجاز، وتنبيه ولفت اهتمام المشركين إلى آيات هذا الكتاب المنظومة من حروفهم التي يعرفونها، ولهذا قال بعدها: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فكيف يرتابون فيه، وينكرون أنه كلام الله، وهم أدرى الناس بهذه اللغة وبيانها، ويعلمون أنه لا نظير له في مقالاتهم.

٥- يفيد عدم إنكار المشركين على الحروف المقطعة مع حاجتهم الشديدة لأي علة يطعنون من خلالها في ذلك الكتاب دليلًا على أن المراد منها كان معلومًا لديهم، وأن المنطوق به في تهجِّيها هو أسماء تلك الحرف.

٦- تفيد أن هذا الكتاب من الله تبارك وتعالى وأن ألفاظه منضبطة بحسب تلقيه عن أمين الوحي...حيث إن هذه الحروف تشبه في صورتها فاتحة سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ..﴾ إلا أن هذه تلفظ حروفًا مقطعة، وتلك تلفظ حرف استفهام... وفي ذلك رد على من قال: إن القرآن من عند محمد ﷺ، كما تفيد أن القرآن يؤخذ عن الضابط المتقن.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

٧- تفيد بيان علوّ منزلة القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ فالإشارة بالبعد تفيد علوّ مرتبته ومنزلته في الهداية والشرف؛ فأنزل بعد المنزلة بعد المكانة، وكأن ما عداه من الكتب في مقابله ناقصة، كقولك للرجل العظيم الشأن الذي هو حاضرًا بين يديك: ذلك الرجل، فكانت الإشارة بصيغة البعيد؛ لأنه سامي المنزلة أينما توجهت إليه، فإن نظرت إليه ناحية تراكيبه فهو معجز للبلغاء، وإن نظرت إليه من ناحية معانيه فهو فوق مدارك الحكماء، وإن نظرت إليه من ناحية قصصه وتاريخه فهو أصدق محدث عن الماضين، وأدق محدد لتاريخ السابقين.

٨- تفيد بيان علو منزلة أهل القرآن؛ لأنه إذا كان القرآن عالي المكانة والمنزلة، فلابد أن يعود ذلك على المتمسك به بالعلوّ والرفعة؛ وكذلك ما وُصِف به القرآن من الكرم، والمدح، والعظمة فهو وصف أيضًا لمن تمسك به.

٩- تفيد أن الكتاب من أسماء القرآن الكريم؛ ولذا إذا أطلق الكتاب فلا ينبغي أن يكون في العقل غير كتاب الله تعالى، وأهل اللغة إذا اطلقوا الكتاب يريدون به كتاب سيبويه، وأهل القرآن إذا أطلق الكتاب يريدون به القرآن الكريم لأنه هو الحاضر في عقولهم.

١٠- يفيد وصفه بالكتاب أهمية كتابة القرآن وتدونيه وجمعه، وأن من حقه أن يجمع في السطور كما يجمع في الصدور؛ لأن الله تعالى سماه كتابًا قبل أن يجمع في كتاب.

١١- يفيد التعبير بالكتاب دون القرآن إشارة إلى حفظ الله له في الصدور وفي السطور.

١٢- تفيد رفعة القرآن من جهة أنه قرآن مكتوب معتنًا به؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ وهو مكتوب في ثلاثة مواضع: اللوح المحفوظ، والصحف التي بأيدي الملائكة، والمصاحف التي بأيدي الناس.

١٣- تفيد أنه يجوز للعبد تعبير وتوصيف الشيء بما سيكون عليه تفاؤلًا وحسن ظن بالله، فآيات القرآن الكريم عند نزولها وقبل اكتمالها لم تكن كتابًا بالشكل المعهود الآن ومع ذلك وصفت بالكتاب.

١٤- تفيد "لا" في الآية النفي، وجاءت بعدها كلمة "ريب" نكرة فدلَّ ذلك على نفي كل فرد من أفراد الريب عن القرآن؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم. ولا هذه هي النافية للجنس، نفت جنس مظنة الريب عن القرآن. وجاء في القرآن نفي الريب بهذا الأسلوب القاطع الدال على اليقين والباعث على الطمأنينة في أمرين: الاول: القرآن، والثاني: القيامة. لوجود من يشكك فيهما من الكفار فجاء هذا التأكيد والقطع بصحتهما ليمتلئ القلب يقينًا بهما.

١٥-يفيد نفي الريب اشتماله على علم اليقين المزيل للشك والريب؛ لأن النفي المقصود به المدح لابد أن يكون متضمنًا لضده، وهو الكمال؛ لأن النفي عدم، والعدم المحض لا مدح فيه، فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

١٦-يفيد نفي الريب عنه مدحًا عظيما لهذا الكتاب وترغيبًا كبيرا للإقبال عليه، فهو المشتمل على الحق من أوله إلى آخره، وعلى الصدق كذلك من أوله إلى آخره، وعلى العدل من أوله إلى آخره، كيف لا وهو كلام الله جل وعلا الكامل في ذاته وصفاته.

١٧-يفيد نفي الريب الذي هو مجرد الاضطراب في الشيء، وهو دون الشك بكثير، دقة الكلمات القرآنية في بيان المعاني المرادة، لأن نفي الأدنى يستلزم نفي الأعلى، وهي تفيد في نفس الوقت كمال القرآن في أعلى مستوياته حيث لا يوجد فيه ما يوجب الريب دعك من الشك.

١٨-يفيد أن نفي الريب لا يدل ذلك على نفي الارتياب؛ لأنه قد وقع ارتياب من ناس كثيرين كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[البقرة: ٢٣]؛ وذلك لاختلاف الحال والمحل، فالحال هناك المخاطبون، والمحل الكتاب، فلا تنافي بين كونهم في ريب من القرآن، وكون الريب منفيًا عن القرآن لوضوح آياته وإحكام معانيه وصدق أخباره، فالمنفي كونه مظنة للريب، لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع له فيه ريب.

١٩-تفيد أن هذا القرآن نزل من عند الله يقينًا لا شك فيه ولا ارتياب، مبرأ من بصمات العيب، فهو الحق المنزل من عند الحق تعالى، وهو صفة من صفاته، غير مخلوق ولا محدث؛ لقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٢٠-يفيد أنه ينبغي للعبد أن لا يلتفت للأقوال والشبه المغرضة والتافهة التي تقال وتحاك عن القرآن الكريم وما تعلق به في ديننا الإسلامي الحنيف من قيم وأحكام، فنفي الله الريب عن كتابه العظيم بالرغم من محاولة أهل الريب في إيجاد بعض الشبه التي قد تؤدي الريب في قلوب ضعاف الإيمان، إشارة واضحة إلى أن تلك الشبه متهافتة ولا تستحق أن تذكر أو تروى، وفي ذكر نفي

الريب في فاتحة القران الكريم اشارة لطيفة للمربين والمعلمين أن يزرعوا ويغرسوا في قلوب المتعلمين نفي الريب عن القرآن الكريم قبل إثارة بعض الشبه المغرضة عليهم.

٢١-يفيد أن هذا الكتاب كما أنه لا ريب فيه أنه منزل من عند الله وأنه صدق وحق وعدل، فكذلك لا ريب بأن فيه هداية التوفيق للمؤمنين وهداية الإرشاد للناس أجمعين.

٢٢-يفيد ذكر الهداية في سياق نفي الريب عن كتاب الله تعالى إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم أن كل الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم لإلقاء الريب في قلوب ضعاف الإيمان أن في القرآن الكريم هداية للمتقين للرد على تلك الشبه المغرضة وإثبات نفي الريب عنه، وهذا مما لا يقوى عليه إلا أصحاب القلوب الطاهرة التقية النقية، وفيما ذكر إجابة لمن يتساءل عن حكمة ذكر المتقين بالرغم من أن القرآن الكريم هدى للعالمين.

٢٣-تفيد الآية أن من وفقه الله لا يشك في القرآن، ومن خذله الله ارتاب فيه كما قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ...﴾.

٢٤-تفيد أن القرآن نزل يقينًا من عند الله فهو حقيقة لا مرية فيها، فهو شاهد وأمين وحاكم وناسخ لما قبله من الكتب.

٢٥-تفيد الآية أن النبي ﷺ لم يختلق القرآن من تلقاء نفسه.

٢٦-تفيد تعليم مبدأ الجدال بالتي هي أحسن، وذكر الإجمال المفيد والمختصر قبل الدخول في التفاصيل والأخذ والرد مع الخصم، فإن الله ﷻ في فاتحة هذه السورة لم يوجه كلامه إلى هؤلاء الكفار المرتابين في شأن القرآن الكريم، بل وجه كلامه لعموم الناس مؤمنهم وكافرهم فقال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ثم بعد ذكر هذا الإجمال التفت فيما بعد للكفار المرتابين فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.

٢٧-تفيد كلمة [فيه] أن الهداية للمتقين هداية زيادة وتثبيت، لأن الهداية سابقة للتقوى، فالتقوى لا تحصل إلا للمهتدين، بخلاف قوله تعالى ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ فهي هنا عامة.

٢٨-تفيد استجابة الباري سبحانه وتعالى لطلب عباد الله في سورة الفاتحة بقولهم: ﴿ٱهۡدِنَا﴾، حيث دلَّهم في هذه الآية إلى ما فيه هداهم فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

٢٩-تفيد أن الهداية التي لا تستمد من كتاب الله تعالى فهي ليست بشيء.

٣٠-تفيد أن من أراد معرفة طريق الهداية وأسبابها فعليه بكتاب الله.

٣١-تفيد إذا كان كمال الهدايات في كتاب الله للمتقين فمن دونهم له من الهدى نصيب بقدر اجتهادهم في تلقي الهداية منه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ...﴾.

٣٢-يفيد الترغيب في طلب الهداية من الله، وكل مسلم في حاجة له، حتى المهتدين ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾فطالب للهداية ابتداء، وطالب لزيادة الهدى، وطالب للثبات عليه.

٣٣-تفيد أن هداية القرآن عامة لجميع مصالح الدارين؛ لأنه قال ﴿هُدٗى﴾ وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشيء الفلاني، لإرادة العموم، وأنه هدى لجميع مصالح الدارين، فالتنكير يدل على تنوعه وتفاوته في مختلف المجالات.

٣٤-تفيد تأكيد أن المتقين هم أكثر الناس استفادة من كتاب الله تعالى.

٣٥-تفيد أن من أراد أن يهتدي بالقرآن عليه أن يتصف بالتقوى، وشرف الله التقوى وأهلها بأن مهد لها في هذه الآية، ثم وفي الآيات بعدها وصف تفصيلي وبياني لهم.

٣٦-تفيد أن المهتدين بهذا القرآن هم المتقون؛ فكل ما كان القلب أتقى لله كان أقوى اهتداءً بالقرآن الكريم؛ لأنه عُلِّق الهدى بوصف؛ والحكم إذا عُلق بوصف كانت قوة الحكم بحسب ذلك الوصف المعلَّق عليه؛ لأن الوصف عبارة عن علة؛ وكلما قويت العلة قوي المعلول والله اعلم.

٣٧-تفيد أن التقوى من أسباب الاهتداء بالقرآن، فهي التي تؤهل القلب للاستجابة والانتفاع بهذا الكتاب؛ فمن أراد الهدى في القرآن فليأتي إليه بقلب سليم.. بقلب يخشى ويتقي، ويحذر

أن يكون على ضلالة، أو أن تستهويه ضلالة؛ فعندئذ سيجد من أسراره وأنواره ما لا تحصره العبارات من الهدى والخير.

٣٨-تفيد بيان شرف التقوى والمتقين فقوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾خص الله تعالى المتقين بهدايته، وإن كان هدى للخلق أجمعين تشريفًا لهم، لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه؛ وخصهم به إجلالًا وكرامة لهم وبيانًا لفضلهم، وعن ابن عباس قال الرسول ﷺ: « من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده»، قال العلماء: لو لم يكن للمتقي فضيلة إلا ما في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ كفاه، لأنه تعالى بين أن القرآن هدى للناس في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ ثم قال ههنا في القرآن: إنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فهذا يدل على أن المتقين هم كل الناس، فمن لا يكون متقيًا كأنه ليس بإنسان، ولأن الاهتداء بالقرآن يشمل الهداية العلمية، والهداية العملية؛ أي هداية الإرشاد، والتوفيق.. وبهما تحصل الهداية التامة، فغير المتقين وإن حصل لهم هداية بيان فلا فائدة منها إلا إذا كملت بهداية التوفيق.

٣٩-تفيد تخصيص المتقين بالذكر لانتفاعهم بالبيان والعمل بالقرآن، حيث نزلوا منزلة التقوى دون غيرهم.

٤٠-يفيد التخصيص في قوله تعالى ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾أنه كلما زاد نصيب المرء من الانتفاع بالقرآن والعمل به والتخلق بأخلاقه عظم حظه من الهداية.

٤١-تفيد أن المؤمن إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملا كان ذلك سببا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل؛ لأن الهداية لا نهاية لها، ولو بلغ العبد فيها ما بلغ، وكلما اتقى ربه ارتقى إلى هداية أخرى، فهو في مزيد من الهداية مادام في مزيد من التقوى.

٤٢-تفيد أنه كلما فوت العبد حظًا من التقوى فاته حظ من الهداية، وكلما اتقى زاد هداه، وكلما اهتدى زادت تقواه.

٤٣-تفيد دلالة على أن القرآن كتاب هداية، وأصل تقوى وينبوع سعادة، وأن الاهتداء به يشمل الهداية العلمية والعملية.

٤٤-تفيد أن تحقق التقوى يكون بالتحلية في الإقبال والصدق والإيمان، والتخلية في عدم الإعراض والشك وتجريد القلب من أمراض النفاق والكفر كمل له الاهتداء بالقرآن.

٤٥-تفيد أن المتأمل في هذه السورة يجد ذكر التقوى بصيغها ودلالاتها أكثر من أربعين مرة حتى قال بعض أهل العلم: إنها سورة التقوى.

٤٦-يفيد وصف ﴿هُدًى﴾بصيغة المصدر، دون اسم الفاعل "هاد"؛ دلالة على أن الثناء يكون خالصا للمؤمنين المنتفعين بهدي القرآن، وهذا في قراءة الوقف على ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وفي قراءة ﴿فِيهِ هُدًى﴾ يفيد الثناء على الكتاب وكذلك الثناء على المستمسك به الذي يطلب الهداية فيه.

٤٧-تفيد أنه كلما كنت أكثر تقوى لله فتح الله عليك في علم التأويل، ويسر الله لك الفهم ووفقك للعمل مع الفهم، وتلك منة عظيمة أن يجمع للمتقين ما بين البيان والتوفيق للفهم والعمل.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين: " فلو طهرت منا القلوب، وصفت الأذهان وزكت النفوس، وخلصت الأعمال، وتجردت الهمم للتلقي عن الله ورسوله ; لشاهدنا من معاني كلام الله وأسراره وحكمه ما تضمحل عنده العلوم، وتتلاشى عنده معارف الخلق، وبهذا تعرف قدر علوم الصحابة ومعارفهم، وأن التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل، والله أعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يختص برحمته ".

٤٨-تفيد أن كثرة الشبه والتعارض والشك إنما تزداد في قلب العبد وفكره مع قلة التقوى.

٤٩-تفيد الآية وصف القرآن الكريم بالكمالات التالية:

- كمال المنزلة بين الكتب ﴿ذَٰلِكَ﴾، كمال المضمون ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾، كمال السلامة من الخلل ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. كمال المقصد ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، فمن حقق كمال الإيمان به والعمل حقق كمال الاهتداء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٥٠- تفيد أن السورة الكريمة افتتحت بالثناء على القرآن الكريم وبيان كماله لترسيخ تعظيمه والثقة به لكونه مصدر التشريع الذي تضمنته السورة، ومنه يؤخذ أهمية افتتاحية الكلام الذي يتضمن أمرا عظيما بما يرسخ الأمر في النفوس.

٥١-تفيد مدحا وثناء منقطع النظير للقرآن الكريم من خلال خمسة أمور:

الأمر الأول: الإشارة إليه بإشارة البعيد الذي يدل على علو منزلته عند الله وعند المؤمنين.

والثاني والثالث: وصفه بالكتاب الذي يدل على تفرده بهذا الوصف عند الإطلاق، فلا يثبت معه في الذهن كتاب، وأنه مكتوب بما يدل على العناية به.

والرابع: نفي الريب عنه الذي يدل على نفي النقص والخلل وإثبات الكمال له من كل وجه بما لا يوجد في غيره.

والخامس: بيان عظمة نفعه حيث به تحقق الهداية ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وفي ظني أن هذه أجمع آية في بيان فضل ومنزلة القرآن الكريم الذي جاء لهداية الإنسانية.

٥٢-يفيد افتتاح الله كتابه بالثناء على نفسه في سورة الفاتحة، ثم بالثناء على كتابه في سورة البقرة، ثم بالثناء على المتقين وأهل التقوى، دلالة على فضل افتتاح المجالس بالثناء على الله وعلى كتابه، وعلى عباده المتقين.

٥٣-تفيد أنه لا ينبغي أن يتصدر مجالس المؤمنين وأحاديثهم ذكر الكفار والردود على شبههم، بل ينبغي أن يقدم ويفتتح بالثناء على الله وعلى كتابه وعلى عباده المتقين وذكر صفاتهم وأحوالهم، ففي ذلك بركة لأحاديثهم، فإن الله عز وجل بعد أن نفى الريب عن كتابه أرجأ الالتفات إلى الكفار المرتابين في شأن القرآن الكريم والرد عليهم بعد ذلك بآيات كثيرة وذلك تقليلا لشأنهم وتحقيرا لريبهم، وتقديما للأهم على المهم.

٥٤-تفيد أن على المربي والمعلم أن يملأ القلب الخالي لأول مرة بأخبار وصفات عباد الله المتقين، قبل أن ينتقل إلى الكفار والتعرض لشبههم والردود عليها، فإن ذكر ذلك في أول الأمر يعدي القلب الخالي كما يعدي الصحيح الأجرب. وقد صدق الشاعر حين قال:

أَتاني هَواها قَبلَ أَن أَعرِفَ الهَوى فَصادَفَ قَلبًا خالِيًا فَتَمَكَّنا

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣].

أولا: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾

٥٥-تفيد الآية أن التفصيل بعد الإجمال فيه تشويف وتشويق للنفس، فبعد أن ذكر الله المتقين إجمالا ذكر بيان صفاتهم.

٥٦-تفيد أنه لما كانت الآية السابقة في كمالات القرآن والمهتدين به، جاءت هذه الآية في كمالات أعمالهم.

٥٧-يفيد ذكر الإيمان بالغيب في أول صفة من صفات المتقين في كتاب الله تعالى أهمية تجهيز نفوس العباد لأن يكونوا على استعداد لقبول هذا الكتاب المشتمل على الأمور الغيبية التي لا تدرك بالحواس، وألا يصيبهم الارتياب في ذلك.

٥٨-يفيد ذكر الإيمان بالغيب بعد ذكر نفي الريب عن كتاب الله تعالى إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم أن أعظم سبب للريب والارتياب في كتاب الله تعالى هو عدم الإيمان بالغيب، ولهذا فإننا لا نجد أحدا ارتاب في كتاب الله تعالى إلا وجدنا نهاية أمره هو عدم إيمانه بالغيب، ولهذا فإن في ذكر الباري سبحانه وتعالى الإيمان بالغيب هو ذكر للنجاة والسلامة في هذا الباب.

٥٩-تفيد أن الإيمان بالغيب أعلى درجة من الإيمان بالشهادة، ولذلك أغنى ذكره هنا عن ذكر قسيمه.

٦٠-تفيد أن الإيمان بالغيب من العموم المراد به الخصوص، إذ ليس كل ما غاب عنهم مأمورون بالإيمان به، وإنما هو من الإيمان بالغيب الذي أمر الله الإيمان به.

٦١-تفيد كلمة ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾أن المؤمن يؤمن نفسه من عذاب الله المترتب عليه الدخول إلى الجنة المشار إلى أهلها بقوله تعالى:﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

٦٢-تفيد أن الصفة الأولى من أوصاف المتقين [الإيمان بالغيب]؛ لأن الإيمان بالمشاهَد المحسوس ليس بإيمان؛ لأن المحسوس لا يمكن إنكاره، ويستوي فيه المسلم والكافر.. فالإيمان بالغيب هو النقطة الأولى للتحول والانطلاق في مسيرة العبودية لله تعالى، وهو الذي يجعل تصور الحياة مختلفًا تماما في قلب وعقل الإنسان، لأنه سيدرك حقيقة سعة الوجود الذي يعيش فيه فوق ما أدركته حواسه أو أدراكه بواسطة الأجهزة التي هي امتداد للحواس، وكلما تطورت هذه الأجهزة علمنا سعة هذا الغيب، كما يجعل في القلب تحولا آخر في إدراكه لما فوق هذا الكون من إله عظيم خالق وقادر ومدبر الذي لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول سبحانه جل وعلا.

٦٣-تفيد رجاحة عقول المؤمنين من خلال وصفهم بالإيمان بالغيب، لأنه متى سلم العقل البشري بالبديهية العقلية الأولى، وهي أن المحدود لا يدرك المطلق، لزمه -احتراما لمنطقه ذاته- أن يسلم بأن إدراكه للمطلق مستحيل؛ وأن عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون؛ وأن عليه أن يكل الغيب إلى طاقة أخرى غير طاقة العقل؛ وأن يتلقى العلم في شأنه من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن، والغيب والشهادة.. وهذا الاحترام لمنطق العقل في هذا الشأن هو الذي يتحلى به المؤمنون، وهو الصفة الأولى من صفات المتقين، وهو يعني التصديق التام بما أخبرت به الرسل الذين قامت الأدلة على صدق نبوتهم ورسالتهم، سواء شاهدنا ذلك أو لم نشاهده، عقلنا ذلك أو لم نعقله. [هذا المعنى مأخوذ من الظلال بتصرف في العبارة].

٦٤- تفيد أن من علامات التقوى: خشية الله بالغيب، وطاعته في السر.. وهذا هو المحك والاختبار الحقيقي، فإن غياب الإنسان عن أنظار الناس قد يغريه بالمعصية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك:١٢].

٦٥- تفيد أن الايمان بالغيب يعين على الصبر في تحمل التكاليف وأدائها على الوجه الأكمل وعلى انشراح الصدر مهما وجد من صعوبات وابتلاءات لذا فالمؤمن دائما ثابت.

٦٦-تفيد أن الإيمان بالغيب يستوجب المراقبة في النيات والأقوال والأفعال صلاة كانت أو صدقة.

٦٧-تفيد أن عمق الإيمان بالغيب هو الذي ميز الصديق رضي الله عنه باليقين عندما أنكر كفار قريش بتفكيرهم الحسي المحدود مسألة الإسراء والمعراج. وميزه أيضا على كافة الصحابة بالثبات عند موت النبي ﷺ.

٦٨-تفيد أن في استحضار الإيمانيات الغيبية علاجا عجيبا ومدهشا لكل من تسول له نفسه التكاسل عن إقامة الصلوات والإنفاق في الزكوات والصدقات.

٦٩-تفيد أن الايمان بالغيب باعث على فعل الطاعات.

٧٠-يفيد عطف العبادات على الإيمان بالغيب دلالة على وجوب النية في العبادات فلا تفعل على سبيل العادة مثلًا.

٧١-يفيد تقديم الإيمان بالغيب على الصلاة والانفاق أن العبادة لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله تعالى ممزوجة بحب الله وطلبًا لرضوانه ورغبة في جنته وخوفًا من عقابه، ولانعدام هذا الإيمان من قلوب المنافقين – على الرغم من نطقهم للشهادة – جاءت عباداتهم جوفاء لا قيمة لها ولا ثمرة ثقيلة على أنفسهم فلم يقبلها الله منهم؛ لأنهم يفعلونها وهم كسالى كما في قيامهم للصلاة وكارهون كما في النفقات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

٧٢- تفيد أن الإيمان بالغيب أمان وضمان من الضلال والحيرة والتيه والريب والقلق، وهو أمان وضمان من العذاب النفسي الذي يهد قوى النفس ويحبط سعيها، وصدق الله حين قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨].

٧٣-تفيد أن الله ﷻ أعطى العبد طاقة وقوة محدودة، وادراكا محدودا، فينبغي له أن يعرف حدود طاقته وادراكه، ويكل ما وراء ذلك لخالقه بالإيمان به، لأنه حتى وهو في عالم الشهادة والإدراك لا يمكن أن يشاهد ويدرك كل محسوس في العالم كعالم الجن والملائكة، فما بالك بغيرهما، مما يدل على وجود غطاء يمنعه من الإدراك، وأن هذا الغطاء سوف يكشفه الله عنه يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾[ق: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

٧٤-يفيد ذكر إقامة الصلاة بعد الإيمان بالغيب إشارة لطيفة وهداية خفية إلى أن الخشوع في الصلاة يكون باستحضار الإيمانيات الغيبية، وقد سئل الإمام حاتم الأصم كيف أنت إذا دخلت الصلاة يا حاتم؟ فقال: إذا دخلت الصلاة جعلت الكعبة أمامي، والموت ورائي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، والله مطلع علي، ثم أتم ركوعها وسجودها، فإذا سلمت لا أدري أقبلها الله أم ردها علي. ما أروع أن نستحضر هذه الهداية في جميع صلواتنا، نسأل الله أن لا يحرمنا الخشوع في الصلاة.

٧٥-تفيد أن من أوصاف المتقين إقامة الصلاة؛ وهو عام لفرضها، ونفلها.. وإقامتها أن يأتي بها مستقيمة على الوجه المطلوب من غير عوج ولا نقص فيها بإقامة ظاهرها بإتمام أركانها وشروطها وواجباتها وسننها وآدابها والمداومة عليها، وإقامة باطنها بإقامة روحها بالخشوع، وإقامة بصيرته بالتدبر لما يقوله ويفعله منها. وهذا هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويترتب عليها الثواب في الآخرة لأنه ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل.

٧٦-تفيد بيان منزلة الصلاة في الإسلام؛ وهي بعد الإيمان بالغيب، وهي التي يتجدد من خلالها معان الإيمان بالغيب من حيث الصلة بالله أو رجاء ثوابه في الآخرة ونحو ذلك.

٧٧-يفيد ذكر إقامة الصلاة لتضمنها لثلاثة معان عظيمة: وهي: أولًا: المحافظة. ثانيًا: المداومة. ثالثًا: المراقبة أو المشاهدة "الخشوع".

٧٨-تفيد بيان ما يحبه الله وهو إقامة الصلاة، وليس مجرد إيقاعها ولذا وقع المدح في كتاب لله للمقيمين والمحافظين والدائمين عليها، فإن الإقامة التقويم من الاعوجاج، أو الإدامة، أو التشمير والنهوض. ولم ترد المصلين مجردة في القرآن بدون ما ذكرنا من الصفات إلا في صفات المنافقين، وفي ذلك تنبيه على أن المصلّين كثير، والمقيمين قليل؛ ولذا لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون الصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

٧٩-تفيد أن [من] دالة على التبعيض، وفي ذلك تنبيه وإشارة إلى أنه لم يرد منهم إلا جزءا يسيرا من أموالهم، غير ضار لهم ولا مثقل،، وللإشعار بأنهم ينفقون بعض أموالهم مبتعدين عن الإسراف والتبذير حتى لا يتركوا ورثتهم عالة يتكففون الناس.

٨٠-تفيد أن الإنفاق في – غير الزكاة– لا يقدر بشيء معين؛ لإطلاق الآية، سواء قلنا: إن [مِن] للتبعيض؛ أو للبيان... ويتفرع على هذا جواز إنفاق جميع المال في طرق الخير، كما فعل أبو بكر رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله؛ لكن هذا مشروط بما إذا لم يترتب عليه ترك واجب من الإنفاق على الأهل، ونحوهم؛ فإن ترتب عليه ذلك فالواجب مقدم على التطوع.

٨١-تفيد ذكر ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم ليست حاصلة بقوتكم وملككم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم بها عليكم، ولهذا نسب الرزق إليه حين أمر بالإنفاق، أو أخبر به، ولم ينسب ذلك إلى كسب العبد لينبه العبد أن الذي يخرجه ويعطيه هو بعض ما أخرجه الله له ونحله إياه.. فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، وواسوا إخوانكم المعدمين، ومن هنا فإن المنفق ينبغي أن يستشعر هذا المعنى الإيماني وهو ينفق، وليكون شاكرًا لله من خلال إنفاقه، وفساد الإنفاق بالمن الذي يغيب فيه المعنى الأول وبالرياء الذي يغيب فيه المعنى الثاني، والله أعلم.

٨٢-تفيد أن صدقة الغاصب باطلة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾، أي مما ملكناهم وأعطيناهم، والغاصب لا يملك المال الذي تصدق به، فلا تقبل صدقته.

٨٣-يفيد ذكر ﴿يُنفِقُونَ﴾ بصيغة المضارع دون [أنفقوا]، ليشعر بأن الإنفاق منهم يتجدد بين وقت وآخر؛ لأن الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرارية، والأمدح في صفة المتقين تجدد الأوصاف؛ لأنه سبب نجاة ونفع وزكاة للعبد في الدارين، وينتفع به إخوانهم، فمواظبتهم على إنفاق أموالهم بين الحين والحين كفيل بتوصيلهم إلى زمرة المهتدين المفلحين، وقد عنى القرآن الكريم عناية فائقة بالحض على الإنفاق في وجوه الخير، ومدح الذين يفعلون ذلك مدحًا عظيمًا في عشرات الآيات، وذلك لأن الأمة التي يكثر فيها المنفقون لأموالهم في وجوه الخير، لابد أن تعز كلمتها، وتسلم من كوارث شتى، كالجهل، والفقر، والمرض.

٨٤-تفيد ذم البخل؛ ووجهه أن الله مدح المنفقين؛ فإذا لم يكن إنفاق فلا مدح؛ والبخل خلق ذميم حذر الله سبحانه وتعالى منه في عدة آيات.

٨٥-تفيد أنه لا رازق سواه كما قال الحق جل وعلا: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[فاطر:٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، وهذا قاطع، فالله تعالى رازق حقيقة وابن آدم رازق تجوزًا، ومن هنا تنسب كل نعمة إلى الله؛ ولذا جاءت كلمة الرزق فيما يتعلق بالله، والإنفاق من ذلك الرزق فيما يتعلق بالعبد.

٨٦-تفيد أن تقديم المنفق منه على الفعل اعتناءً بما خول الله به العبد، وإشعارًا أن المخرج هو بعض ما أعطى العبد.

٨٧-يفيد قوله ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ اتساع مفهوم الرزق، وأن الله ﷻ يعم برزقه الخلق، لكن يتفاوت البشر في النصيب والمقدار والنوع الذي يقسمه الله تعالى لكل أحد.

٨٨-تفيد الحث على تعليم العلم؛ لقول بعض المتقدمين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾أي: مما علمناهم يعلِّمون، حكاه أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري، وهو معنى صحيح، لأن ما أطلق في القرآن يحمل على عمومه.

٨٩-يفيد التعبير بصيغة الماضي في قوله: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾دون [نرزقهم] إشارة لطيفة إلى أن أرزاق العباد كلها بيد الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى قد أعطى العباد أرزاقهم منذ أن خلقهم في بطون أمهاتهم كما ثبت في الأحاديث، وفيه إشارة واضحة إلى أن الواجب إنفاقه وزكاته هو ما رزق لا ما سيرزق أو يتوقع أن يرزق.

٩٠-يفيد ربط الإنفاق بالإيمان، دلالة على مكانة الإنفاق، وهو أمر يتأكد في قوله ﷺ: «والصدقة برهان». أي: برهان على إيمان صاحبها.

٩١-تفيد أنه ينبغي للعبد عند الإنفاق مما رزقه الله أن يدفعها عن طيب نفس فلا يمن فيها ولا يستكبر.

٩٢-تفيد عموم الإنفاق في الوجوه الشرعية كالإنفاق الواجب كالزكاة أو التطوع كالصدقات أو الإنفاق في سبل الخير المتنوعة.

٩٣-تفيد صيغة الفعل المضارع ﴿يُنفِقُونَ﴾تجدد الإنفاق وحدوثه في كل مرة، وفي ذلك إشارة أن هذا الإنفاق أصبح دأبًا وعادة مستمرة لهم. وفي الحديث: «خير العمل، أدومه وإن قل».

٩٤-تفيد الترغيب في النفقة الواجبة والمستحبة.

٩٥-تفيد إعلام الله للعباد أن الرزق رزقه، وأنه مكتسب بفضله، وفي ذلك نوع تحفيز للعباد.

٩٦-تفيد أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن الله ﷻ امتدح عباده المتقين بأنهم ينفقون لا أنهم يستقبلون نفقات الناس، وفي هذا إشارة إلى أن على المتقين أن يسعوا لكسب الرزق لإنفاقه على المحتاجين، لا كما يفعله الدراويش وبعض المتصوفة، هدانا الله وإياهم بهدايات القرآن الكريم.

فوائد عامة في الآية

٩٧-تفيد الآية أن التقوى مفهوم عام في الإسلام متعلق بأركان الإيمان والإسلام، وليس مخصوصة ببعض الأمور الشرعية كما يذكره بعض العلماء.

٩٨-تفيد الآية أن عباد الله المتقين يجمعون في تقواهم بين الأمور الباطنة والظاهرة، وبين عمل القلب والجوارح.

١- يفيد سياق الآية تحفيزًا وتنشيطًا للنفس على العمل بصفات المتقين بتنويع الأعمال من قلبية كالإيمان بالغيب، وعملية كالصلاة، ومالية كالإنفاق.

٩٩-تفيد أن الايمان يجب أن يكون مقرونًا بالعمل الصالح.. لا كما تدعي بعض الفرق أن الايمان قول بلا عمل.

١٠٠- تفيد ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الصالح، فلا يفيد العمل الصالح بلا إيمان، ولا إيمان بلا التزام بتكاليف الأعمال الصالحة.

١٠١- تفيد أن التقوى تصبغ الإنسان بشخصية متسقة متناسقة داخليًا وخارجيًا، بصورة فردية ومجتمعية، فالمتقون لهم بناء نفسي داخلي قوي يتمثل في الإيمان بالغيب الذي يدل على أن تفكيرهم يتجاوز المحسوسات إلى الغيبيات، ولهم سلوك شخصي منتظم في إقامتهم للصلاة وتنظيمهم لأوقاتهم بإقامتها في وقتها وخشوعهم فيها وارتياحهم بأدائها، ولهم تفاعل اجتماعي وتفقد لأحوال الآخرين وقدرة على البذل والعطاء والانفاق بلا من ولا أذى.

١٠٢- يفيد التنصيص على إقامة الصلاة، والإنفاق من بين التكاليف الشرعية، إشارة خفية أن من أداهما، سهل عليه أداء غيرهما، ومن اضاعهما فهو لما سواهما أضيع، فالصلاة والإنفاق أمران ثقيلان إلا على المؤمنين، والشاهد على ما سبق، قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]

١٠٣- تفيد أن هذا الترتيب هو على حسب الإلزام. فالإيمان بالغيب لازم للمكلف دائمًا، والصلاة لازمة في أكثر الأوقات، والنفقة لازمة في بعض الأوقات، وهذا من باب تقديم الأهم فالأهم. وقيل: الإيمان بالغيب حظ القلب، وإقامة الصلاة حظ البدن، والإنفاق حظ المال، وهذا ظاهر.

١٠٤- تفيد بيان أهمية الصلاة والزكاة في الإسلام، ولذا كثير ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان على عبيده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان، كما أنهما المعيار لغيرهما فالصلاة عماد الدين، والصدقة برهان، فهما عنوان لحسن ارتباط العبد بربه، وحسن تعامله مع خلقه، والدين يتلخص في أمرين عقيدة يحسن من خلالها علاقته بربه يترجمها في باب العبادة التي على رأسها الصلاة، وأخلاق يحسن بهما علاقته مع خلقه يترجمها في باب المعاملات التي على رأسها الإنفاق سواء كان للعلم أو المال أو غير ذلك.

فائدة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَالْإِيمَانُ " وَإِنْ تَضَمَّنَ التَّصْدِيقَ فَلَيْسَ هُوَ مُرَادِفًا لَهُ ; فَلَا يُقَالُ لِكُلِّ مُصَدِّقٍ بِشَيْءٍ: إنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ. فَلَوْ قَالَ: أَنَا أُصَدِّقُ بِأَنَّ الْوَاحِدَ نِصْفُ الِاثْنَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاءَ فَوْقَنَا وَالْأَرْضَ تَحْتَنَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يُشَاهِدُهُ النَّاسُ وَيَعْلَمُونَهُ لَمْ يُقَلْ لِهَذَا: إنَّهُ مُؤْمِنٌ بِذَلِكَ ; بَلْ لَا يُسْتَعْمَلُ إلَّا فِيمَنْ أُخْبِرَ بِشَيْءٍ مِنْ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ كَقَوْلِ إخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ فَإِنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ بِمَا غَابَ عَنْهُ وَهُمْ يُفَرِّقُونَ بَيْنَ مَنْ آمَنَ لَهُ وَآمَنَ بِهِ، فَالْأَوَّلُ يُقَالُ لِلْمُخْبِرِ، وَالثَّانِي يُقَالُ لِلْمُخْبَرِ بِهِ كَمَا قَالَ إخْوَةُ يُوسُفَ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فَفَرَّقَ بَيْنَ إيمَانِهِ بِاَللَّهِ وَإِيمَانِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ ; لِأَنَّ الْمُرَادَ يُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ، ومنه قَوْله تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ أَيْ نُقِرُّ لَهُمَا وَنُصَدِّقُهُمَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ

يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ وَمِنْ الْمَعْنَى الْآخَرِ قَوْله تَعَالَى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ أَيْ: أَقَرَّ بِذَلِكَ وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ لَفْظَ " الْإِيمَانِ " إنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ الْأَمْنِ، كَمَا أَنَّ الْإِقْرَارَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَرَّ، فَالْمُؤْمِنُ صَاحِبُ أَمْنٍ، كَمَا أَنَّ الْمُقِرَّ صَاحِبُ إقْرَارٍ، فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ بِمُوجِبِ تَصْدِيقِهِ، فَإِذَا كَانَ عَالِمًا بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يَقْتَرِنْ بِذَلِكَ حُبُّهُ وَتَعْظِيمُهُ بَلْ كَانَ يَبْغُضُهُ وَيَحْسُدُهُ وَيَسْتَكْبِرُ عَنْ اتِّبَاعِهِ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنِ بِهِ بَلْ كَافِرٌ بِهِ. ذَا أَخْبَرُوهُ وَأَمَّا إيمَانُهُ بِاللَّهِ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْإِقْرَارِ بِهِ ».

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤].

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾.

١٠٥-يفيد قوله ﴿ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ تأكيدا على لزوم الإيمان بالنبي ﷺ.

١٠٦-تفيد مدح المؤمنين بالقرآن الكريم وعلو مكانتهم عند الله تعالى.

١٠٧-تفيد أن الابتداء بالإيمان بالقرآن المنزل على محمد ﷺ مع أنه آخر الكتب نزولًا؛ إشارة إلى أنه المهيمن على الكتب السابقة؛ وأنه لا ينفع الإيمان بالكتب السابقة إلا إذا آمن العبد بالقرآن، ولأن الإيمان بها مجمل، والإيمان بالقرآن يكون تفصيلًا لما جاء مفصلًا في القرآن.

١٠٨-تفيد الآية أن تقديم الإيمان بما أنزل عليه على الإيمان بما أنزل الذين من قبله- مع أن الترتيب يقتضي العكس- أن إيمانهم بمن قبله لا قيمة له إلا إذا آمنوا بمحمد ﷺ.

١٠٩-تفيد وجوب الإيمان بالسنة مع الإيمان بالقرآن؛ لأن الذي أنزل إليه يشمل القرآن والسنة كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، فالذين يردون السنة ولا يعملون بها لا يدخلون في صفات المتقين.

١١٠-تفيد وجوب الإيمان بالقرآن بكل صفاته التي أنزل بها وذكرها الله في كتابه من إحكامه وتمامه وكماله وحفظه، وصدقه وعدله، وبركته ورحمته، وأنه مهيمن على من سبقه، وأنه بشير ونذير... بما يبين ضلال الرافضة وبعدهم عن هذه الصفة الكريمة للمتقين، فما رأيت تقيًا غير معظم لكلام الله ومؤمن به كما تحدث الله عنه، والرافضة مثلًا يكذبون الله في خبره بأنه محفوظ، فيقولون القرآن محرفًا.

١١١-تفيد بيانًا عظيمًا لشرف النبي ﷺ، ومدحًا كريمًا له حيث خصه الله تعالى بإنزال القرآن الكريم العظيم عليه، بل على قلبه الطاهر دون سائر خلقه في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾.

١١٢-تفيد الحث على تعلم القرآن والاعتناء به، لأن الإيمان به يتطلب تعلمه ومعرفة ما ينبغي أن نؤمن به أجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما جاء مفصلا.

١١٣-تفيد وجوب الإيمان بالملائكة الذين هم رسل الله إلى أنبيائه ورسله المكلفين بإنزال هذه الكتب إليهم، وهذا ما يفيده التعبير بصيغة الفعل الذي لم يسم فاعله.

١١٤-تفيد تقديم الناسخ على المنسوخ، والفاضل على المفضول.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾

١١٥-تفيد مناسبة بين الإيمان بالغيب المذكور سابقًا، والإيمان بما أنزل على الأنبياء السابقين، فهذا الأخير من جنس الغيب أيضا.

١١٦-تفيد إثبات نزول الوحي على جميع الانبياء.

١١٧-تفيد أن سنة الله التي جرت في جميع الأنبياء، أن تتنزل عليهم الشرائع من السماء.

١١٨-تفيد أن الله تعالى لم يترك الأمم من قبلنا هملًا مضيعين.

١١٩-تفيد أن النبي ﷺ، لم يكن بدعا من الرسل.

١٢٠-تفيد أنه لما كانت السورة مدنية وكان فيها خطاب بني إسرائيل ناسب أن يخص من آمن منهم هنا ثناء عليهم وترغيبًا لنبي إسرائيل بالإيمان، وفي هذا فائدة في تخصيص من له سابقة بالذكر ترغيبًا له وتأليفًا.

١٢١-تفيد تنزيه جميع الأنبياء من التقول على الله، وتبرئتهم من ابتداع شرائع من عند أنفسهم، فما هم إلا مبلغين عن رب العالمين سبحانه وتعالى.

١٢٢-تفيد أن من طرق المحاجة بيان وجوه التوافق بين ما لدى الطرفين إقناعًا وإلزامًا.

١٢٣-تفيد أهمية الإيمان بالكتب السابقة والرسل الذين أرسلهم الله إجمالًا وتفصيلًا حسب ما ورد في القرآن والسنة.

١٢٤-تفيد أن أصل الإيمان واحد؛ ولذا لم يقل: [ويؤمنون بما أنزل من قبلك] بتكرار يؤمنون، للإشعار بأن الإيمان به وبهم واحد، لا تغاير فيه وإن تعدد متعلقه، تأكيدا بأن مصدر الوحي واحد، وأن الكتب السماوية كلها منزلة من عند الله، وفي ذلك حجة على بني إسرائيل وإلزام لهم بالإيمان بالقرآن، فالأنبياء دينهم واحد في أصوله، كما قال النبي ﷺ: « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد».

١٢٥-تفيد أن الإيمان بالقرآن والكتب المنزلة قبله ليس فيه أنهم يعملون بما في هذه الكتب من تفصيلات الشرائع، فإن الإيمان بالكتب يقتضي العمل بالقرآن وحده،

والاعتقاد أنه المهيمن والناسخ لما قبله من الشرائع. كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ....﴾[المائدة: ٤٨].

١٢٦–يفيد عدم ذكر من أنزل إليهم الكتب السابقة ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[البقرة: ٤]، دون قوله [وما أنزل إلى الأنبياء والرسل من قبلك] إشارة لطيفة إلى أن ما أنزل إلى نبينا محمد ﷺ أعظم مما أنزل إلى الأنبياء والرسل السابقين وناسخ لما فيها جميعا لهذا لم يك من داع لذكر من أنزل إليهم، وأيضا فيه إشارة لطيفة إلى أن تلك الكتب طالتها أيدي المحرفين، ولا يمكن الجزم بصحة جميع ما فيها، وبالتالي فلا يجوز نسبة الأمور المحرفة إلى هؤلاء الأنبياء والرسل.

١٢٧–تفيد أن الكفر بأي رسول هو كفر بمحمد ﷺ بعدة وجوه، منها: باعتباره ﷺ الناقل المخبر عن هذه الأديان.

١٢٨–يفيد مخاطبة الله ﷻ لنبيه الكريم ﷺ في الآية مرتين – وذلك في مقدمة هذه السورة الكريمة– إلى مكانته العالية السامية عند ربه، فلم تكتف الآية بالقول: [وما أنزل من قبل] بل قال: ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ في إشارة إلى أن قبلية النبي ﷺ مقصودة في هذه الكتب، وفي هذا أيضا إشارة لمن نور الله قلبه بهدايات القرآن الكريم إلى أن الحبيب يكثر من ذكر ومخاطبة حبيبه لأدنى مناسبة، فأكثروا من ذكر الحبيب المصطفى، اللهم صل وسلم وبارك على حبيبك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٢٩–تفيد إشارة إلى علو الله واستوائه على عرشه، وذلك مأخوذ من دلالة التضمن الواردة في ذكر انزال الكتب من الله تعالى.

١٣٠-تفيد أن أمة النبي ﷺ، هي أولى الأمم بالأنبياء والرسل السابقين، وذلك من وحي أمر الله تعالى بالإيمان بهم، وتبجيلهم وتوقيرهم ومحبتهم وتوليهم، وعدم التفريق بينهم. وهذا بخلاف ما فعله المغضوب عليهم والضالون، من الكفر ببعض الأنبياء وأذيتهم.

١٣١-تفيد إثبات ربوبية الله تعالى المتعلقة بالتربية الشرعية، وبيان رحمته ورعايته لخلقه، وذلك بإنزال الكتب وبعث الرسل.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾.

١٣٢- تفيد الآية أن التقوى مفهوم عام في الإسلام متعلق بأركان الإيمان والإسلام، وليست مخصوصة ببعض الأمور الشرعية كما يذكره بعض العلماء.

١٣٣- تفيد أن الآخرة هي اسم للحياة التي تكون بعد الحياة الدنيا وحياة البرزخ، فهي سميت آخرة لأنها آخر حياة، وهذا اللفظ تارة يجيء وصفًا ليوم القيامة مع ذكر الموصوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وتارة بهذا المعنى، ولكن بدون ذكر الموصوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢١].

١٣٤- تفيد أن اليقين بالآخرة أمر عظيم يهذب النفس ويرتقي بها وقد تكرر ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر كثيرا في القرآن الكريم.

١٣٥-تفيد أن اليقين مرتبة عظيمة ينبغي الحرص على بلوغها بالعمل وليس بالتمني والإدِّعاء.

١٣٦-تفيد أن يقين المتقين بالآخرة وما فيها من وعد ووعيد، هو الذي حملهم على امتثال ما سبق من إقامة الصلاة وإدامة الإنفاق، رغم مشقة هذه التكاليف، فإن « من أبصر نور الأجر، هان عليه مشقة التكليف ».

١٣٧- تفيد الثناء على أهل اليقين.

١٣٨- تفيد أن اليقين بالآخرة من ثمرات الإيمان الحق.

١٣٩- تفيد أن اليقين هو العلم الذي لا يداخله شك، ولا يتخلله ريب. وهو هنا يقينهم أن الآخرة آتية لا ريب فيها، وأن وعد الله ووعيده المتعلق بذلك اليوم جميعه حق.

١٤٠- تفيد أن القرآن يبلغ بالمؤمن درجة اليقين في الإيمان بالآخرة لما فيه من كمال الوصف والبيان

١٤١- تفيد فضل العلم، وفضل العالم على المقلد، فإن اليقين لا يكون إلا عن علم.

١٤٢- تفيد ختم صفات المهتدين بالقرآن باليقين دلالة على أن هداية القرآن توصل لليقين كما نرى ذلك في أنفسنا ونحن نتدارس هدايات كتاب ربنا الكريم.

١٤٣- يفيد التعبير بالفعل المضارع ﴿يُوقِنُونَ﴾ الذي يدل على الاستمرار والتجدد لمعاني اليقين والزيادة فيه فللمؤمن في كل حادث وحدث شاهد يزيد يقينه بالآخرة فشواهد الآخرة في حياته كثيرة متجددة في صور شتى، وقد كان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ليزيد من يقينهم، فعن حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ الأُسَيْدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَّرَنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَقُمْتُ إِلَى أَهْلِي فَضَحِكْتُ، وَلَعِبْتُ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَقُمْتُ إِلَى أَهْلِي فَضَحِكْتُ وَلَعِبْتُ. فَقَالَ: إِنَّا لَنَفْعَلُ ذَلِكَ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَقُمْتُ إِلَى أَهْلِي فَضَحِكْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " سَاعَةً وَسَاعَةً، لَوْ كُنْتُمْ تَكُونُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ أَوْ عَلَى فُرُشِكُمْ".

١٤٤- تفيد أن تخصيص اليوم الآخر بالذكر مع دخوله في الإيمان بالغيب لأهمية الإيمان بالآخرة؛ لأن الإيمان بها هو الذي يبعث على العمل، بفعل المأمور وترك المحظور؛ ولهذا يقرن الله تعالى دائمًا الإيمان به عز وجل وباليوم الآخر؛ أما من لم يؤمن بالآخرة فليس لديه باعث على العمل.

١٤٥- تفيد أن المؤمن الحق يوقن بالدار الآخرة وما فيها من بعث وحساب وثواب وعقاب إيقانًا قطعيًا، لا أثر فيه للادعاءات الكاذبة، والأوهام الباطلة، وفي إيراد ﴿هُمْ﴾قبل قوله ﴿يُوقِنُونَ﴾تعريض بغيرهم، ممن كان اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق للحقيقة أو غير بالغ مرتبة اليقين.

١٤٦- يفيد التعبير عن الإيمان بالآخرة بـ ﴿يُوقِنُونَ﴾ بكونها مرتبة عالية في الثبات والرسوخ من يقن الماء إذا سكن وظهر ما تحته، وقد ربط الله تعالى هذه الصفة في كتابه بالآخرة وبآياته في عدة مواضع كقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤].

١٤٧- يفيد ذكر لفظة ﴿هُمْ﴾في قوله: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ولم يذكرها في قوله:﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ لأن وصف إيقانهم بالآخرة أعلى من وصفهم بالإنفاق فاحتاج هذا إلى التوكيد ولم يحتج ذلك إلى تأكيد.

١٤٨-يفيد ختم أوصاف المتقين بقضية اليقين بوجود الآخرة إشارة لطيفة إلى أن كل ما تقدمها من أوصاف للمتقين راجعة إلى هذه القضية العظيمة؛ لأن فيها مناط الحكمة من إيجاد هذا الكون، ولهذا لم تكتف الآية بالإيمان بالآخرة فقط بل جعلتها في مرتبة أعلى من ذلك، وهي مرتبة اليقين بها، للتفريق بينها وبين ما تقدمها، فحصول اليقين من المتقين بوجود الآخرة يستلزم ما تقدمها من أوصاف، وفي ذكر اليقين بالآخرة فيه مزية فضل وثناء للمتقين لأنهم لا يكتفون بالإيمان بها بل يسعون إلى زيادة اليقين بها المستلزم لزيادة الإحسان في طاعة الله تعالى المفهوم من صيغة المضارع ﴿يُوقِنُونَ﴾، وللإشارة إلى هذه المزية وهذا الفضل للمتقين جيء بضمير ﴿هُمْ﴾حتى لا يفهم من تأخير صفة اليقين بالآخرة وبعد المسافة بين الوصف والموصوف التهوين من شأنها، وأيضا حتى لا يفهم أن غيرهم يشملهم هذا الأمر، إذ ما أكثر من يؤمن بالآخرة ولكنه لا يحسن إقامة صلاته ولا يؤدي طاعة ربه على الوجه المطلوب لعدم وجود هذا اليقين.

١٤٩-تفيد أن أهل الإيمان يرتقون بإيمانهم حتى يبلغوا درجة اليقين.

١٥٠–تفيد أن الإيمان بالكتب السماوية فيه إشارات على عظيم نعم الله على الرسل الذين أنزلت عليهم تلك الكتب السماوية بما قدموه من جهد في دعوة التوحيد ينظر لذلك من خلال قصص هؤلاء الأنبياء من القرآن الكريم كموسى وداود وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

١٥١–تفيد أنه لما كان سياق الآية مشيرًا لأهل الكتاب الذين لديهم خلل في الإيمان بالآخرة ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[البقرة:٨٠]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾[البقرة: ١١١]، وهذا خلل في إيمانهم بالآخرة فعلّقه باليقين هنا ليزيل ما في نفوسهم من شك.

١٥٢–يفيد افتتاح أوصاف المتقين بالإيمان وختمه باليقين دلالة على أن الإيمان مع العمل الصالح يورث اليقين، وأن الطاعات تزيد المؤمنين إيمانًا ويقينًا.

١٥٣–تفيد هذه الآية مع ما قبلها إلى أن الهدى إنما يكون بزيادة الإيمان، فكلما زاد هدى زاد إيمانه مما يؤهله لهداية جديدة يزداد بها إيمانا، وهكذا يظل المؤمن في سلم الصعود في الهداية إلى أن يبلغ درجات الإحسان التي ينتهي أعلاها إلى إحسان النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام.

١٥٤–ذكر الله في الآية السابقة وصف المؤمنين بالغيب ممن لم يسبق لهم الإيمان بالكتب كالعرب، ثم ذكر في هذه الآية وصف المؤمنين بالكتب كأهل الكتاب. وفيه أن الإيمان بالغيب ابتداء أعظم منزلة ممن لديه حجة سابقة.

١٥٥–تفيد إشارة إلى ضرورة عبادة الله بالعلم، لا بالجهل، وأن ذلك هو الذي يورث الخوف والرجاء، ويدفع إلى العمل.

١٥٦-يفيد الإيمان بالكتاب المنزل علينا والكتب السماوية السابقة واليقين بالآخرة أهمية النظر للماضي والحاضر والمستقبل لأخذ العبرة والعظة مما مضى وإصلاح وتزكية فيما بقي.

١٥٧-تفيد أن القرآن العظيم كتاب هداية للثقلين ليتوصلوا به للتقوى.

١٥٨-من اللطائف والعجائب في مقدمة هذه السورة أنها جمعت جميع مضامين وأركان الإيمان والإسلام في آيتين، ولهذا ليس بدعًا من القول أن يقال: إن هذه السورة فيها تفاصيل أركان الإيمان والإسلام، حيث جاءت مقدمتها مجملة لهذه الأركان. فما أروع التناسق والتناسب في كلام الله تعالى.

١٥٩-تفيد إلى أن القرآن العظيم هو أقرب أسباب الهداية للإيمان ودرجاته العُلى وأعظمها، فمن قرأه وتدبره وعمل به زاد إيمانه ولا شك.

فائدة [١]: ذكر ابن تيمية ثلاثة أمور دلَّ القرآن الكريم على أنها توصل إلى اليقين: الأول: تدبر القرآن. والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق. والثالث: العمل بموجب العلم.

فائدة [٢]: لعل من اللطائف التي ينبغي الوقوف والتأمل عندها واستنباط الهدايات منها أن القرآن الكريم عندما يريد تصوير بعض الأمور في ذهن القارئ يأتي ببعض المدود المناسبة لما يتم الحديث عنه، فمثلا: اختيار لفظه [ما أنزل] دون [المنزل] فذكر المد مع الفتحة فيه تفخيم من الشيء بالإضافة إلى تصوير هذا الأمر في ذهن القارئ حال نزوله من السماء، ولعل أوضح من هذا ما يفهم من قوله تعالى:﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ ... فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الحج:٣١]، حيث لم يقل: [خر من الأعلى] لأن في الإيقاع الصوتي للفظة السماء وكذلك في تمكين العبد من تصوير المشهد في ذهنه ما ليس في المعنى الآخر.

وقد تناول الأعضاء هذه القضية، وذكروا أن هذا متعلق بعلم الأصوات وهو داخل في فقه اللغة حيث تتناول التراكيب الصوتية والصرفية والدلالية، وغيرها، وهو من فنون البلاغة في انتقاء

المترادفات دون وقوع نشاز في العبارات، وقد أشير اختصارًا إلى ذلك في الدراسة التأصيلية للهدايات عند الكلام عن الأساليب القرآنية، وهو من أسرار تأثر غير العرب بالقرآن بمجرد سماعه، فتسكن نفوسهم، وتنشرح صدورهم، مع عدم فهمهم لمعانيه، فعليه يمكن استنباط الهداية بناء على القوة الصوتية للكلمة، مع مراعاة الضوابط العامة في الاستنباط.

وأشاروا إلى صعوبة ركوب هذا المقام، وذكروا أن فيها بعض الدراسات المتفرقة، و تناول شيئا منها الزركشي في البرهان حيث قال: «مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلافات المقامات وذكر في كل موضع ما يلائمه ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به، وإن كانت مترادفة، حتى لو أبدل واحد منها بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاتت تلك الحلاوة». وقد ذكر أيضا مثالا لما تحدث عنه في النوع السابع في أسرار الفواتح والسور حيث قال: « فأما ما ابتدىء بثلاثة أحرف ففيه سر، وذلك أن الألف إذا بدىء بها أولًا كانت همزة، وهى أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهى أشد الحروف اعتمادًا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم وهذه الثلاثة هي أصل مخارج الحروف أعنى الحلق واللسان والشفتين وترتبت في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية، فهذه الحروف تعتمد المخارج الثلاثة التي يتفرع منها ستة عشر مخرجا ليصير منها تسعة وعشرون حرفا عليها مدار كلام الخلق أجمعين مع تضمنها سرا عجيبا وهو أن الألف للبداية واللام للتوسط والميم للنهاية فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والواسطة بينهما. وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهي مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه مشتملة على خلق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية من الشرائع والأوامر فتأمل ذلك في البقرة وآل عمران وتنزيل السجدة وسورة الروم، وأيضا فلأن الألف واللام كثرت في الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها في الكلام... " وله كلام طويل يرجع له في الباب أعلاه.

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:٥].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾

١٦٠- تفيد الإشارة إليهم باسم الإشارة المستخدم للبعيد بيان مكانتهم، وعلو قدرهم، وتفخيم أمرهم، والاحتفاء بهم، وأنهم نالوا تلك المكانة بما سبق ذكره من أوصاف.

١٦١- تفيد بيان تمكن رسوخ المتقين المتصفين بتلك الصفات من الهدى واستقراره في قلوبهم لقوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ فلأجل ما تمكن رسوخهم في الهداية جعلوا كأنهم استعلوه وتمكنوا في طريقه ورسخوا فيه كما تقول: فلان على الحق، وإنما حصل لهم هذا الاستقرار على الهدى بما اشتملوا عليه من الأوصاف المذكورة. قال صاحب الكشاف: ومعنى الاستعلاء في قوله ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ مثل لتمكنهم من الهدى، واستقرارهم عليه وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه.

١٦٢- تفيد أن صاحب الهدى مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتَقر؛ ولهذا أتى بـ "على" في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة أتي بـ "في" كما في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤] وكأنهم يسيرون على طريق واضح بيّن؛ فليس عندهم شك؛ فكأن الهدى مركب ينجون به من الهلاك والغرق.

١٦٣- تفيد تنكير الهدى ضربًا مبهمًا لا يبلغ كنهه، ولا يقدر قدره إلا الله؛ كما يقال: لو أبصرت فلان لأبصرت رجلًا. لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة.

١٦٤- تفيد أن الهداية منحة وهبة ربانية لا يرزقها غيره، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ فهم إنما صاروا متقين أولى هذه الصفات بهداية منه تعالي.

١٦٥- تفيد أن اتباع الهدى يعلي من شأن صاحبه ويعود نفعه عليه، والله ﷻ لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى، وهذا من بلاغة القرآن في استعمال هذه الحروف. لأن حرف "على" يدل على الاستعلاء، وحرف "في" يدل على الظرفية.

١٦٦- يفيد ذكر الهداية وربطها بالربوبية في هذا الموضع أن الهداية تكون بأمر الله الشرعي وهي هداية البيان، وتكون بأمر الله القدري وهي هداية التوفيق، وكلا الأمرين [الشرعي والقدري] يتفرعان عن الربوبية، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

١٦٧- تفيد أن ربوبية الله ﷻ تكون خاصة وعامة؛ فهي للمؤمنين ربوبية خاصة حيث خصهم بالهدى وأكرمهم به.

١٦٨- يفيد إضافة الرب إليهم التعظيم لشأن المضاف إليه بالقرينة.

١٦٩- تفيد أنه لا يوفق لطرق الهداية في القرآن المجيد إلا من وفقه ربه سبحانه وتعالى.

١٧٠- يفيد ذكر ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾دون [من الله] إشارة لطيفة أن العبد يربيه ربه على الهداية وينقله من مرحلة إلى مرحلة، ومن طور إلى طور، وهذا من عظيم لطف الرب ورحمته بعبده، حتى يستطيع قلب العبد تحمل الأنوار والفتوحات التي تأتي بسبب هذه الهداية.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

١٧١- تفيد أنه سبحانه وتعالى لما ذكر المتقين وبين صفاتهم ثم ذكر أنهم على هدى من ربهم، أجاب عن سؤال مفترض وهو أن هذه الأمور وتلك الصفات المذكورة هي لله سبحانه وتعالى، فماذا للمتقين؟ وما مآلهم؟ فقال تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، أي أن لهم النصيب الكامل من الفلاح في الدنيا والآخرة.

١٧٢- تفيد أن مآل هؤلاء الذين اتصفوا بتلك الصفات هو الفلاح؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾والمفلح: الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه.

١٧٣- تفيد أن الفلاح مترتب على الاتصاف بما ذُكر؛ فإن اختلَّت صفة منها نقص من الفلاح بقدر ما اختل من تلك الصفات؛ لأن الصحيح من قول أهل السنة والجماعة، والذي دلّ عليه العقل والنقل، أن الإيمان يزيد، وينقص، ويتجزأ؛ ولولا ذلك ما كان في الجنات درجات.

١٧٤- يفيد تعريف الخبر وهو ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ مع إيراد ضمير الفصل "هم" أن الفلاح مقصور على أولئك المتقين، فمن لم يؤمن بالغيب، أو أضاع الصلاة، أو بخل بالمال الذي منحه الله إياه فلم يؤده في وجوهه المشروعة، فإنه لا يكون من المهتدين، ولا من المفلحين الذين سعدوا في دنياهم وآخرتهم.

١٧٥-يفيد تكرار [أولئك] تنبيها على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى، فقد ثبت لهم الاختصاص بالفلاح -أيضًا- فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين، كما في إعادة اسم الإشارة تأكيدًا لما يفيده اسم الإشارة الأول من علو المرتبة، وكمال العناية كأنهم احضروا بين يدي المتكلم. قال الزمخشري: " فانظر كيف كرر الله التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى، وهي: ذكر اسم الإشارة، وتكراره، وتعريف المفلحين، وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين أولئك، ليبصرك مراتبهم، ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدموا، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته...».

١٧٦- تفيد الفصل بين الغاية والوسيلة، فالغاية الفلاح ووسيلته تلك الصفات الكريمة.

١٧٧- يفيد حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم. وما عدا ذلك السبيل فهي سبل شقاء وهلاك وخسران وضلال.

١٧٨- تفيد أن من حقق الاهتداء بالقرآن تحقق له الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة بقدر حظه من ذلك الهدى، والجزاء من جنس العمل.

١٧٩-تفيد أن الله أنزل هداه ليكون مراكب نجاة وسعادة للعباد، فأهل العقل هم الذين أدركوا ذلك فحققوا مطلوبهم، ونالوا مقصودهم بالسير على ذلك الهدى والطريق المستقيم.

١٨٠-تفيد التحفيز للتحلي بالصفات السابقة من الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق، والإيمان بالكتاب والسنة والكتب السابقة، واليقين بالآخرة، فهي الهدى وسبيل الفلاح.

١٨١- تفيد أن بيان الثمرة والعاقبة للمتلقي من الأساليب التربوية الناجحة التي استخدمها القرآن الكريم.

١٨٢-تفيد "أل" الموصولة في ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ لأنها دخلت على مشتق، وهو اسم الفاعل عموم الوصف، أي الذين حققوا الفلاح كله بجميع أنواعه.

١٨٣- تفيد بيان جزاء أهل الإيمان وأن مآلهم الفلاح.

١٨٤- تفيد بيان المعيار الحقيقي للنجاح والفلاح.

١٨٥- تفيد أن الفلاح مرتبط بما سبق من أوصاف، فإن زادت زاد، وإن نقصت نقص، والصحيح من قول أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزداد وينقص ويتجزأ. ولولا ذلك لما كان في الجنة درجات.

١٨٦- يفيد وصف هؤلاء العباد بالمفلحين إشارة إلى أن لهم عملا وكسبا كان بمثابة سبب موصل إلى الهداية.

١٨٧- تفيد أن الناجحين في هذه الحياة كثر، ولكن المفلحين قلَّة، وقد وضع الله البركة في هذه القلة، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٤٩].

١٨٨-تفيد أن من إساءة الأدب مع الله ومع كتابه أن ينسب الفلاح إلى من أوتي حظًا من الدنيا فقط دون حظ من الهداية؛ ولهذا قال تعالى في سياق قصة قارون بعد أن ذكر تمني الذين يريدون الحياة الدنيا أن يكون لهم مثل قارون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [القصص: ٨٠].

١٨٩-تفيد وجود مناسبة بين طلب الهداية في الفاتحة، ومقدمة سورة البقرة.. ووجهه: أنهم لما طلبوا الهداية في الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا﴾ أبان الله ﷻ عن مكانها وهو هذا الكتاب، ثم بين سبيلها وأسباب تحصيلها، ثم قال عقب ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾[البقرة: ٥].

١٩٠- أفادت مقدمة هذه السورة الكريمة إلى أن الهداية هدايتان:

١] هداية بيان وإرشاد، وهي التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢].

٢] هداية توفيق وإلهام وهي التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٥].

وفيما ذكرته هاتان الآيتان إشارة لطيفة إلى أن الهداية من الله تعالى ابتداء وانتهاء.

١٩١– تفيد كثرة الخير المتحقق من وراء تحقيق تلك الصفات من خلال تنكير الهدى وإطلاق الفلاح؛ ليشمل كل فلاح في الدنيا والآخرة، ولهذا كان النداء للصلاة بقوله: [حي على الفلاح]، وينبغي كذلك النداء لبقية الصفات أن يكون كذلك؛ لأن من أدرك فلاحه في شيء لا يتخلف عنه غالبًا.

١٩٢– تفيد أن قضية الحياة كلها يمكن أن نلخصها في هاتين الكلمتين [الهدى، والفلاح]، الهدى والاهتداء هي معركة الوجود بين حزب الرحمن وحزب الشيطان، وهي القضية التي من أجلها أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، وكان الصراع فيها بين الإنسان والشيطان، والفلاح والخسران مترتب على ذلك.

١٩٣– تفيد أن القرآن يشحذ النفوس للكمالات ويبعث فيها الطموح لعلو الدرجات ولذلك قال النبي ﷺ « إذا سألتم الله فاسألوا الفردوس الأعلى ».

١٩٤– تفيد أن ما سبق ذكره [من الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والايمان بالكتب والرسل] جميع ذلك يعتبر من هداية البيان، الموصلة إلى هداية التوفيق، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧].

١٩٥– تفيد أن ادعاء الهدى والصلاح والولاية بغير الاتصاف بصفات المهتدين والمصلحين والمتقين نوع من الغش والضلال في الدين، فقد نرى من لا يصلون ولا ينفقون ولا يوقنون بل يأخذون من الناس أموالهم ويكذبون ويدعون أنهم أولياء الله الصالحين.

١٩٦–ومما يحسن ذكره في هذه الآية وخاصة في تكرار اسم الإشارة ما ذكرته من فائدة الإيقاع الصوتي وتكرار المد الطويل المفيد للتفخيم والتعظيم، وتصور مشهد العلو والرفعة لهؤلاء المهتدين.

١٩٧- يفيد التعبير بـ "على" إشارة أن هذه الحياة أوحال ومطبات فمن لم يكن على مركب هنيء من الهدايات الربانية الكثيرة والمتعددة سقط في تلك الأوحال ولم يستطع الصمود أمام المطبات في دروب الحياة.

١٩٨- يفيد ذكر الفلاح في مقدمة هذه السورة الكريمة إشارة لطيفة إلى أن هذه القضية يسعى لها كل أحد في هذا الوجود إلا أنهم في دربها مختلفون، قال عليه الصلاة والسلام: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة:٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

١٩٩- يفيد اختيار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ المفيد للتأكيد بحرف [إن] دون [الذين كفروا] إشارة لطيفة إلى أن كفر الكافرين بهذا الكتاب الذي هو فيه هدى للعالمين من الأمور التي يتعجب منها.

٢٠٠- تفيد أن القرآن مثاني؛ لأنه تعالى لما ذكر صفة المؤمنين المتقين المفلحين، ذكر صفة ضدهم وهم الكافرين الخاسرين الذين استوى عليهم الإنذار وعدمه.

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾

٢٠١- تفيد ذكر أبرز أوصاف الكافرين وهو استواء النذارة وعدمها.

٢٠٢- تفيد أن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن، مهما كان النذير والداعي.

٢٠٣- تفيد تسلية النبي ﷺ حتى لا يكون في صدره حرج من تمردهم، وعدم إيمانهم، بعد أن قام بواجب دعوتهم، وفي ذلك تذكرة لكل داع مصلح بأن لا يحترق قلبه أسفًا على قوم أعرضوا عن سلوك الصراط المستقيم، بعد أن دعاهم إليه، وبذل قصارى جهده في تبصيرهم وإرشادهم.

٢٠٤-تفيد إشارة إلى شفقة النبي ﷺ وحرصه على هداية أمته، وتسلية له وتطمينًا لقلبه، وبيان أن هناك طائفة من أمته من أهل الكفر والعناد لا تنفع معهم موعظة ولا تؤثر فيهم نصيحة.

٢٠٥-تفيد أن مهمة الرسول ومن يقوم مقامه في الناس تبليغ الرسالة وبيانها، فمن استجاب فلهم الحظ الأوفر من الأجر والثواب، ومن تولى فليس عليهم عتب أو حساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠].

٢٠٦-تفيد أنه مهما بذلت من جهد في دعوة المعرض فلن ينفعه إنذارك ونصحك ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦].

٢٠٧-تفيد أن الهداية بمعنى التوفيق لا يدركها من اختار الضلالة، وإن شملته هداية البيان.

٢٠٨-تفيد استحضار أهل الإيمان الفضل العظيم للمنعم الكريم الذي بفضله صرف عنهم شر الكفر، وشؤم الإعراض عن دعوة الحق.

٢٠٩-تفيد أنه لن يستجيب لهدي القرآن من كان مصرًا على الإعراض، حتى يقع في قلبه رغبة للهدى.

٢١٠-تفيد اتباع منهج الإنذار والتخويف في الدعوة إلى الله، وأنه لا حرج في ذلك، وفي هذا رد على من ادعى كفاية منهج الترغيب دون الترهيب، فالعبد ينبغي أن يحيا ما بين الخوف والرجاء والحب، ولا غنية عن الترهيب في ضبط النفس.

٢١١-تفيد تصوير حال الكافرين المصرين على الإعراض، وأن هدي القرآن في الإنذار لا ينفعهم، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٢١٢-تفيد أن اختيار البشارة أو النذارة يكون وفقًا لحال المدعو، وهذا واضح من خلال سياق الكلام المتقدم عن طائفة المتقين المفلحين، ثم من خلال الكلام هنا عن الكافرين.

٢١٣-تفيد أن الإخبار فيها عن حال المدعوين الكفار بأنهم لا يستجيبون ليس فيه الجواز للداعي والمبلغ بأن يترك نذارتهم ودعوتهم إلى الخير، فالداعي يدعوا إلى الخير، ويحذر من سوء العاقبة، ولو كان المدعو أعتى العتاة، وأطغى الطغاة، لأن أمور الغيب لا يدركها أحد غيره.

٢١٤-تفيد أنه إذا وجد في الناس من لا يؤمن بالله أو القرآن أو الرسول فليس ذلك بسبب قصور في هداية الهادي، ولا لعيب فيمن بلغه، وإنما العيب فيهم وفي أدوات التلقي، فإن من حقت عليه كلمة العذاب فإنه لا يؤمن، مهما كان بيان الهدى والمنذِر والداعي؛ لأنه قد ختم الله على قلبه.

٢١٥-تفيد أن الحجة إذا قامت على الظالم المتعامي عن الحق مع علمه به، واستمر على ظلمه بعد قيام الحجة فإنها ستزيده تعاميًا، فيستحق العقوبة ثم يتحول هذا التعامي إلى عمى حقيقي يطبع على قلبه ويجعل على بصره غشاوة.

٢١٦-تفيد أن المنذَرين [المدعوين] إن كان أمر النذارة عندهم سواء، فليس الأمر كذلك عند المنذِر [الداعي]؛ لأنه إذا أنذر فهو مأجور، وإلا فهو محاسب على تقصيره.

٢١٧-تفيد أن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف عند الموعظة، ولا بالإقبال على الله تعالى فإن فيه شبهًا من الكفار الذين الإنذار وعدمه عندهم سواء.

٢١٨-تفيد هذه الآية صحة استدلال النحاة على جواز إسقاط همزة التسوية، وذلك على قراءة ابن محيصن وهي من القراءات العشر، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[البقرة: ٦].

٢١٩-تفيد أن صفات أهل الإيمان التصديق بما جاء في القرآن وإن كان غيبًا، أما أهل الكفر فلا يؤمنون بما جاءت به الرسل مهما جاءوا به من براهين.

٢٢٠-تفيد أنه لما كان الرسول ﷺ واجبًا عليه تبليغ هذا الكتاب المشتمل على النذارة والبشارة، دل وجود النذارة منه على البشارة؛ لأن النذارة متضمنة للبشارة، فإنهم إن عملوا بمقتضى النذارة نجوا، والنجاة من المحذور بشارة، ولهذا فإن من أنذر فقد بشر ولو لم يصرح.

٢٢١-تفيد الآية أن الذي تمادى في الكفر والضلال غالبًا لا يوفق إلى الهداية؛ لأن ران قلبه حال بينه وبين الهدى، ولذلك جاء بعدها﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، وأمثال هؤلاء قال الله فيهم: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾[النساء:١١٥] وإننا لنجد في حياتنا أن الذي أردف معصيته بتوبة فهو إلى التوفيق والقبول أقرب كما أشارت الآية ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ...﴾[النساء:١٧].

٢٢٢- تفيد الآية وجود علاقة وطيدة وتناسبًا رائعًا بما قبلها، ويظهر ذلك من خلال الوجوه التالية:

- أنه لما ذكر الله ﷻ في سورة الفاتحة طلب الهداية وذكر ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ بيَّن في هذه الآية مَن هم المغضوب عليهم والضالين وما أهم وأبرز صفاتهم.

- لما ذكر في الآيات التي قبلها أن هذا الكتاب به هدى للمتقين أوضح في هذه الآية أيضا أن فيه أيضا إضلالًا للكافرين، قال تعالى في آية أخرى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗا﴾ [البقرة:٢٦]

- لما أوضح في الآيات التي قبلها أن الهداية هدايتان أوضح في هذه الآية أن هداية التوفيق منزوعة من بعض الناس ولو وجدت هداية البيان والإرشاد.

- لما ذكر في الآيات التي قبلها أنه أنزل هذا الكتاب إلى محمد ﷺ في قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أوضح في هذه الآية مهمة النبي محمد ﷺ في هذا الكتاب وهو الإنذار.

- لما ذكر في الآية التي قبلها المفلحين وأبرز صفاتهم ذكر في هذه الآية الخاسرين وأبرز صفاتهم.

-لما ذكر في الآية التي قبلها أن المتقين مرتفعون بهداياتهم، أوضح في هذه الآية أن الكفار منغمسون في ضلالهم وتائهون في غيّهم.

قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:٧].

٢٢٣-تفيد أن الختم على قلوب وسمع الكفار، وجعل الغشاوة على أبصارهم هو نوع من الإيمان بالغيب الذي تقدم في مقدمة هذه السورة الكريمة فيجب الأيمان به، لأنه غير مشاهد.

٢٢٤-تفيد أنه لما ذكر في مقدمة السورة الكريمة الإيمان بما أنزل إلى النبي ﷺ وكان هذا المنزل مشتملًا على الدلائل القلبية [غير المشاهدة]، ودلائل سمعية [غير المرئية]، ودلائل بصرية [المشاهدة]، جاء الختم من الله وجعل الغشاوة على الكفار في المحل والموضع الذي تفهم منه هذه الدلائل.

٢٢٥-تفيد أن البدء بالختم على القلب مع أن التلقي أولًا يكون بالسمع أو البصر ثم ينفذ إلى القلب فيعالجه قبولًا أو رفضًا، وذلك مشعر بأن أثر القلب أعظم، وهو حاكم على الجوارح الأخرى فبدأ به، ولأن القلوب هي الأصل في عدم الإيمان، فكان ختمها

ابتداء، وليس بطريق التبعية بختم الأسماع، بناء على أنها طريق إلى القلوب، وليس بعد تغشية الأبصار أيضا، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

٢٢٦-تفيد أن طرق الهدى إما بالسمع؛ وإما بالبصر، وكلاهما يحتاج قلبًا مفتوحًا؛ بالسمع فيما يقال ويتلى من آيات الله؛ وبالبصر فيما يشاهد من مخلوقاته وعجائب مصنوعاته؛ وهكذا آيات الله عزّ وجلّ تكون مقروءة مسموعة؛ وتكون بيّنة مشهودة.

٢٢٧-تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فإن أهل الكفر لما عطلوا قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ومنعوها من قبول أمر الله الشرعي، سلبهم الله نعمة الاستفادة منها، وعطل عملها في تلقي الحق ومعرفة مصلحتهم، وكذلك هؤلاء الكفار عندما استوى عليهم الإنذار وعدمه، بمعنى [استوى عليهم] لا [استوى عندهم] جيء بالختم والغشاوة بـ [على] إشارة إلى تمكن الختم والغشاوة منهم كما تمكن الاستواء منهم.

٢٢٨-يفيد التعبير بـ ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾دون [ختم الرب] إشارة إلى أن هذه العقوبة آتية من ألوهيته سبحانه وتعالى التي لم يكن الكفار يؤمنون بها.

٢٢٩-تفيد أن هذا الختم والغشاوة تزول بزوال سببها [الكفر] فإذا تخلى الكافر عن جحود الحق واتباع الباطل ارتفعت عنه هذه العقوبة.

٢٣٠- تفيد أن أدوات الهداية لدى الإنسان القلب والسمع والبصر، ويمكن لهذه الأدوات أن تعمل إكلينيكيا وتتعطل ايمانيًا.

٢٣١-تفيد أن حجب الهداية عنهم وتعطيل أدوات تلقيها لم يكن ابتداءً دون سبب منهم، بل هو من جملة عقوبتهم على رفض الإيمان، واختيار الكفر، وإلا لما عوقبوا،

فعاقبهم الله بما يناسب حالهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣]

٢٣٢-تفيد أن من أعظم العقوبات الإلهية على الكفار الختم على قلوبهم وسمعهم وجعل الغشاوة على الأبصار.

٢٣٣-تفيد وعيدًا مخيفًا للكفار بالعذاب العظيم، فلما كان الكفر أعظم ذنب كان عذابه أعظم العذاب.

٢٣٤-تفيد تغليظ العقوبة لهذا الصنف، ويظهر ذلك في الجمع بين عدة عقوبات، ومنها عقوبة دنيوية بالمنع من الهداية، وتعطيل أدواتها. والعقوبة الأخروية ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٢٣٥-تفيد تنوع العقوبات المانعة من الاهتداء بين [ختم] يمنع وصول الحق إلى القلوب والأسماع، وبين [غشاوة] تمنع رؤية الحق. نسأل الله العافية.

٢٣٦-تفيد هذه الآية أن الكفر والمعاصي لها عقوبات معنوية خطيرة قد لا ينتبه إليها، وهي سبب خسران الدنيا والآخرة، وقد تمثلت هنا في الختم والغشاوة على أهم وسائل الإدراك.

٢٣٧-تفيد بيان أحد أنواع العقوبات وآثار الذنوب التي تقع على القلب، وهو الطبع.

٢٣٨-تفيد أن الوقف له أثر في الوصول إلى المعنى يقول الاخفش: «أما قوله ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾: فإن الختم ليس يقع على الأبصار إنما قال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ مستأنفا ».

٢٣٩-تفيد بيانا دقيقا لحال قلوب الكافرين المختوم عليها، لأن الختم على القلب يستلزم انغلاقه، فلا يدخله خير يزكيه، ولا يتطهر بخروج ما فيه من شرور وفساد المعتقد الذي قد ختم عليها وهو في داخلها، والختم دليل إحكام في القفل على الشيء.

٢٤٠-تفيد أن المختوم على قلبه يرى الأمور بغير ما هي عليه، يوضح ذلك نظير هذه الآية في سورة الجاثية في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

٢٤١-تفيد أن من لم يفتح الله تعالى قلبه وسمعه لتلقي الحق والرشاد لا ينفع فيه حرص الداعية، وحسن أسلوبه، وقوة حججه في بيان الحق.

٢٤٢-تفيد الآية إشارة إلى أن هؤلاء الكفار ميؤوس من هدايتهم؛ لأنهم قد سبق في علم الله أن ختم على قلوبهم؛ وفي ذلك تسلية للدعاة والمصلحين المخلصين عند عدم استجابة المدعوين خاصة إذا سلكوا كل السبل الدعوية الصحيحة.

٢٤٣-تفيد إفراد السمع وعدم جمعه كما جمع القلوب والأبصار؛ لأن قلوبهم كانت متفاوتة بالتفكر في أمر الإيمان والدين، والأبصار كذلك متفاوتة التعلق بالمرئيات. وأما الأسماع فإنما كانت تتعلق بسماع ما يلقى إليها بصورة متساوية. [ابن عاشور بتصرف].

٢٤٤-يفيد التعبير بـ [على] وتكراره في ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾دون [ختم الله قلوبهم وسمعهم وأبصارهم...] إشارة إلى تمكن الختم والغشاوة منهم بحيث لا يستطيعون الانفكاك عنها، وليس هناك موضع خال من هذا الختم والغشاوة.

٢٤٥-تفيد تصويرًا بديعًا لحال القلب المختوم عليه الذي لا ينفذ النور إليه، ولا تتسلل إليه أسباب العافية؛ لذا فهو حبيس أمراض القلب، يعشش فيه الهم والغم والنكد،

والبؤس، وضيق العطن! وهذا تقبيح لمآلات الكفر وأي تقبيح! إذ لو أشرقت في جنبات القلب أنوار الدين لأينعت في داخله ثمرات الإيمان، فإن الإيمان ربيع غير أنه لا تتفتح فيه الأزهار إن كان على القلوب أقفالها!.

٢٤٦–تفيد أن العقوبة بالطبع على القلب تدل على عظم ذنب الكفر وقبحه وشناعته.

٢٤٧–تفيد وجوب الحذر من هذه العقوبة العاجلة [الختم]، والتي تحول بين الإنسان وبين سعادة الدنيا والآخرة.

٢٤٨–تفيد أن قلوب وأسماع وأبصار أهل الإيمان لها حالة تختلف عن حالة هؤلاء، فللحق أثر على أسماعهم وقلوبهم، ولأبصارهم رؤية للحياة مختلفة عن أولئك الذين لا يبصرون ما فيها من نعمة وبراهين شاهدة بوحدانية الله تعالى.

٢٤٩–يفيد تقديم السمع على البصر ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ دليلًا على فضل السمع على البصر لتقدمه عليه، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾ [الأنعام: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ [السجدة: ٩]؛ لأن قنوات الحصول عليه أكثر، فتكون الحجة مضاعفة، فالإنسان يسمع من جهتين ويسمع في النور وفي الظلام، ولكنه يبصر من جهة واحدة، وفي حالة النور فقط، والسمع أقوى منفذ للقلب، ولابن القيم كلام قيم ونفيس في الفوائد عن هذه المسألة عند قوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧]، وفي المسألة خلاف.

٢٥٠–يفيد تقديم السمع على البصر الحاجة الشريعة لذلك، فإن أعظم وأكثر أدلة شريعتنا الإسلامية مبنية على السمع دون البصر بدءا بالمتواتر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وانتهاءً بالآحاد.

٢٥١-تفيد أن مشكلة الفرق الإسلامية المنحرفة في تجاوزهم للنصوص الشرعية القائمة على النقل والسمع كانت قائمة على هوى في قلوبهم التي ختم الله عليها، فلم يأبهوا في النظر إلى ما نقل سماعًا من المصطفى عليه الصلاة والسلام ومن سلف هذه الأمة فوقعوا فيما وقعوا فيه من الانحراف والضلال، لهذا إذا صفى القلب انتعشت أعضاء السمع والبصر، وأدَّت مهمتها على الوجه الصحيح.

٢٥٢-تفيد أن الهداية من الله تعالى، وإذا أراد الله بعبده خيرا فتح قلبه وسمعه وبصره، ومن يضلل الله فما له من هاد.

٢٥٣-وتفيد أنه يجب على الإنسان أن يجعل الحق هو مطلوبه الأول [فلا يكفره] فإنه العاصم من عقوبة [الختم]، فالعصبية للآباء والشيوخ والأكابر وغيرهم مما يمنع من اتباع الحق ليست إلا أسباب العقاب الإلهي [بالختم].

١- نفيد أن الإيمان بالله وتعظيم حرماته وتقديم حقوقه على كل ما عداه يكافئ صاحبه بعكس ذلك، وهو [الفرقان] الذي يجعله الله في قلوب المتقين.

٢٥٤-تفيد عدم صحة مقولة أن المخ هو المسؤول عن الهداية والضلالة، فكل الآيات المحكمات والأحاديث المسندات تدل عَلى أن القلب هو المضغة التي إن صلحت صلح سائر الجسد وإن فسدت فسد سائر الجسد.

٢٥٥-يفيد إطلاق العذاب وعدم تقييده بزمان معين، أو مكان معين، إشارة إلى أن حياة الكفار عذاب في عذاب، وأن العذاب العظيم يتملكونه ويتملكهم في حياتهم الدنيوية والأخروية.

٢٥٦-تفيد أن الإيمان بصفات الله وأفعاله على الوجه الذي يليق به هو الهدي المستقيم، لأن ظاهر النصوص الشرعية مراد، ولا حاجة إلى التأويل ولي أعناق النصوص لمجرد مخالفتها لعقولنا القاصرة، ولهذا لا ينبغي أن نشغل قلوبنا وعقولنا بكيفية وطريقة هذا الختم، بل نؤمن بهذا كما ورد عن الله وكما جاء تفسيره عن رسول الله ﷺ.

٢٥٧-تفيد دقة مواضع هذا الختم، لأن المرء إذا أراد أن يختم على أوراقه ومستنداته فإنه يتخير من المواضع ما ينتهي إليه الكلام، والله ﷻ اختار الختم على القلب وقدمه على غيره لكونه منتهى أقوال العباد وافعالهم، فإن الأعمال بالنيات، والنية محلها القلب.

٢٥٨-يفيد تقديم القلب على السمع والبصر: أن القلب هو الجارحة التي ليس للعبد سلطان عليه، لأن العبد يستطيع أن يتحكم في سمعه وبصره، ولكنه لا يستطيع أن يتحكم في قلبه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم لا تؤاخذني بما تملك ولا أملك».

٢٥٩-تفيد الآية الكريمة أن الخَلق خلق الله، وأنه سبحانه وتعالى يفعل بعباده ما يشاء، فيختم على قلب وسمع من يشاء، ويجعل الغشاوة على أبصار من يشاء من خلقه، وأنه سبحانه وتعالى يعذب من يشاء بعدله، لا اعتراض على أمره ولا معقب لحكمه، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، لا أحد يسأله: لم تعذبهم بعذاب عظيم وقد ختمت أنت على قلوبهم وسمعهم...؟. وهذا الاستنباط ينادي بضلال الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة لخروجهم عن هدي القرآن الكريم.

٢٦٠-وفي التعبير بـ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ دون [يعذبهم بعذاب عظيم...] تهكم بالكفار، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أن الله ﷻ أعطاهم هذا العذاب وملكهم إياه بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله.

فائدة [١]: نلاحظ في ترتيب [القلوب والسمع والأبصار]: أن القلوب في القرآن هي مناط التعقل. وتفيد الدراسات النفسية أن المعارف التي تأتي عن طريق البصر يتم تعلمها وتذكرها بسرعة، أكثر من المعارف التي يتم اكتسابها عن طريق السمع، ولكن ما يتم اكتسابه عن طريق السمع له الأثر الأكبر على العمليات العقلية والنمو العقلي للإنسان، أكثر مما يتم اكتسابه عن طريق البصر، ولذلك فإن من يفقد سمعه في مراحل عمره الأولى، يكون مستوى ذكائه وقدراته العقلية أقل ممن يفقد بصره في مراحل عمره الأولى. وفي التاريخ لدينا أئمة وعلماء فقدوا بصرهم من وقت مبكر ولكن بصرت قلوبهم وعقولهم بالتلقي السماعي، ولا يقابلهم أعلام ممن فقدوا سمعهم مبكرا، وتلقوا معارفهم عن طريق الأبصار، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦].

فائدة [٢]: يقول الراغب: «وأما المراد من الآية فقد قيل: "للإنسان بالقول المجمل ثلاثة... أنواع من الذنوب يقابلها في الدنيا ثلاث عقوبات:

الأول: الغفلة عن العبارات، وذلك يورث صاحبها جسارة على ارتكاب الذنوب، وهي المشار إليها بقوله عليه السلام: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كان نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يغلق قلبه».

والثاني: الجسارة على ارتكاب المحارم، إما الشهوة تدعوه إليه أو شرارة تحسنه في عينه، وذلك يورثه وقاحة، وهي المعبر عنها بالرين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين: ١٤].

والثالث: الضلال، وهو أن يسبق إلى اعتقاد مذهب باطل، وأعظمه الكفر، فلا يكون منه تلفت بوجه إلى الحق، وذلك يورثه هيئة تمرنه على استحسانه للمعاصي واستقباحه للطاعات، وهو المعبر عنه بالختم والطبع، وكما عبر عنه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾[الجاثية: ٢٣]، وقوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[النحل: ١٠٨]، فقد عبر عنه بالإقفال

في قوله تعالى: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤]، وبالإغفال في قوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾[الكهف:٢٨]، وبقساوة القلب في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةً﴾[المائدة: ١٣]، وبجعل أكنةٍ عليها في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ﴾[الأنعام: ٢٥]، وبعدم العقل في آيات كثيرة».

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾[البقرة:٨]

٢٦١-تفيد أنه لما ذكر في مقدمة هذه السورة الذين يؤمنون بالغيب إلى آخره، وربما أنه يُظَن أن من قال ذلك بلسانه سيكون من المؤمنين أوضح في هذه الآية أن من شروطها أن يطابق ذلك الاعتقاد القلبي ولا يكفي مجرد القول، وفي هذا يمكن القول أن هذه الجملة معطوفة على ما تقدمها من جمل سابقة من مقدمة السورة، وليست من عطف كلمة على كلمة.

٢٦٢-تفيد أنه سبحانه وتعالى لما ذكر أن الكفار لا يؤمنون لا قلبًا ولا قالبًا أتبعه بذكر من يؤمن قالبًا لا قلبًا، وظاهرًا لا باطنًا، وفي ذكر الله الكفار في آيتين ثم ذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية إشارة إلى خطورة المنافقين.

٢٦٣-تفيد أنه لما كان الانذار وعدم الإنذار مستويًا على الكافرين جيء بذكر من يُظَن أن الإنذار نافع فيهم ومؤثر عليهم، ولكن ذلك إنما هو في نظر الناظر، أما في الحقيقة فليس بنافع فيهم ولا مؤثر عليهم، ففيهم نوع شبه بالكفار.

٢٦٤-تفيد براعة القرآن وفصاحته في التقسيم:[مؤمنين خلص، وكفار خلص، ثم منافقين].

٢٦٥-تفيد عظيم إنعام الله على الأمة ببيان أصناف البشر الرئيسة مع قضايا الإيمان، وهو تصنيف يجر بذيله من بواكير الدعوة الإسلامية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢٦٦–يفيد عدم ذكر اسم هذه الطائفة من الناس وهم [المنافقون] بعد أن ذكر اسم من قبلهم [المتقين] و [الذين كفروا] لأهمية معرفة صفاتهم لسبب لخفاء حالهم.

٢٦٧–يفيد ترك التصريح بالتسمية في قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾إعطاء مجال واسع للمنافقين والذين اقترفوا المعاصي في الباطن أن يتوبوا في الظاهر.

٢٦٨–يفيد تقديم الخبر على المبتدأ للإيذان بأن المتحدث عنهم ستساق في شأنهم قصة مذمومة، وحالة شنيعة إذ لا يستر ذكرهم إلا لأن حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم أن يصرح بموصوفها، وفي ذلك من تحقير شأن النفاق ومذمته أمر كبير، [بتصرف من ابن عاشور].

٢٦٩–يفيد التعبير بـ[يقول] دون غيره، إشارة وإيماء إلى أن ذلك قول غير مطابق للواقع؛ لأن الخبر المحكي عن الغير إذا لم يتعلق الغرض بذكر نصه وحكي بلفظ [يقول] أومأ ذلك إلى أنه غير مطابق لاعتقاده أو أن المتكلم يكذبه في ذلك، [منقول بتصرف من ابن عاشور].

٢٧٠–يفيد ذكر ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾في المنافقين إشارة إلى أن المنافقين ليسوا بظاهري الكفر فيتوجه إليهم ما يتوجه إلى الكفار، ولا هم أناس على الفطرة السليمة فيتوجه إليهم ما يتوجه إلى المؤمنين، ولذا احتاجوا نعتًا خاصًا بهم.

٢٧١–تفيد خطورة المنافقين وعدم معرفتهم من أفراد الناس، فهم داخلون مع الناس، وبين الناس، وفي الناس، لهذا لا يمكن تفرقتهم وتمييزهم إلا في لحن القول ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾.

٢٧٢-يفيد التبعيض في ﴿وَمِنَ﴾دلالة على أنهم فئة قليلة بالنسبة لمن قبلهم، وحيلتهم ضعيفة، ولكن خطرهم شديد.

٢٧٣-تفيد أنه ينبغي للعالم والداعية أن يستعمل في دعوته مبدأ "ما بال أقوام" أو "ما بال أناس".

٢٧٤-تفيد عظمة شريعتنا الإسلامية فهي دين نصح وليست دين فضيحة، وهي دين حلم وليست دين لؤم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[محمد: ٣٠]

٢٧٥-تفيد أن الإيمان ليس ادِّعاء فحسب، إنَّما هو قول واعتقاد وعمل فلا يكفي مجرد القول في صحة الإيمان، وليس كل من ادعى الإيمان يوصف به، وينسب إلى أهله إذا خالف قوله فعله.

٢٧٦- تفيد أفضلية التعريض عند عدم الحاجة إلى التصريح.

٢٧٧- يفيد عدم التنصيص على المنافقين ليدخل في حكمهم كل من اتصف بخصالهم.

٢٧٨- تفيد أن لا عبرة بالأسماء والألقاب، وإنما العبرة بالأحوال.

٢٧٩- يفيد التعبير بالناس العموم؛ فيشمل ذكورهم وإناثهم، وجميع أصنافهم.

٢٨٠-تفيد اهتمام المنافقين بأقوالهم أكثر من قلوبهم وأعمالهم.

٢٨١-يفيد البدء بذكر القول قبل غيره؛ لكونه الأصل في قلب الحقائق وإظهار الكذب.

٢٨٢-يفيد اقتصار المنافقين على الإيمان بالله واليوم الآخر إشارة إلى أنهم أرادوا أن يقولوا: إننا أحطنا الإيمان من طرفيه، من أوله: وهو الإيمان بالله، إلى آخره: وهو الإيمان باليوم الآخر، وفي ذلك زيادة تمويه منهم على المؤمنين، وقد قصدوا بمكرهم أن يختصروا لأنفسهم أوصاف المتقين المذكورة في مقدمة السورة في جملتين.

٢٨٣- تفيد أن من أبطن خبيئة مكر وكيد وادعى خلافها فضحه الله، وهذا مما يعين على الصدق مع الله؛ لأنه إما الصدق والنصيحة، وإما الخزي والفضيحة.

٢٨٤-تفيد أن ما في القلوب والضمائر لا يعلمه إلا الله، وفيها رد علم الغيب إلى الله.

٢٨٥-يفيد ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وصفاتهم تحذيرا منهم ومن أفعالهم.

٢٨٦-تفيد أن التركيز على ذكر الأوصاف منهج قرآني، وهو أفضل من التعيين إذ قد تزول الأعيان بينما تبقى الأوصاف هي المعيار في بيان النفاق.

٢٨٧-تفيد أنه من العجب أن يتجرأ أهل النفاق على النفاق، وإخفاء السوء، مع إظهار الحق مع علمهم بالمرجع والمصير الى الله يوم تبلى السرائر.

٢٨٨-تفيد أن كشف الغطاء عن فريق من الناس ظهر في حياة هذه الأمة، أشد خطرا عليها من أعدائها الذين بانت عداوتهم، وبما أن هذا الكتاب فيه الهدى، أظهر هذا الصنف وكشف عواره.

٢٨٩-يفيد تكرار العامل في ﴿وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾إشارة إلى أن الإيمان باليوم الآخر غير الإيمان بالله، فكل واحد منهما مطلوب لذاته.

٢٩٠-تفيد أن من طرق كشف أهل النفاق أنهم يكثرون القول بأنهم من أهل الإيمان، وحالهم يخالف مقالهم.

٢٩١-تفيد أن الإيمان الصحيح هو المعيار الحقيقي لتصنيف الناس وبيان حالاتهم وشخصياتهم السوية منها وغير السوية.

٢٩٢-تفيد دقة المنهج القرآني في ملاحظة السلوك البشري المنحرف، والكشف عن تناقضاته، وبيان نفسية ودواخل أصحاب كل منهج.

٢٩٣-تفيد أن المنافقين ليسوا بمؤمنين، لأن إسلامهم الظاهر، لم يلامس سويداء قلوبهم.

٢٩٤-تفيد أهمية التحذير من الانحراف والمنحرفين مع وجوده أو عدمه.

٢٩٥-تفيد بيان عناية الله تعالى ورأفته ورحمته بهذه الأمة، فإن هذه النفسيات الخبيثة تعد أمورا غيبية، لم يكن كشفها ممكنا، لولا عناية الله ومعونته.

٢٩٦-تفيد التشهير بالمناهج الباطلة وكشف عوارها، وتشريحها بدقة، من أجل تمليك الأمة مفاتيح التعامل معها.

٢٩٧-تفيد من اللطائف اللغوية في نفي الايمان عنهم هنا بـ ﴿مَا﴾أن النفي بها نفي للحاضر، فأولئك المنافقون يقولون لكم آمنا، وماهم بمؤمنين الآن، فلم يدخل الإيمان في قلوبهم، لكن المنافق قد يتغير حاله، ويصدق إيمانه فناسب ذلك نفي حالهم بـ﴿مَا﴾ التي لا تقتضي استمرار النفي بل تنفي الحال فحسب.

٢٩٨-تفيد تنبيه المؤمنين ليأخذوا حذرهم من أهل النفاق، ولا يغتروا لما يبدونه من إيمان وخاصة من علم حالهم.

٢٩٩-تفيد بشارة إلى أن الأمة الإسلامية تتمتع بمقومات، تجعلها مصدر خوف لأصحاب الإيمان الزائف والباطل، فيظهر مثل هذا الصنف في جسم الأمة.

٣٠٠-تفيد أن علم المنافقين لم يصلهم بالله، ولم يرسخ في قلوبهم فغلب باعث الهوى في نفوسهم داعي الإيمان، فليس كل علم نافعًا إذا لم تتزكى النفس، ويتطهر القلب؛ ولذا استعاذ النبي ﷺ من أربع: علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع.

٣٠١-تفيد أن الدعاوى إذا لم يكن عليها بيِّنات فأهلها أدعياء، فهؤلاء ادَّعو الإيمان، ولما كانت حقيقة الإيمان منتفية عنهم قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ فالعبرة إنما هي بالحقائق كمن يدعي الان من المبتدعة أنهم هم أهل السنة والجماعة، أو العقيدة الصحيحة، أو أحباب الله، أو أحباب آل بيت رسول الله ﷺ... الخ، وقد قالت اليهود والنصارى سابقًا ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨] فأكذبهم تعالى بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

٣٠٢-تفيد التعبير بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، دون قوله [وما هم بالمؤمنين] أن هؤلاء المنافقين لم يبلغوا درجة ضعاف الإيمان الذي به النجاة، فضلًا عن درجة كُمَّل الإيمان وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

٣٠٣-تفيد أن النفاق على نوعين: إبطان الكفر [وهو النفاق الأكبر]، وإبطان المعصية [وهو النفاق الأصغر]، وهنا جاء الوصف بـ ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ للدلالة على أن المقصود الأول وهم من أبطن الكفر لا الثاني -والله أعلم-.

٣٠٤-تفيد لفت الانتباه إلى أن الإيمان، هو المعيار الأول، ومقياس التفاضل الذي يجب إعماله في تصنيف الناس صلاحا وفسادا، وأن ما سواه من معايير ليس له اعتبار، فقد كان على رأس الكفار والمنافقين سادات من أشهر قبائل العرب، ومع ذلك ذمهم الله تعالى، وأهانهم بسوء صنيعهم وأسقط اعتبارهم.

٣٠٥-تفيد الاتيان باسم الفاعل في قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ دلالة على أن عدم الإيمان هو الوصف الملازم لهم في الماضي والحاضر والمستقبل.

٣٠٦-يفيد قوله: ﴿وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ﴾دون قوله: هم كافرون، أو وما هم بمسلمين؛ أنهم -والله أعلم بمراده- جمعوا من شعب الإسلام الشعائر الظاهرة، ومن شعب الكفر الحقائق الباطنة، فكان نفي الإيمان أليق بحالهم، وأقطع لحججهم، ولذلك يعاملون في الدنيا بظاهر إسلامهم، وفي الآخرة بحقيقة كفرانهم.

٣٠٧- يفيد نفى الإيمان في قوله تعالي ﴿وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ﴾على خطورة النفاق والمنافقين، وأنهم أشد عداوة وكراهة للمسلمين من غيرهم من الكفار والأمل في إيمانهم شبه معدوم.

٣٠٨-يفيد قوله: ﴿وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ﴾عموم دلالتها من أي جملة أو لفظة أخرى، حيث شملت درجات النفاق كله، ولهذا فإن هذه الجملة في سياقها الرائع والفريد توضح أنهم ليسوا مؤمنين وأتت في ذلك بمؤكدات كثيرة ومنها: اسمية الجملة وضمير الفصل، وزيادة الباء، ومن المعلوم أن النفاق دركات، وأنه كله يرجع إلى نفاق اعتقادي ونفاق عملي، ومنه ما هو مخرج من الملة، ومنه ما ليس بمخرج من الملة، ولهذا فإن مدلول هذه الجملة تشير إلى هذا الأمر، فالذي ليس بمؤمن قد يكون أقل درجة من الكافر، وقد يكون مساويا للكافر، وقد يكون أشد كفرا من الكافر، ومن الشواهد على ذلك في كتاب الله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:١٤]، وقال تعالي: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾[التوبة: ٩٧] فذكر شدة الكفر وشدة النفاق، وفي ذلك بيان لدرجات بل لدركات النفاق.

٣٠٩- تفيد الآية أن المنافق غير مصدق نفسه فيما يتلفظ به من ألفاظ الإيمان، وبيان ذلك: أن الآية الكريمة أطلقت نفى الإيمان عنهم، فقال تعالى:﴿وَمَاهُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، فشمل ذلك حتى تصديقهم لأنفسهم أنهم مؤمنون بالله.

٣١٠-تفيد الآية أن المنافقين ليس لهم تأثير ضرر وأذى كبير على المؤمنين إلا اذا اجتمعت كلمتهم، وطبل بعضهم لبعض، كما نراه الآن في عصرنا، ولهذا ينبغي على ولاة أمور المؤمنين تفريق كلمتهم وتشتيت صفهم، وهذه الهداية مأخوذة من دلالة الجمع في قوله: [آمنا].

٣١١-تفيد أن من أدب الجدال وحسن الحوار أنه ينبغي على العبد في ردوده على خصمه أن يكتفي بما يرد به على مقولته، ففي هذه الآية عندما نسب المنافقون الإيمان إلى أنفسهم، نفى الله عنهم هذا الإيمان فقط، ولم يقل: بل هم كذابون وكفار ومنافقون. فما أحوجنا أن نقتدي بمقتضى أفعال الله تعالى وصفاته العلى، وهكذا كان قدوتنا الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا.

٣١٢-تفيد أن العبد يختار في ردوده على خصمه المصطلح الذي يستخدمه الخصم، فحدثوا الناس بما يعقلون ويعلمون.

٣١٣-يفيد التنصيص والتأكيد بضمير ﴿هُم﴾المفيد لأشخاص بعينهم دون قوله: [وليسوا بمؤمنين] إشارة خفية إلى صحة ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة إلى أن الحكم على أحد من المؤمنين بعينه بالكفر ونفي الإيمان لا يجوز إلا ما كان لنا من الله فيه برهان، واستوفى الشروط وخلا من الموانع، ولهذا فإن من فوائد [هم] ليس التأكيد فقط، بل أيضا فيه تعيين الأشخاص، فإنه لما كان﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾عامًّا جاء هذا الضمير المفيد بأن المراد منهم أشخاص بعينهم.

[فائدة]: من هدايات الاقتران بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في آيات عديدة:

-أن الإيمان بالله غيبًا، يكون شهادة في الآخرة.

- أن النفوس تتطلع لاستيفاء ثواب إيمانها، ويكون ذلك في الآخرة.

– أن الإيمان بالله هو المبدأ، والإيمان باليوم الآخر هو المآل، فيستمر إيمانه حيّا وبعد موته.

– أن الإيمان بالله متعلق بذاته، وكذلك اليوم الآخر يتجلى فيه سبحانه بذاته.

–أن الإيمان بالله يتضمن ألوهيته وربوبيته وصفاته، وكذا في اليوم الآخر تتحقق خصائص ألوهيته وربوبيته وصفاته.

قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:٩].

٣١٤– تفيد الآية جوابا عن سؤال نشأ من الآية السابقة، وهو أن قول المنافقين ﴿ءَامَنَّا﴾ وما هم بمؤمنين، يثير في نفس السامعين استفهامًا عما يدعو هؤلاء لمثل تلك الحالة المضطربة والحياة القلقة المقامة على الكذب، فكان الجواب: إنهم يفعلون ذلك محاولين مخادعة المؤمنين، جهلا منهم بصفات خالقهم.

٣١٥– تفيد أن الإيمان لابد أن يتطابق عليه القلب، واللسان ويصدقه العمل كما تقدم في وصف المتقين، ووجه الدلالة: أن هؤلاء قالوا: "آمنا " بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم؛ فصح نفي الإيمان عنهم؛ لأن الإيمان باللسان ليس بشيء، وفي هذا رد على الكرامية ومن يقول بقولهم: إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد بالقلب.

٣١٦– تفيد أن على المؤمنين ألا ينخدعوا بالأقوال والدعاوى التي يطلقها أهل النفاق في كل زمان ومكان، ويدَّعون أنهم آمنوا، وليسوا مؤمنين، وإن كان حقيقة ما في قلوبهم لا يطلع عليها إلا الله، لكن الله ﷻ بيَّن لنا صفات كاشفة نستدل بها على أولئك المنافقين، وإن لم يمكنا الجزم بحقيقة ما في القلوب، إلا أننا ينبغي أن نحذرهم، ولاسيما مع تخللهم لنا ووجودهم بيننا.

٣١٧– تفيد أن على المسلم ألا ينخدع بدعاوى الإعلام العلماني والليبرالي، الذي يدعي القائمون عليه أنهم حريصون على الأمة، في حين أنهم ليسوا سوى نصال مغروسة في خاصرتها.

٣١٨– تفيد أنه ينبغي للعبد أن يسعى لإسعاد نفسه، وإدخال الطمأنينة عليها، لأن من يعيش على الخداع لا يمكنه إسعاد نفسه ولا الثقة بها للوصول إلى هدفه.

٣١٩- يفيد لفظ [يخادعون] على استمرار الخداع من المنافقين، فمن يخدع مرة سيخدع ألف مرة.

٣٢٠- تفيد أن أهل النفاق يعرفون بعضهم بعضا بأسلوب المخادعة، وهو أسلوب متبادل بينهم.

٣٢١- تفيد بيان أن غاية ما يقدر عليه المنافقون تجاه قوة الإسلام والمسلمين هو الخداع لا أقل ولا أكثر، فخداعهم هذا لا يضر الله تعالى شيئًا، ولا رسوله، وعاقبته للمؤمنين خيرا، لأنه قد جرت سنة الله أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، وما يقع عليهم الأذى فهو واقع، وهو نوع من الابتلاء للمؤمنين وفيه منافع وحكمة.

٣٢٢- تفيد دفاع الله عن المؤمنين، فقد رد الله خداع المنافقين عليهم، فكانوا هم المخدوعين بفعلهم.

٣٢٣- تفيد أن الخديعة البغي والمكر السيء وسوء الظن تعود على صاحبها، فهؤلاء قد عوقبوا بجنس عملهم وهو الخداع فالجزاء من جنس العمل.

٣٢٤- تفيد أن المؤمنين ليس من أساليبهم الخداع، فالمؤمن غر كريم، لكنه لا يَخْدَع ولا يُخدَع ولا يقبل الخديعة.

٣٢٥- تفيد أن المنافقين هم أجهل الناس بالله وبأسمائه وصفاته، وعظمته ومقدرته، إذ لو قدروه حق قدره لعلموا أن مخادعتهم لله هي في الحقيقة نوع من سفه العقول ونقصها، كما قال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

٣٢٦- تفيد أن جهل المنافقين بربهم هو سبب ضلالهم وانحرافهم، لأن من عرف أن ربه عليم بالظواهر والبواطن أصلح باطنه كما أصلح ظاهره.

٣٢٧- تفيد أن أعظم خداع للنفس هو ما يفعله المنافقون بأنفسهم، من الإيمان الذي لا يقربهم إلى الله، فإن كل خداع مهما عظم وكبر، فهو إلى زوال إلا هذا الخداع فإنه يستمر مع المنافق إلى أن يدخله الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.

٣٢٨- تفيد أنه لا يوجد مجتمع مثالي من غير أمراض، وأن الحكم على المجتمعات بالغالب الأعم، فلا يدعي أحد كمال جماعته أو حزبه أو تلامذته ففيهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾من هم على شاكلة المنافقين.

٣٢٩- تفيد الآية أن هؤلاء المنافقين لم يكتفوا بإظهار الإيمان وإبطان الكفر؛ بل واصلوا خداعهم لله ولعباد الله المؤمنين المفهوم بصيغة المضارع.فارتد إليهم ما رأوا وظنوا أن فيه مصلحة لهم، فعلى نفسها جنت براقش، قال تعالى: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾.

٣٣٠- تفيد أن من أراد خداع المؤمنين سوف يرتد عليه خداعهم مهما طال الزمان،، فكأنهم لا يعملون الذي يعملونه من الخداع والمكر إلا لإهلاك أنفسهم.

٣٣١- تفيد أن في وصف المؤمنين في أول السورة جمعا بين الإيمان والعمل، وأن من فعل ذلك استحق وصف اليقين "يوقنون" بخلاف أولئك فهم في بعد بين أقوالهم وأفعالهم، ولذلك فهم ﴿ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾[التوبة:٤٥] ولهذا كان المرض الدائم وصفا لائقا بهم.

٣٣٢- تفيد أن المنافق يتقي بما لا يقيه، فستره مكشوف، وباطنه معلوم معروف.

٣٣٣- تفيد تشريفا عظيما للنبي ﷺ؛ إذ جعل الله تعالى مخادعة المنافقين له مخادعة لله تعالى وكذلك تفيد تشريفا عظيما للمؤمنين حيث عطفهم سبحانه وتعالى على اسمه جل وعلا.

٣٣٤- تفيد أن الإساءة إلى أهل الإيمان إساءة لله تعالى، وأن المسيء إنما يسيء لنفسه.

٣٣٥- تفيد تكريما للمؤمنين، وتخذيلا وتخويفا للمنافقين، حيث جعل سبحانه خداع المؤمنين، فيه تحد، ومحاولة المخادعة لمن يؤمنون به سبحانه.

٣٣٦- تفيد بيان جرأة المنافقين والإنكار على سوء أدبهم مع الله تعالى، وفي ذكرِ الله تعالى هاهنا إشارة إلى التعظيم والإنكار على جرأتهم.

٣٣٧- تفيد التحذير من المنافقين، وأهمية التنبه على شدة عداوتهم وبغضهم لأهل الإيمان، وحث المؤمنين على عدم الثقة بهم، وأن يكونوا يقظين حذرين، وألا ينخدعوا بهم وبأمثالهم.

٣٣٨- تفيد أن من شر الناس؛ لأن شر الناس ذو وجهين.

٣٣٩- تفيد أن من أعظم العقوبات الإلهية أن لا يشعر العبد المعَاقَب - والعياذ بالله - بالعقوبة التي أنزلها الله عليه، إذ لو شعر بها لربما صحح مساره، لكنه طالما لا يشعر بها فهو مستمر على معصيته، والعقوبات الإلهية مستمرة عليه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

٣٤٠- تفيد أن في التصرفات القبيحة والمستنكرة والمنافية لأخلاق أهل الإيمان دلالة على وجود نفسية منحرفة أبتليت بموت الشعور وقلة الحياء.

٣٤١- تفيد أن العمل السيء يعمي البصيرة ويذهب البركة بأنواعها؛ فلا يشعر الإنسان بالأمور الظاهرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي ما يشعرون أنهم يخدعون أنفسهم؛ و"الشعور" أخص من العلم؛ فهو العلم بأمور دقيقة خفية؛ ولهذا قيل: إنه مأخوذ من الشَّعر؛ والشعر دقيق؛ فهؤلاء الذين يخادعون الله، والرسول، والمؤمنين لو أنهم تأملوا حق التأمل لعرفوا أنهم يخدعون أنفسهم، لكن لا شعور عندهم في ذلك؛ لأن الله تعالى قد أعمى بصائرهم. والعياذ بالله، فلا يشعرون بهذا الأمر».

٣٤٢- تفيد أن الضال فيه بلادة إحساس، لا يشعر بقبح فعله وأخلاقه، بخلاف المؤمن كلما ازداد هدى زادت يقظته وكياسته واشتدت محاسبته لنفسه.

٣٤٣- تفيد أن الإنسان إذا اتبع هواه قد يغتر، ويخادع نفسه وهو لا يدري.

٣٤٤- تفيد أن المنافق جبان، يخادع ويظهر خلاف ما يبطن، خوفا على نفسه وماله.

٣٤٥- تفيد أن الخداع والتقية والكذب ليست من صفات أهل الإيمان.

٣٤٦- تفيد أن الخداع من أبرز وأكبر صفات المنافقين، ولهذا قدمها الله على جميع الصفات الذميمة الأخرى.

٣٤٧- تفيد الآية الكريمة خطورة الجهل، وأنه من أعظم الآفات التي تؤدي بالإنسان إلى المهالك.

٣٤٨- تفيد أن الكذاب والمخادع يظن أنه أذكى الناس.

٣٤٩- تفيد أن المؤمن يزكي نفسه، والمنافق يدسيها ويخذلها.

٣٥٠- تفيد هذه الآية وما بعدها التركيز على صفات المنافقين المانعة من الانتفاع بالقرآن وهدايته، ومنها: الكذب والخداع.

٣٥١- تفيد أنه ينبغي أن يكون المؤمنون أكثر فطنة وذكاء من المنافقين وأن يعرفوا مداخلهم ومخارجهم، ويعرفوا خططهم، ويستعينوا الله في رد شرهم، وإزاحة خطرهم، فهم مهما بلغوا ما بلغوا من تفنن في الخداع والمكر، إلا أن الله عز وجل سلب منهم الفطنة والشعور الصحيح والحقيقي في هذه الحياة، لهذا لا تجد في هذه الحياة منافقا مرتاح البال، مطمئن النفس، بل تجده دائما في نكد وعدم شعور بالراحة والطمأنينة، كما يشعر بها المؤمن، فما أعظم دلالة قوله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[البقرة:١٠].

*** **القراءات**: قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف... وقرأ نافع والبصري وابن كثير وابن عامر ﴿يُكَذِّبُونَ﴾بضم الياء وتشديد الذال وفتح الكاف... فمن قرأ ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾بالتخفيف فمعنى القراءة: كذبهم هذا الذي أخبر الله تعالى به؛ وذلك الكذب استهزاء بالله ورسوله، لأن الله تعالى أخبر عنهم بذلك في قوله ﴿قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾[البقرة: ١٤] ومن قرأ [يُكَذِّبُونَ] فمعناه التكذيب الذي به كانوا كاذبين... منقول من شرح السخاوي.

٣٥٢- تفيد مع ما قبلها أن قلب الكافر مختوم عليه، فكما لا يدخله الخير، لا يخرج منه الشر والفساد العقدي، وأما قلب المنافق فهو محل لتكاثر الأمراض والشرور الخبيثة المتنقلة.

٣٥٣- تفيد أهمية التركيز على صلاح القلوب، وهي قضية محورية في التفريق والتفاضل، فإذا حصل منها القبول تواطأت الجوارح بالانقياد، ومن هنا كان الاهتمام في البناء التربوي بالقلوب هو سر نجاح الداعية والدعوة، ومن أسباب مشكلات الدعوة المعاصرة إهمال هذا الجانب أو التقصير فيه.

٣٥٤- تفيد أن أشد موانع الانتفاع بالقرآن وهديه هو: مرض القلب بالنفاق والكذب والكبر والمعاصي، ولهذا كان مرضهم يزداد ببعدهم عن هداية كلام الله تعالى.

٣٥٥- تفيد أن أخطر الأمراض على الاطلاق أمراض القلوب لأنه تحجب العبد عن الله، وأنه أشد خطرا على العبد من أمراض الأبدان، بل إننا نجد أن بعضهم يحيا بحياة قلبه، ولو أقعدته، أو أعجزته آلام بدنه.

٣٥٦- تفيد أن المريض إذا لم يسارع لعالج مرضه زاد عليه المرض، وإذا طلب الشفاء من الله ومن خلال ما أنزل الله في كتابه شفاه الله.

٣٥٧- تفيد أن المنافقين عند ما لم يعالجوا أمراضهم المعنوي بالإيمان الحقيقي تراكمت عليهم الأمراض العديدة من الحقد والقلق والكبر والخيانة وكل أصناف الأمراض المعنوية.

٣٥٨- تفيد أن من لم يسارع في إصلاح قلبه، قلبه الله وأزاغه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

٣٥٩- تفيد أن من تعاطى أسباب المرض تمكن المرض منه، وعاقبه الله بالزيادة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وفي مقابل ذلك فإن من تعاطى أسباب الهداية وفق لها.

٣٦٠- تفيد خطورة المعاصي على القلوب، فإن صاحب المعصية إذا تعود واستمرأ كثرت النكت السوداء علي قلبه، فيطبع ويختم عليه، وإذا وصل هذه الدرجة لا سبيل إلى دخول الحق لقلبه ويستوي مع الكافر من هذا الوجه.

٣٦١- تفيد أن الجزاء من جنس العمل، وأن المنافقين لما هيأوا قلوبهم لأنواع المرض، عاقبهم الله تعالى بأن زادهم مرضا، ولذا نجد بعض من استمرئ الكذب وصل إلى حد الفجور وعدم قبول الحق.

٣٦٢- تفيد هوان المنافقين عند الله؛ ولذا لم يكونوا عنده موضع العناية والإكرام الإلهي، بل كانوا في موضع الإهانة والإبعاد ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾.

٣٦٣- تفيد أن الأمراض المعنوية التي لا يمكن معالجتها إلا عند أطباء القلوب - وهم الدعاة وأهل القرآن - أشد فتكًا وانتشارًا من الأمراض الحسية التي يسارع الناس لعلاجها عند غيرهم من الأطباء.

٣٦٤- يفيد ذكر سبب عذاب المنافقين عذابا اليمًا وهو ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.

٣٦٥- يفيد ذكر كذبهم أو تكذيبهم الماضي دون ما سيأتي، إشارة إلى أنهم قد يتركون هذا الكذب أو التكذيب، وهذا مما يؤيد من بصيص الأمل للمنافقين في الرجوع والتوبة إلى الله، وترك الكذب والتكذيب.

٣٦٦- تفيد أن القلب مستوع الهدى، كما أنه مستوعب الضلال.

٣٦٧- تفيد أن خطر النفاق يخذل صاحبه، ويزيده ضلالا إلى ضلاله، وحرمانا إلى حرمانه.

٣٦٨- تفيد أن أشد عقوبة على المرء أن يحرم نعمة البصيرة في قلبه؛ لأنه بذلك يزعم أنه معافى وهو مريض.

٣٦٩- تفيد بيان خطر المنافقين على الأمة، والوعيد الشديد لهم.

٣٧٠- تفيد الجملة الاسمية في قوله: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مكث وتمكن المرض في قلوب المنافقين.

٣٧١- يفيد ذكر الفاء في قوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة لطيفة إلى أن مرض المنافقين يعقبه مرض آخر أشد منه مباشرة، فالمنافق إن لم يتدارك قلبه لعلاج هذا المرض فإن زيادة المرض تأتي عقبه مباشرة، -نعوذ بالله من مرض القلوب-، ولهذا لا نجد منافقًا يقول قولًا يمرض القلوب إلا وجدت هذا القول يفتح له أقوالًا أخرى تمرض قلبه بزيادة مطردة.

٣٧٢- يفيد التعبير بقوله: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ دون قوله: [فزادها الله مرضا] إشارة إلى أن جميع أعضاء المنافق تتأثر بهذه الزيادة للمرض، وليس القلب فقط، وإن كان القلب هو المحرك لجميع هذه الأعضاء.

٣٧٣- يفيد الإتيان بلفظ الجلالة المشعرة بعظمة هذه الزيادة ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة لطيفة إلى أن هذه الزيادة آتية من ألوهية الله تعالى التي لا يؤمن بها هؤلاء المنافقون.

٣٧٤- تفيد أن قلوب أهل الإيمان عافاها الله من هذه الأمراض، بل زادها عافية على ما هي فيه من عافية، وهي نعمة تستوجب الشكر.

٣٧٥- تفيد أن الجزاء متعلق بأسبابه في الدنيا والآخرة، والله تعالى حكم عدل، لا يظلم عنده أحد، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

٣٧٦- يفيد التعبير بقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ دون قوله [بما يكذبون] إشارة لطيفة إلى أن العذاب الأليم سوف يأتي عليهم بالأول والآخر، أي بالذنوب الماضية واللاحقة، لأن هذا الكذب هو دأبهم ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

٣٧٧- تفيد قراءة التشديد في قوله ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ إشارة إلى أنهم لا يصدقون الرسول ﷺ وما أنزل عليه.

٣٧٨- تفيد أن المؤمن لديه قبول قلبي، وانقياد بالجوارح، والكافر لديه رد وشك قلبي، مع تمرد الجوارح عن الطاعات، والمنافق لديه رد وشك قلبي، مع انقياد صوري وزائف للجوارح.

٣٧٩- تفيد أن المنافقين جمعوا بين شرين: الكذب والتكذيب، "على قراءة التشديد والتخفيف".

٣٨٠- تفيد ذم الكذب وأنه سبب للعقوبات العاجلة والآجلة.

٣٨١- تفيد أن البواطن التي يعتقدها الإنسان لها أثر على الظواهر سلبا وايجابًا.

٣٨٢- تفيد أن صغائر الذنوب تتراكم حتى تصير كبارا.

٣٨٣- تفيد تعظيما للنبي ﷺ وأصحابه وبيان دفاع الله عنهم.

٣٨٤- تفيد أن إضلال الله لهم بعدله، كما أن هدايته بمحض فضله.

٣٨٥- تفيد ضرورة تعاهد القلوب، وعدم أمن مكر علام الغيوب.

٣٨٦- تفيد أن قلوب العباد بين يدي ربهم يقلبها كيف يشاء.

٣٨٧- تفيد أن النفاق دركات، كما أن الإيمان درجات.

٣٨٨- تفيد التنفير من الكذب والتكذيب بكل أنواعه.

٣٨٩- تفيد أن من أساء وستره الله، ثم أساء وستره الله، ثم صار ذلك ديدنا له، فليعلم أنه مستدرج.

٣٩٠- تفيد أن المحافظة على القلوب ووقايتها من أهم المهمات وأفرض الفرائض.

٣٩١- تفيد أن من سيطرت عليه الشبه والشهوات فليبحث عن علاج قلبه وليرجع إلى ربه.

٣٩٢- تفيد أن مدار النفاق على الكذب في كل أحواله، ولذا جاء العذاب الأليم معللًا بأبرز سماتهم وهو الكذب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فأساس النفاق يقوم على الكذب كما أن أساس الإيمان يقوم على الصدق.

٣٩٣- تفيد أن بين: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧]، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مناسبة لفظية وحالية دقيقة، وخلاصتها والعلم عند الله تعالى: - أن الكفار لما كان كفرهم ظاهرًا: كان عذابهم عظيمًا، وهي لفظة حقها الظهور، - وأما المنافقون فلما كان كفرهم خفيًا: كان عذابهم أليمًا، وهي لفظة في تلمسها لائقة بخفائهم، فلا يستشعرها إلا صاحبها. **وأيضا** فإنه لما كان مقام المنافقين ومعاشهم بين ظهراني عباد الله المؤمنين حسن أن يكون العذاب أليمًا يؤلم قلوبهم ويمرضها، بخلاف لو كان العذاب عظيما، فإنه قد يؤثر عظمة العذاب من بجوارهم من المؤمنين، ولهذا لما تمايز الكفار عن المؤمنين لم يراع في عذابهم هذا الأمر فكان عظيما يشملهم ويشمل من بجوارهم من الكفار الذين هم مثلهم، وعلى هذا فإن سياق الآيتين أطلقتا العذاب ولم تقيداه بزمان أو مكان، حتى لا يقال: إن هذا العذاب في الآخرة، **وأيضا**: فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر أهل الكفر الذين لا أمل في إيمانهم، وأخبر أنه جل جلاله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، ناسب أن يختم الآية بعظم عذابهم. لأن الصفات التي ذكرت فيهم تناسب وصف عذابهم بالعظم، ففيهم من الجحود وتمكن الختم على قلوبهم وكذلك سمعهم واستعلاء الغشاوة على أبصارهم ما يناسب التهويل في صفة العذاب، وبيان عظم مقداره. ولما ذكر الله تعالى المنافقين وكان من أخص صفاتهم الملازمة لهم ذلك المرض الذي انطوت عليه قلوبهم وتسبب عنه -كما قال البقاعي- خللا في أفعالهم، ناسب جدا أن يوصف العذاب بصفة الإيلام، لأن العذاب المؤلم يصل أثره إلى كل هذه الأعضاء التي اختل نظامها ولحقها من فساد القلب بسبب مرض الشك في الدين ما لحقها.

٣٩٤- تفيد أن بعض الناس يظن أن الكذب والخداع دهاء وذكاء وهي أمراض، وزيادة مرضهم- عقوبة لهم- ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

٣٩٥- تفيد أن المعاصي يجر بعضها بعضا فمن يكذب سيحلف كاذبا، وسيخدع، ومن يخدع سوف يحتال ويمكر، فالمعصية نقص على صاحبها.

٣٩٦- تفيد أن الصدق أهم وأنجع علاج للقلب من الأمراض؛ فمن يصدق مع الله سيصدقه الله.

٣٩٧- تفيد أن المرء يشعر بالذنب حين يكذب؛ وينقص به إيمانه فإن رجع ثبت إيمانه وزاد.. اسأل الله أن يصلح قلوبنا وأعمالنا.

٣٩٨- تفيد أن إطلاق العذاب الأليم وذكر سببه من دون تقييد بزمن أو مكان يدل على أنهم يتملكون العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، وأنهم كلما كذبوا كلما زاد عليهم المرض والألم.

٣٩٩- يفيد عدم ذكر الشيء الذي يكذبون فيه إشارة إلى أن حياة المنافقين كذب في كذب، ولهذا قال الرسول الكريم ﷺ: « اية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب...». ولهذا لم يقل: [بما كانوا يكذبون عليكم]، والآية تشتمل كذبهم على بعضهم وعدم تصديق بعضهم بعضا، ولهذا فحياتهم كذب في كذب، نعوذ بالله من النفاق.

[فائدة] أشار ابن القيم -رحمه الله- إلى أن المرض في الأصل يدور على أربعة أشياء: الفساد، والضعف، والنقصان، والظلمة. ومرض القلوب يعود إلى أربعة أمور: الشك، والجهل، والحيرة، والضلال.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١١-١٢].

أولا: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

أ) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾.

٤٠٠- تفيد أن في إبهام الناصح دلالة على وجوب قبول الحق من أي كائن مهما كانت مكانته.

٤٠١-- يفيد الفعل المبني لغير المعلوم ﴿قِيلَ﴾ أن المنافق يرفض قبول النصيحة مهما كان مصدرها، وأنه لا يوقر ناصحًا، ولا يحترم موجهًا، مهما كان قدره ومنزلته.

٤٠٢- تفيد أنه ينبغي أن يوجد في الأمة من يواجه المنافقين، وينهاهم عن الفساد والإفساد.

٤٠٣- تفيد أنه مهما تجدد هذا القول والنصح والتوجيه، فإن المنافق يظل على صدوده وإعراضه واعتداده برأيه الفاسد.

٤٠٤- يفيد التعبير بـ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ دون [إن قيل] على أن الصحابة الكرام قد أكثروا وبالغوا في نصح هؤلاء المفسدين في الأرض.

٤٠٥- تفيد أنه ينبغي لمن يتصدى للنصح والوعظ أن يكون همه قبول نصحه ووعظه لا الشهرة والصدارة فهؤلاء الصحابة علم الله حسن نيتهم فحفظت نصيحتهم دون أسمائهم وأشخاصهم.

٤٠٦- تفيد أن كل من أنكر – بالقول أو الفعل أو القلب - الفساد والمفسدين فقد صلح وأصلح كل على قدر استطاعته.

ب) قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

٤٠٧- تفيد فضيلة الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان أنها من صفات أهل الإيمان

وإذا ضيعت الأمة هذا الواجب بالكلية، عمت المنكرات، وشاع الفساد، وعندها تكون الأمة مهددة بنزول العقوبة الإلهية عليها، واستحقاق الغضب والمقت من الله تعالى. والمتأمل في أحوال الأمم الغابرة، يجد أن بقاءها كان مرهونا بأداء هذه الأمانة، كما قال تعالى عن أمة بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩].

٤٠٨- تفيد فضل الدعوة وما يقال من كلمات الحق في وجه أهل الباطل عند الله، حيث خلدها الله وذكرها نبراسا يقتدى بها.

٤٠٩- تفيد أهمية قيام العلماء والدعاة بواجب التصدي لأهل الفساد بنهيهم عن الفساد، وتوضيح ما يمارسونه من فساد للناس فقوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يشمل هذا وذاك.

٤١٠- تفيد أن صلاح الأرض ما فيها وما عليها يكون بالطاعة وفسادها يكون بالكفر والنفاق والمعاصي فهي سبب الكوارث والحروب المدمرة ومحق البركات وغيرها.

٤١١- تفيد أن النفاق من أكبر أسباب الفساد في الأرض، وأن غاية ما يعمل عليه المنافقون هو الفساد والإفساد في الأرض.

٤١٢- تفيد مع ما قبلها أن أعظم الفساد هو خداع عباد الله المؤمنين.

٤١٣- تفيد أن تصنيف الفساد والصلاح والخير والشر والقبح والجمال مقيد بالشرع، فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع.

٤١٤- تفيد أن من أعظم الفساد السعي لتحويل أمة من الخير والصلاح إلى الشر والفساد.

٤١٥- تفيد أن الفساد في الأرض يشمل انتشار الفساد عليها وهو الفساد العقدي والسلوكي ونحوه، كما يشمل فساد الأرض نفسها بتلوثها، وقلة بركتها ونحو ذلك وهذا من شؤم المعاصي، فإنه يلحق بالأرض وبالجمادات قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

٤١٦- تفيد نهيهم عن الفساد في الأرض إشارة إلى أن خطر النفاق متعدي، وفساده عظيم، وفي ذلك شواهد لأحداث السيرة النبوية، فمن إفساد المنافقين في الأرض ما كان من تواصلهم مع أعداء الإسلام، وما كان من خذلانهم للمسلمين عند الخروج للغزو والسعي بالفتنة.

٤١٧- تفيد النهي عن الفساد في جميع الأمكنة، خلوة وجلوة، سرا وعلانية.

٤١٨- تفيد أن المعصية وإن وقعت في جزء معين من الأرض كالمدينة مثلا، فهي شؤم على الأرض كلها، وقد تعمها إن لم تخمد في مهدها.

٤١٩- تفيد أن أهل النفاق يعملون بصورة جماعية منظمة؛ ومن هنا ينبغي التصدي لهم بصورة جماعية منظمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، لأن من مشاكل الدعاة اليوم في الغالب أنهم لا يواجهون الباطل بالطريقة التي يحارب بها المبطلون الحق.

٤٢٠- تفيد أن على الناصح والواعظ أن يختار العبارات المختصرة والعميقة في نصيحته فهؤلاء الصحابة اختاروا أربع كلمات فقط، ولكن دلالتها أعظم مما يتخيله أحد، جمعت لهم خيري الدنيا والآخرة، فما أعظمها من كلمة.

٤٢١- تفيد أن الداعي والناصح يبدأ في نصحه بالأسهل فالأسهل فإن ترك المنهيات أسهل من الإتيان بالمأمورات.

٤٢٢- تفيد أنه لما أبان الله ﷻ في شأن المنافقين في الآيات السابقة، أنهم أصحاب فساد قلبي ونفى عنهم الإيمان، ثم أبان سبحانه وتعالى عن إفسادهم في الأرض.. علمنا من ذلك: أن كل فكر واعتقاد خبيث لا بد أن يكون من لوازمه منتج وعمل خبيث، ولا بد أن يكون الإفساد في الأرض أحد ثمراته ومخرجاته.

٤٢٣- تفيد مزية للمدينة المنورة وأهلها، حيث وصفت بالأرض، وكأن الذي يفسد فيها كأنه أفسد في جميع الأرض، وتفيد كذلك أنها خالية من الفساد إلا ما يقوم به من هؤلاء المنافقون، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أن من يريد المقام فيها عليه أن يتجنب الإفساد فيها.

٤٢٤- تفيد صحة قاعدة: درء المفاسد أولى أو مقدم على جلب المصالح، فهؤلاء الصحابة لم يطلبوا من المنافقين أن يصلحوا في الأرض بل طلبوا منهم ألا يفسدوا فيها، ومن يمارسون الفساد لا يرجى منهم الصلاح.

٤٢٥- يفيد الجمع بين قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وبين قوله تعالى في قصة اليهود: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠] إشارة إلى أن المنافقين لم يبلغوا شأو اليهود وثباتهم على الفساد، ولهذا فإنهم كانوا ولا زالوا معلمو المنافقين ومخططيهم الاستراتيجيين في كل عصر من عصور الإسلام، وهم الذين قالوا: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

٤٢٦- تفيد أن الاصل في الأرض هو صلاح أمرها واستقامة حالها، وأن الفساد طارئ من قبل بعض الخلق، فالمولود يولد على الفطرة، وأمر الطبيعة منتظم لكن يأتي الإنسان فيغير ويبدل، ولهذا قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

٤٢٧- تفيد أن الفساد والإفساد ليستا من صفات عباد الله المؤمنين، وأن المؤمن إذا صدر منه فساد يستشعر مخافة الله فيرجع ويرعوي عن فساده، بخلاف المنافق الذي سلب منه الشعور والاحساس بأن ما يقوم به هو فساد في الأرض.

٤٢٨- تفيد أن الناس يعرفون الفساد ويعانونه ويعرفون حجم مشكلاته، لكن لا يعرف المفسدين إلا المصلحون.

٤٢٩- تفيد أن المنافقين ما دخلوا في شأن من شؤون المؤمنين إلا افسدوه، فهل ينتظر من المفسد الا الفساد، ولهذا فإن في الآية إشارة إلى ابعادهم عن شؤون المؤمنين وعدم إسناد أي أمر من أمور المؤمنين إليهم، ويا ليت قومي يعلمون.

ج) قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

٤٣٠- تفيد أن هؤلاء المنافقين يعلمون أو على الأقل قلقون من أن يكذبوا في قولهم، فجاءوا بمؤكدات لكلامهم من أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾وضمير الفصل ﴿نَحۡنُ﴾والجملة الاسمية المفيدة للثبوت والاستمرار ﴿مُصۡلِحُونَ﴾.

٤٣١- يفيد تعبير المنافقين بأنهم هم المصلحون تعريضا بهؤلاء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم بأن الفساد قادم منهم، وأنهم هم من يقومون بإصلاح فسادهم، ووجه الدلالة أنهم قالوا: ﴿نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ بدلا من قولهم: [نحن صالحون]، فجمعوا في عبارتهم كلا المعنيين، وما أشبه منافقي زماننا بمنافقي أسلافهم، من العلمانيين والليبراليين واذنابهم، حيث نسبوا كل فساد إلى الإسلام، وتصدروا المشهد وقالوا: نحن الصالحون المصلحون.

٤٣٢- تفيد أن المنافقين وأصحاب الماديات يظنون أن آراءهم وتصرفاتهم هي الأصلح للمجتمع، لقصور نظرهم على الحياة الدنيا.

٤٣٣- تفيد أن المنافقين في كل زمان ومكان هم أرباب التلاعب بالمصطلحات. فيجعلون الإفساد إصلاحا ويعدون المصلحين سفهاء، ويجدون لبضاعتهم رواجا.

٤٣٤- تفيد أن من آثار مرض القلب اختلال الموازين وانقلاب المفاهيم فيرى مريض القلب الإفساد إصلاحا وهو لا يشعر.

٤٣٥- تفيد كذب ادعائهم في تزكيتهم لأنفسهم؛ لأن المصلح أعلى مرتبة من الصالح، وبذلك يكونوا قد ادعوا لأنفسهم الصلاح والإصلاح.

٤٣٦- تفيد أن التصورات الفاسدة تمنع صاحبها من ملاحظة سلوكه المنحرف، ومعرفة الأشياء على حقيقتها، فيصير المعروف عنده منكرا، والمنكر معروفا.

٤٣٧- تفيد أن الإنسان قد يبتلى بالإفساد في الأرض ويخفى عليه فساده.

٤٣٨- تفيد أن من ظن أن عمله هو الحق وإن رآه العلماء باطلا ففيه شبه بالمنافقين.

٤٣٩- يفيد تعبير المنافقين بـ ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾دلالة على بيان شدة ما هم فيه من العمى، إلى درجة ظنهم أن ما يقومون به يمثل عين الصلاح.

٤٤٠- تفيد أن من علامات النفاق تزكية النفس، فقد قال المنافقون عن أنفسهم بصيغة الجزم والتوكيد والحصر ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾وأما الصادقون المصلحون حقا فشعارهم ما قال خطيب

الأنبياء عليه وعليهم السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]؛ وكم بين التعبيرين من فرق!.

٤٤١- تفيد أنه ينبغي لمن يتصدى للنصح أن يكون مستعدًا لإجابات وردود ضعاف النفوس وعليه أن يتصرف حيالها التصرف السليم دون ضرر ولا إضرار، ووجه الدلالة أن الناصحين من الصحابة كانوا يعلمون موقف المنافقين من خلال ما أخبرهم الله به في كتابه، وكانوا متوقعين منهم أي رد وإجابة سلبية على نصيحتهم ولو حتى بإجابة خادعة، ولكنهم قاموا بنصحهم معذرة إلى ربهم ولعلهم يرجعون.

٤٤٢- تفيد أنه ينبغي لمن يتصدى للنصح أن يبتعد عما يثير الضغينة في قلوب من يريد نصحهم، وألا يخبرهم بماضيهم السيء من الخداع والكذب، تجنبًا للضرر، وعملًا بقاعدة لا ضرر ولا ضرار.

٤٤٣- تفيد جرأة المنافقين في نسبة الصلاح إلى أنفسهم، وأنهم كانوا ينظرون إلى الدعوة النبوية باعتبارها فسادًا يستوجب المحاربة، وهذا دليل على رسوخهم في الكفر والعياذ بالله.

٤٤٤- يفيد عدم ذكر المنافقين ماذا يصلحون إشارة واضحة إلى أنهم يدعون الإصلاح في كل شيء، كما هو واضح من حالهم اليوم، فهم يدعون إصلاح التعليم وإصلاح السياسة والعلمنة فيها، وإصلاح أخلاق المجتمع بالمسلسلات والأفلام الهابطة والصور الخليعة، هذا هو دأبهم فما أحراه أن يكون فسادًا.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾.

أ] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾.

٤٤٥- تفيد بيان صفة من صفاتهم المانعة من الانتفاع بالقرآن، وهديه.

٤٤٦- يفيد ذكر أداة التنبيه وجود أعداد كثيرة من الناس الغافلين ممن يغترون بهم؛ بل وربما يعجبون بالشعارات الزائفة والبراقة التي يرفعها المنافقون - وما أكثرهم في عصرنا الحاضر- فجاء التنبيه الإلهي للمؤمنين بعدم الغفلة عن مخططاتهم والتنبه لمقاصدهم وأهدافهم، مهما تعددت أقوالهم وتنوعت شعاراتهم.

٤٤٧- تفيد أصلا في الرد على المفسدين، كما تفيد أصلا في مدافعتهم وجهادهم، وبيان كذبهم بكل طريقة ممكنة.

٤٤٨- تفيد أن الشرع لا يسكت على باطل، ولا على الفساد والمفسدين.

٤٤٩- تفيد أن المؤكدات لتفضح حالهم وتكشف حقيقتهم بقصد الحذر منهم.

٤٥٠- تفيد صحة قاعدة: فاقد الشيء لا يعطيه، فهؤلاء المنافقون فقدوا إصلاح فساد أنفسهم فكيف يصلحون فساد غيرهم.

٤٥١- يفيد دخول الألف واللام في ﴿ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾لبيان الجنس، كأنه جعلهم جنس المفسدين تعظيمًا لفسادهم، وكأنه لا يعتد بفساد غيرهم مع فسادهم، وكل فساد يصغر في جنب فسادهم، حتى كأن المفسد في الحقيقة هم دون غيرهم، وإن كان غيرهم قد يفسد. [منقول من الواحدي].

٤٥٢- تفيد أن هذا الإفساد والفساد سيكون دأبهم حالًا ومستقبلًا وهذا ثابت في حق المنافقين على مر الزمان، وفي ذلك إعجاز قرآني.

٤٥٣- يفيد عدم ذكر ما هم مفسدون فيه اشارة إلى أنهم مفسدون في كل شيء من شؤون الحياة، وأن الفساد عندهم مستشر وثابت لا يتزحزح ولو تغير رأس منهم جاء شبيهه الذي يفوقه في الفساد، ولهذا ينبغي للمؤمنين عدم إتاحة الفرصة لهؤلاء المفسدين في الإفساد في الأرض حتى يسلم منه العباد والبلاد، وما الأحداث الجارية في عالمنا المعاصر عنا ببعيد.

٤٥٤- تفيد إشارة خفية إلى أنه ينبغي للمرء أن يستخدم اللغة والنبرة التي يستخدمها الخصم في رده عليه، بل وأن يتفوق عليه في ذلك لإظهار الحق، فهؤلاء المنافقون استخدموا لغة التأكيد في كلامهم فجاء تنبيه الله لعباده مؤكدا بمؤكدات تفوق مؤكداتهم.

ب] قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾.

٤٥٥- تفيد أن من أعظم صفات المنافقين انعدام الشعور.

٤٥٦- تفيد مع ما قبلها أن الخداع والكذب والإفساد لا يرتكبها إلا فاقدوا الشعور؛ ولذا تكرر لفظ ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩] ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾[البقرة: ١٢].

٤٥٧- تفيد أن ادعاء الإصلاح لا يقول به المنافقون فقط؛ بل كل من أعمى الله بصيرته يصبح فرحا بتصرفاته لأنه في الحقيقة فاقد للشعور.

٤٥٨- يفيد عدم ذكر [ما الذي لا يشعرون به] إشارة إلى أنه أصبح هذا المنافق مخدرا بهذا الفساد الذي هو واقع فيه بحيث أصبح لا يشعر ولا يحس بفساده وإفساده ولا يشعر بأي شيء يتعلق بالدين والأخلاق والآداب في نفسه ومع مجتمعه، وما أكثرهم في زماننا لا كثَّرهم الله.

٤٥٩- تفيد أن من نصح ولم يقبل النصيحة، ففيه شبه بالمنافقين.

٤٦٠- تفيد أن فساد التصورات سبب في فساد التصرفات.

٤٦١- تفيد أنه ينبغي على المرء الرجوع إلى الحق، وطلب العلم، وعدم العجب والاستكبار، واتباع الهوى، فقد يخطئ المرء، وهو يظن أنه على حق، وأن سؤال الله الهداية والصدق في طلبها يعين في تبصر الحق.

٤٦٢- تفيد أن دعاة الباطل لن يدعو إلى باطلهم إلا بعد تمويهه، وأنه يجب على أهل الإيمان فضحهم وبيان إفسادهم.

٤٦٣- تفيد أنه لما كانت أعمال المنافقين من غير هدى فهي فاسدة وإن رأوها صالحة.

٤٦٤- تفيد أن الحكم على الادعاء مردّه إلى الله، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾وقوله عن فرعون عندما قال: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر: ٢٩] حكم الله عليه بقوله﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[هود: ٩٧].

٤٦٥- تفيد أن الأماني أقعدت كثيرًا من الناس عن اتباع الحق.

٤٦٦- تفيد أن من يريد أن ينصح ينبغي عليه مواجهة من يريد نصحه بالنصيحة وعدم الخوف منه مع مراعاة آدابها.

٤٦٧- تفيد أنه ينبغي لمن ولاهم الله أمور المسلمين أن يقوموا بمحاربة الفساد والمفسدين واستئصال جذورهم فهم أصل كل خراب في الأمة، وليس كل من ادعى اصلاحا مصلحا حقيقة، وليس كل من نسب إليه فسادا مفسدا حقيقة، وإنما العبرة بمن هو ملتزم بشريعة الله تعالى.

٤٦٨- تفيد مع ما قبلها أن مرض القلوب يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا، ويقلب الموازين الصحيحة فيجعل المفسد مصلحا، والمصلح مفسدا.

٤٦٩- تفيد فطنة أهل الدعوة وتميزهم الدقيق بين ما هو فساد وما هو صلاح مما يقال ويفعل حولهم، وأنهم لا ينخدعون بدعاوي أهل النفاق.

٤٧٠- تفيد أن المنافقين ممن انعكست فطرهم، فأصبح الحق عندهم باطلا والباطل حق، وهذا موافق بحالهم ونفاقهم.

٤٧١- تفيد مع ما قبلها من الآيات أن القلب المريض لا يخرج إلا نكدا «كل إناء بما فيه ينضح».

٤٧٢- تفيد أن المنافق حرم نور الفرقان بين الحق والباطل، فلذلك يعجز عن التفريق بين الفساد والصلاح.

٤٧٣-تفيد أن المنافقين ماضون في مشروعهم الإفسادي حتى بعد كشفه، وأنهم يموهون على إفسادهم بالشعارات البراقة، وأن البعض سيغتر بهم ويكون معهم، وأن الله محيط بعملهم فإفسادهم عائد على تدميرهم أنفسهم، ولا يشعرون أنهم إنما يفسدون مصالحهم ومستقبلهم في أخراهم ودنياهم.

٤٧٤- تفيد أن منهج الإسلام في الحكم على الأشخاص والفرق والجماعات لا يعتد بالدعاوى المجردة؛ بل يعتد بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة.

٤٧٥- تفيد أن كذب المنافقين يفضحه مخالفة حالهم لمقالهم، وهي آفة ظاهرة ثابتة فيهم.

٤٧٦- تفيد أن نظرة المنافقين للإصلاح نظرة معيشية قاصرة.

٤٧٧- تفيد أن الوضوح والصراحة في الإصلاح هي حقيقة السير على شريعة الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾.

٤٧٨-يفيد التعبير بصيغة المبني للمجهول إشارة إلى أن مهمة الدعوة الى الإيمان مسؤولية جميع المؤمنين وفيه فضل هذه الأمة، حيث أن كل أفرادها كبارا وصغارا، ذكورا وإناثا، شيوخا وشبانا، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٤٧٩- تفيد أن كل من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالحق وعلى هدى وبصيرة، يجاب إلى ما يدعو إليه دون النظر إلى شكله أو صفته.

٤٨٠- تفيد فضيلة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، إذ تميزوا عن اليهود في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فاليهود ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[المائدة: ٧٩].

٤٨١- تفيد أن الصحابة الكرام قد بالغوا وأكثروا في نصح هؤلاء المنافقين، وهكذا ينبغي أن يكون عليه أهل الصلاح والإيمان في كل زمان ومكان، بدلالة ﴿وَإِذَا﴾دون [وإن].

قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾

٤٨٢- تفيد أن الأصل في الناس والبشرية الإيمان، والفطرة السليمة السوية كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ...﴾[البقرة: ٢١٣] يعني على التوحيد، وكما قال تعالى في الحديث القدسي؛ «خلقت عبادي حنفاء كلهم فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم....». فالشرك والكفر طارئ.

٤٨٣- تفيد أن الأصل في الإيمان الاتباع ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾[البقرة: ١٣٧]، ولهذا فإن الإيمان الذي يقبله الله هو الذي كان عليه الصحابة والذي تلقوه من النبي ﷺ، وهذا مما يوضح ضلال الفرق التي خالفت منهجهم، وسلكت غير سبيلهم.

٤٨٤- تفيد أن الأصل وجوب فهم الدين على فهم السلف الصالح، وعدم شق الإجماع وعصا الجماعة.

٤٨٥- تفيد تأسيس مبدأ الاقتداء بالقدوة الصالحة.

٤٨٦- تفيد أن ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾من العام الذي يراد به الخصوص.

٤٨٧- تفيد أنه مع قلة الصحابة في ذلك الزمان، وكثرة من ناوأهم، لكن مع ذلك حكم الله عليهم بأنهم هم الناس، وهم الأمة، وكذلك من استمسك بالحق في أي زمان لا تضرهم القلة.

٤٨٨- تفيد أهمية إبراز جوانب الإيمان عند سرد حياة الصحابة للاقتداء، وأن الاكتفاء في سرد سيرتهم في جوانب الأخلاق أو الجهاد، وترك جوانب الإيمان نوع من الإخلال في تناول سيرتهم لا بد من علاجه.

٤٨٩- تفيد أن الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم هو طريق النجاة، والأمان من الانحراف، وكان منهجهم رضوان الله عليهم في تلقي القرآن هو التلقي للاهتداء والعمل، ولا يتكلفون تكلفا يخرج بهم عن الهدف من إنزال القرآن.

٤٩٠- يفيد قول الصحابة ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ صحة ما ذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، فهؤلاء الصحابة لم يأمروا هؤلاء المنافقين بأن يؤمنوا بقلوبهم كما آمنوا بلسانهم بل قالوا ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ وإيمان الصحابة رضوان الله عليهم معروف.

٤٩١- تفيد أن الصحبة الصالحة والتشبه بهم مما يزيد في إيمان العبد وسلامة القلوب ويزيل الأمراض التي علقت بها، فقولهم: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ يفيد أنه لا يمكن أن يتشبه بإيمانهم اذا لم يكن مصاحبا لهم.

٤٩٢- تفيد أن التعليم بالقدوة أولى وأفضل من التعليم النظري المجرد، وأن المتعلم يسرع إليه الفهم بالتعليم بالقدوة أكثر من التعليم النظري المجرد.

٤٩٣- يفيد بمفهوم المخالفة أن من لم يؤمن ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أي الصحابة فهو ليس بمؤمن، وفي ذلك إشارة للنفاق.

٤٩٤- يفيد عدم نسبة القائلين الإيمان إلى أنفسهم إشارة خفية إلى أنه ينبغي للعبد أن لا يزكي نفسه عند الآخرين، فهؤلاء الصحابة لم يقولوا للمنافقين [آمنوا كما آمنا] بل قالوا: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ وذلك إبعادا عن أنفسهم شبهة التزكية، وحتى لا يكون للمنافقين مدخل للطعن فيهم، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ﴾ [النجم: ٣٢].

٤٩٥- يفيد قول الصحابة رضي الله عنهم للمنافقين ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ تعريضا بالمنافقين إلى أنهم ليسوا أناسا، وأنهم خالفوا الفطرة السوية، وأنه لا ينبغي الاستئناس بإنسيتهم، بل يجب أن يجتنبوا، لأنهم شياطين، كما قال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٤].

ج] قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

٤٩٦- تفيد كشف صفة جديدة من صفات المنافقين وهي [صفة الكبر واحتقار المؤمنين] وهي من أخطر الصفات المذمومة، وهي مانع حقيقي من موانع الاهتداء والانتفاع بالقرآن.

٤٩٧- تفيد أن المنافقين لا تنفعهم الدعوة إلى الخير؛ لأنهم معجبون بأنفسهم، ومحتقرون لغيرهم.

٤٩٨- تفيد شدة طغيان المنافقين؛ لأنهم أنكروا على الذين عرضوا عليهم الإيمان، وهذا غاية ما يكون من الطغيان؛ ولهذا قال الله تعالى في آخر هذه الآيات: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.

٤٩٩- تفيد أن أهل الإيمان في كل زمان معرضون للأذى والاتهام والشتم من قبل المنافقين.

٥٠٠- تفيد أن العبد المؤمن معرض لأن يسمع شتائم وسباب أصحاب القلوب المريضة وعليه أن يتحلى بالصبر وسعة الصدر والإحتساب إلى الله، وأن يمضي قدما في دينه والتزامه بشرع ربه، فلو كان سلم أحد من ذلك لسلم الرسول الكريم ﷺ، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وما يجري في عصرنا الحاضر من المنافقين العلمانيين والليبراليين من الوقوع في أعراض الملتزمين والتنقص منهم والاستخفاف بشأنهم إلا خير مثال حي شاهد على ذلك.

٥٠١- تفيد أن أعداء الله في كل زمان، وفي كل مكان يَصِفون أولياء الله بما يوجب التنفير عنهم؛ فالرسل وصفهم قومهم بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر تنفيرًا عنهم، وأتباعهم بالسفهاء والأراذل.

٥٠٢- تفيد أن من كانت شيمته أكل لحوم العلماء والمستمسكين بدينهم فهو سفيه العقل.

٥٠٣- تفيد أن من يسب الصحابة وحملة الإيمان سفيه بل هو السفيه ولا أعظم من سفاهته.

٥٠٤- تفيد ردا قويا على الشيعة الروافض الذي يكفرون الصحابة رضوان الله عليهم ويطعنون فيهم ويسبونهم، فما أحراهم أن يكونوا هم السفهاء.

٥٠٥- تفيد ضلال الفرق التي تطعن في الصحابة رضي الله عنهم، وتصفهم بالسوء والسفه، وتتقرب إلى الله تعالى بسبهم، فلا يطعن فيهم إلا من اتصف بصفات المنافقين.

٥٠٦- تفيد أنه لا يضير الصالحين وسمهم بالسفه والجنون، فذاك وسم يوسم به، ويتهم به أهل الصلاح في كل زمان ومكان.

٥٠٧- تفيد أن رمي الصحابة بالسفه يدل على ديدن المنافقين في رميهم للمستمسكين بدينهم بقلة العقل والرجعية والتقليدية.

٥٠٨- تفيد وصفهم الآكد بالسفه، وقد جاءت المؤكدات ليستقر هذا الوصف لهم ويثبت في حقهم.

٥٠٩- تفيد أن الذي لا يعرف قدر الكرام من الناس دليل على خفة عقله واضطراب رأيه.

٥١٠- تفيد أن كل من لم يؤمن فهو سفيه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾[البقرة: ١٣٠].

٥١١- تفيد أن المنافقين دائما يضخمون ذواتهم، بادعاء الصلاح والعقل، كما تصنع الآلة الإعلامية اليوم، ويحاولون تحقير غيرهم وإتهامهم بالسوء؛ ولكن ينبغي أن ننظر ونتعامل معهم بالحقيقية التي تحدث عنها القرآن الكريم.

٥١٢- تفيد أن المنافقين أظهروا خداعهم الذي ذكر عنهم في الآيات السابقة تجاه المؤمنين، فهم لم يقولوا [لن نؤمن كما آمن السفهاء] بل أتوا بجملة الاستفهام حتى لا يسجل عليهم الصحابة عدم الإيمان، فيكونوا كفارا، وحتى يكون لهم مخرج إذا ووجهوا بقولهم هذا، فقبحهم الله واخزاهم، وما أكثرهم في زماننا هذا.

٥١٣- يفيد قولهم: ﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ دون قولهم [أنؤمن كهؤلاء السفهاء] إشارة خفية إلى أنهم يعتقدون أن الإيمان سفاهة، فجمعوا في ردهم هذا بين سب الإيمان وسب الصحابة رضوان الله عليهم.

د] قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾.

٥١٤- تفيد تحقيق ما وعد الله به من الدفاع عن المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾[الحج: ٣٨]، فإذا ذموا بالقول دافع الله عنهم بالقول؛ فهؤلاء قالوا: ﴿أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، والله ﷻ هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني هم السفهاء لا أنتم؛ فهذا من تحقيق دفاع الله تعالى عن المؤمنين.

٥١٥- تفيد تسلية لأهل الإيمان الذين يتهمون ويشتمون بأن الله تعالى يرد عداوة المعتدين عليهم، ويأتي حجم الرد بحسب حجم الاعتداء، فالجزاء من جنس العمل.

٥١٦- تفيد أن من يسب ويطعن فيمن لا يستحق السب والطعن جدير أن يعود عليه السب والطعن، وخير شاهد عل ذلك حديث الذي كان يسب أبابكر الصديق رضي الله عنه، فكانت الملائكه ترد عنه.

٥١٧- تفيد أن الحكمة كل الحكمة إنما هي الإيمان بالله، واتباع شريعته؛ لأن الكافر المخالف للشريعة سفيه؛ فيقتضي أن ضده يكون حكيمًا رشيدًا.

٥١٨- تفيد أن أهل الإصلاح لن يعدموا من يذب عنهم في غيبتهم ويحفظ لهم عرضهم.

٥١٩- تفيد الدلالة على جهل المنافقين؛ لأن الله ﷻ نفى العلم عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٣]؛ فالحقيقة أنهم من أجهل الناس. إن لم يكونوا أجهل الناس؛ لأن طريقهم إنما هو خداع، وانخداع، وتضليل؛ وهؤلاء المنافقون من أجهل الناس؛ لأنهم لم يعلموا حقيقة أنفسهم، وأنهم هم السفهاء.

٥٢٠- تفيد تمكن السفاهة من عقول المنافقين وأنهم حين ما أرادوا التخلص من ذلك باتهام المؤمنين به قرر الله ذلك أتم تقرير وحصر ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾وتأكيد حصر السفاهة فيهم بذكر الضمير وتقديمه ﴿هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، وقد قيل في المثل العربي: « عيرتني بدائها وانسلت ».

٥٢١- تفيد أهمية النظر لمن يطعنون في المنهج الحق بالوصف الذي نعتهم به القرآن، حيث وصفهم بالسفهاء وإن حملوا شهادات علمية أو تبوءوا مناصب قيادية.

٥٢٢- تفيد مشروعية الزيادة في الرد على المبطلين، وأن ذلك لا يدخل في المعاقبة بالمثل، ففي المناظرات والجدال معهم يحسن الرد على القول بما ينفيه ويبطله، مع زيادة التقليل من شأن قائله وبيان جهله.

٥٢٣- تفيد أن الإيمان لا يستقيم بلا علم. وأن العلم هو وسيلة لكمال الإيمان.

٥٢٤- تفيد أن السفه مناف للعلم وكلما زاد جهل الإنسان زاد سفهه.

٥٢٥- تفيد أن جهل المنافقين جهل مركب، فهم سفهاء جهال، ويجهلون أنهم جهال.

٥٢٦- تفيد خطورة جهل الإنسان بنفسه وعدم إدراكه لحقيقة حالته من العلم والجهل ومن الهدى والضلال، ومن الصلاح والفساد ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

٥٢٧- تفيد أن الناس يعرفون السفيه ويميزونه وهو لا يعرف نفسه؛ ولو عرف السفيه نفسه لعرف ربه.

٥٢٨- تفيد أن السفه والجهل والحمق قد يزين للإنسان عمله فيرمي الناس بأوصاف هو أليق بها وهم منها براء.

٥٢٩- تفيد أن السفهاء هم الجهلاء والحمقى وإن زانت صورهم أو حسنت أشكالهم وأجسامهم وهيئاتهم ومناصبهم؛ ولكنهم لا يعلمون فهم متناقضون من الداخل مشوهون ومتناقضون في إلقاء الشبهات في الظاهر.

٥٣٠- يفيد عدم ذكر ما الذي لا يعلمون إشارة خفية إلى أنهم جهلاء ولا يعلمون حقيقة الأشياء بل ولا حقيقة الأوصاف التي يصفون بها الآخرين.

٥٣١- تفيد دليلا على أن الشيء الواحد يجوز أن يسمى به أشياء مختلفة إذ تسميته - جل وتعالى - إياهم بالسفه، وهم كفار، وتسمية غيرهم في قوله: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ وهم مسلمون، دليل على إجازة ذلك، وزوال النكير عنه، وهذا هو الموضع الذي يغلط فيه الجهمية من أن الاسم إذا وقع على شيء لم يجز أن يوقع على مالا يشاكله في الصفات، فيزعمون أن الله لا يوصف بوجه، ولا يدين، ولا حب، ولا كراهة لمشاركته المخلوق في ذلك. مستفاد من النكت.

٥٣٢- يفيد عدم ذكر التصريح بأنهم جهلاء إلى التصريح بأنهم لا يعلمون إشارة خفية إلى أن من الجهل ما لا يذم صاحبه، وإنما المذموم عدم العلم بالشيء الذي ينبغي على المرء أن يعلمه، ففي نفي العلم عنهم إشارة إلى كلا الأمرين.

٥٣٣- تفيد أن الرد على الخصم ينبغي أن يكون على قدر كلامه المردود عليه، فالله عز وجل ترفع في رده على كلامهم هنا بذكر جميع أوصافهم التي يتصفون بها، فلم يقل: (ألا إنهم هم السفهاء الكاذبون الفاسقون) وإن كانوا مستحقين لجميع تلك الأوصاف، وقد جاءت بها في آيات أخرى. وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أن المؤمن لا يسف في الرد ولا يتفحش في الجدال والحوار.

٥٣٤- تفيد بيان منهج القرآن في الرد بحسب حال المردود عليه... ولعل في هذا الإيجاز نوع من التحقير، كما هي العادة في تحقير المعاندين، والرد عليهم بأوجز وأشد عبارة، وعدم الاسترسال معهم.

٥٣٥- تفيد أهمية القوة في الرد على المبطلين، وتفسير ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، في مناظرتهم وجدالهم، وأن ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ تختلف من حال إلى حال.

٥٣٦- يفيد في ذكر الاستدراك في هذه الآية وفي التي قبلها إشارة خفية للمؤمن المحاور والمناظر أن لا يهتم بإقناع الآخرين، وإن كان هو على حق، فإن هناك قناعات عند بعضهم لا تتزحزح ولا تتغير بسبب ما في نفوسهم وما جبلهم الله عليه من عدم الشعور والعلم، فليس كل من يحاور ويجادل يكون على قدر من العلم والفهم والفطانة.

٥٣٧- تفيد أن من زاد علمه زاد إيمانه وأن من قدح في المؤمنين الصادقين فهو سفيه -وإن زعم أنه عالم- وسمى المؤمنين سفهاء أو دراويش.

٥٣٨- تفيد أهمية التحلي بالإيمان الذي جاء في هذه الآية بعد التخلي عن الكفر والنفاق الذي ذكر في الآية التي سبقت.

٥٣٩- تفيد التأكيد الشديد والأكيد لسفه المنافقين وتأصله فيهم، وذلك عن طريق حرف ﴿إِنَّهُمْ﴾ وضمير الفصل [هم] وأل العهدية والاستغراقية ﴿ٱلْمُفْسِدُونَ﴾وكذلك نفي العلم عنهم ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

٥٤٠- تفيد أنه ينبغي أن تقدم الأقوال التي عليها نور وهدايات على الأقوال التي يعلوها الظلام ومرض القلوب، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنه لا ينبغي ذكر أقوال المنافقين وتناقلها مجردة من دون ذكر أقوال أهل العلم والصلاح والإيمان، وفي هذا ما يتوافق مع قول النبي صلى الله عليه وسلم، «وكره لكم قيل وقال» أي: الأقوال تؤدي إلى مرض القلوب ولم تكن لها فائدة علمية أو دينية.

٥٤١- تفيد أن العقيدة التي يقبلها الله تعالى لها مواصفات محددة لا يزيغ عنها إلا هالك.

٥٤٢- تفيد فضل العلم والتعلم فهو الذي يقود إلى الخير ويعصم من السوء والشر.

٥٤٣- تفيد مع ما قبلها أن أولى مهمات الدعوة إلى الله: النهي عن الإفساد والدعوة إلى الإيمان.

٥٤٤- تفيد أن الأمة لا تجتمع على ضلالة.

٥٤٥- تفيد أنه يلاحظ بديع السياق القرآن في التعبير بالسفه في هذه السورة، حيث قال في أولها: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾وهم المنافقون ثم قال: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾وهم اليهود، ثم قال: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ اليهود والمنافقون.

٥٤٦- تفيد أن أساليب المنافقين لا تضر إلا أنفسهم فمن أراد الله الهداية فلن يضره شيء.

[فائدة١] جمع هذه الآية وضمها إلى نظائرها، ينتج عنه بروز صورة تجسد أهم صفات المنافقين، وهي: [السفه، الإفساد، الكذب].

[١] الإفساد: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾[البقرة: ١٢]. [٢] السفه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[البقرة: ١٣].

[٣] الكذب: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[المجادلة: ١٨]

وهذه الصورة تبين فساد المنافق على مستوى الجنان، واللسان، والاركان.. فما أخبثه من كائن؟.

[فائدة ٢] يلاحظ كثرة الصفات الخبيثة التي اتصف بها المنافقون، فمن أبرز تلك الصفات التي ذكرت حتى الآن للمنافقين:

١- الكذب. ٢-الخداع، فهو كذب مع مكر وخبث. ٣- مرض القلب الذي يعني الشك والحقد والحسد وغيرها. ٤- السعي بالفساد في الأرض مع ادعاء الصلاح. ٥- انتفاء الشعور. ٦- التكبر. ٧- الجهل. ٨- السفه. ٩- العجب. ١٠- السخرية والاستهزاء. ١١- الهمز والغمز. ١٢- الظلم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

أ] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾.

٥٤٧- يفيد تكرار الحرف ﴿وَإِذَا﴾ دلالة على أن هذا ما سيكون منهم في المستقبل.. فقولهم غير مقيد بزمن نزول الآيات.

٥٤٨- يفيد تكرار الفعل ﴿قَالُوٓا۟﴾دلالة على أنهم يكثرون من الأقوال، وفي هذا إشارة إلى أن أفعالهم التي تظهر منهم هي محض ادعاء كأقوالهم.

٥٤٩- يفيد قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ إشارة إلى صفة من صفاتهم وهو: أنهم يكثرون من تزكية أنفسهم، حيث وصفوها بالإصلاح، ثم وصفوها بالعقل والرشاد، ثم وصفوها بالإيمان.

٥٥٠- تفيد أن المنافق يخاف من المؤمن وهو ذليل، لأنهم يبادرون المؤمنين بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ خوفا من افتضاح أمرهم، وخوفا من أن تتعطل مصالحهم الدنيوية، فهو يعيش خائفا ذليلا بين المؤمنين في كل وقت.

٥٥١- يفيد ذكر المؤمنين باسم الموصول تسجيل لهم بوصف الإيمان الحقيقي غير الإيمان الذي صدر من ألسنة هؤلاء المنافقين، وفي ذلك تعريض بهؤلاء المنافقين بأنهم لم يؤمنوا كإيمانهم.

٥٥٢- يفيد أن المنافقين لا يرغبون في المؤمنين، ولا يأنسون بهم، بدليل ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾جملة واحدة، ولكنهم يأنسون بأمثالهم من أهل الضلال بدليل ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾عبروا بزيادة التعبير الذي هو دليل على الأنس، لأن العادة أن التوسع في الحديث والإطالة في الكلام إنما تكون مع من لهم في القلب مكانة ومحبة.

٥٥٣- يفيد أن المنافق لا يأنس بالمؤمنين كذلك حيث عبَّر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة التي تدل على الأنس والمحبة والركون ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾مع شياطينهم إشارة إلى العلاقة الحميمة في سرية وخلوة؛ لأن الإنسان غالبًا يخلوا بمن يأنس به.

٥٥٤- تفيد أن المنافقين لم يكونوا يكثرون من حضور مناسبات المؤمنين، ولهذا كانت معظم لقاءاتهم لقاءا عابرا ولم يكن لقاء إيمانيًا.

٥٥٥- تفيد أن إنجازات المنافقين مجرد أقوال.

٥٥٦- تفيد التحذير من شهوة التصنع للأخيار فإنهم إنما قالوا ذلك للذين آمنوا تصنعًا وكذبًا.

٥٥٧- تفيد أن على المؤمن أن لا يغتر بما يقولونه في لقاءاتهم العابرة عبر إعلامهم، يدغدغون به عواطف المؤمنين بإظهار المودة لهم، فلو عرف ما يحيكون خلف الكواليس لكان أشد حذرًا.

٥٥٨- تفيد أن من فضل الله تعالى على المؤمنين أن جعل لقاءهم مع المنافقين لقاء عابرا لأن الجلوس عندهم والأنس بهم يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب، وقد نهى الله المؤمنين عن القعود مع الذين يخوضون في آياته: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٥٥٩- تفيد أنه ينبغي للعبد أن لا ينشغل بتقديم نفسه للآخرين، والحديث عنها والترجمة لها، فإن الإيمان عقد بين الله وعبده.

٥٦٠- تفيد زهد المنافقين في المؤمنين؛ ولذا استخدموا كلمة واحدة ﴿آمَنَّا﴾ من دون توكيد وبدون نفس، وفي نسبتهم إلى شياطينهم كلمتين مؤكدتين ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

ب] قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾تفيد جواز إطلاق وصف الشياطين على قادة الضلال والشر والفساد؛ لأنهم قاربوا في تصرفاتهم تصرفات الشياطين، بل وربما فاقوهم في ذلك.

٥٦١- تفيد تردد المنافقين، وظهورهم في جلوتهم مع المؤمنين، وغيبتهم في خلوتهم مع الكافرين، وفيهم يصدق وصف النبي ﷺ لما هم عليه حسًا ومعنى: «مثلُ المنافقِ كمثلِ الشَّاةِ العائرةِ بين الغنمَيْن. تعيرُ إلى هذه مرَّةً، وإلى هذه مرَّةً ــ وفي روايةٍ: بمثلِه ــ غيرَ أنَّه قال: تكرُّ في هذه مرَّةً، وفي هذه مرَّةً». أخرجه مسلم.

٥٦٢- تفيد أن كل جنس أو نوع يأنس بمن يشاكله باطنا، وأعلى درجات الصداقة والتوافق هي الخلوة؛ فلم يأت لفظ الانفراد إمعانا في ذكر سلوتهم وفرحهم بسلوكهم الباطن.

٥٦٣- تفيد أن المنافقين تبع وأذناب لأسيادهم يذلون بين أيديهم، ويلقونهم سرا لا علانية.

٥٦٤- تفيد إشارة إلى صفتين جديدتين يوصفون بهما [الذلة، والجبن].

٥٦٥- تفيد كشفا لمخبوئهم وفضحا لمستورهم، فالمقطع ينقل ما يدور وراء كواليس المنافقين ما شياطينهم، وهذا من عظمة القرآن.

٥٦٦- تفيد أن للمنافقين وأشباههم [زوار السفارات] مجالس وخلوات مع أسيادهم اليهود والنصارى يخططون للفساد والإفساد.

٥٦٧- تفيد بيان أثر المصاحبة والمخالطة والموالاة لمن كان من شياطين الإنس والجن.

٥٦٨- تفيد أن الثبات على المبدأ من سمات الشخصية الإسلامية، وأن التلون مسلك المنافقين.

٥٦٩- تفيد أنه ينبغي للعبد أن لا يجعل إيمانه رهنًا للصحبة يرتقي ويهوي بهم.

٥٧٠- تفيد أنهم خلوا حقا عن كل مؤمن لكنهم غفلوا أن الله معهم.

٥٧١- تفيد أن التحالفات بين المنافقين وبين شياطين الإنس والجن تتم في الخفاء والسر.

٥٧٢- يفيد إثبات معيتهم لـ ﴿شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ إشارة إلى التنفير والتحذير من حالهم، وحث المؤمن عن الابتعاد عن مثل حالتهم.

٥٧٣- يفيد نسبتهم إلى شياطينهم دلالة على تملك بعضهم لبعض وشدة الالتصاق الفكري والقلبي. وفي ذات الوقت قال تعالى عند ذكر المؤمنين ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فدلت على ما بين الفريقين من تباعد وانفصام وتنافر.

٥٧٤- تفيد أن الشياطين لا يظهرون في الصورة ولا الواجهة وإنما يحركون السذج أدوات لهم.

٥٧٥- يفيد تعبير رؤوسائهم بالشياطين إشارة إلى قبح أفعالهم وأشكالهم وصفاتهم، قال تعالى في وصف شجرة الزقوم: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥].

٥٧٦- تفيد أن مجالس أهل الفساد مليئة بكل فاسد وقبيح ومستهزئ، بخلاف مجالس المؤمنين الذي فيها الاحترام المتبادل والثقة المطلقة فيما بينهم.

٥٧٧- تفيد أن بعض ما يجري في تلك الخلوة الشيطانية مبيَّن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٥٧٨- تفيد خطورة شياطين الإنس خاصة اليهود فهم الذين يغذُّون النفاق في الأمة، ومن خلال المنافقين ينفذون مخططاهم العريضة.

٥٧٩- تفيد خطورة المجالس التي تعقد في الخلوات بين المنافقين وأعداء الأمة.

٥٨٠- يفيد ذكر ﴿شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ جمعًا دون [شيطانهم] إشارة واضحة إلى عدم وجود جبهة موحدة وكلمة واحدة للمنافقين، فرؤساؤهم عديدون كثر، واتجاهاتهم واهواؤهم متنوعة ومختلفة، ولم يزل ولن يزال المنافقون هذا دابهم ماضيا وحاضرا ومستقبلا، وهذا من فضل الله تعالى على المؤمنين، وما هذه التوجهات والاتجاهات التي نشاهدها اليوم للمنافقين [من العلمانيين والليبراليين والحداثيين و.....] إلا مثالا حيًا لما دلَّت عليه هذه الآية الكريمة.

٥٨١- تفيد أن أفضل الأزمنة والأمكنة لإرضاء من تريد إرضاءه هو مكان وزمان اختلاءك به، ووجه الدلالة ليس اقتداء بالمنافقين، وإنما هم فعلوا ما جرت به عادة البشر في مثل هذا الأمر، ولهذا استحسنت الخلوة مع الله لاستجلاب رضاه.

٥٨٢- تفيد أن حالة المنافق الحقيقية تظهر في الخلوات من جهتين: من جهة ما يقولونه من كلمات الولاء لساداتهم والطعن في المؤمنين، ومن جهة من يجتمعون معهم من أعداء الأمة للكيد والمؤامرة ضد الأمة والدين.

٥٨٣- يفيد التعبير بقوله: ﴿خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ دون قوله: [خلو بشياطينهم] انهم كانوا يتقصدون الخلوة بهم ويسافرون إليهم حيث كانوا للاختلاء بهم.

٥٨٤- تفيد أن أي منافق له مرجعية من أعداء الأمة يأخذ منها قوته وثقته، وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ بما يشير سيادتهم عليهم.

٥٨٥- تفيد أن القرارات التي يتخذها المنافقون ليست في مجالس علنية بل هي في مجالس سرية يكتنفها الغموض وتحفها الشياطين.

٥٨٦- تفيد أن المنافقين يخافون من افتضاح أمورهم ولهذا يلجأون إلى مجالسهم السرية لاستقاء الآراء والقرارات منهم.

٥٨٧- تفيد أن المنافقين ليس لهم قوة لمواجهة المؤمنين بقرارات علنية يتخذونها، بل كل أمورهم من خفاء إلى خفاء.

٥٨٨- تفيد أن المنافقين لشدة سفههم يعتبرون الخلوة بشياطينهم غنيمة ومفخرة لهم فيحرصون عليها ويطلبونها.. بينما أن لقاءهم بالمؤمنين إنما هو ليظهروا أمامهم بصورة غير صورتهم الحقيقية، فيبثوا سمومهم ويباشروا إفسادهم لكونهم يخلون بهم ويؤكدون لهم التبعية يشير ذلك إلى رفعت منزلتهم، وأنهم عقول مدبرة للشر.

ج] قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

٥٨٩- تفيد أن الاستهزاء صفة متأصِّلة في المنافقين لا تكاد تنفك عنهم.

٥٩٠- تفيد تعليل واعتذار المنافقين إلى شياطينهم عن قولهم للمؤمنين [آمنا] إشارة إلى أن التبرير وكثرة الأعذار سمات المخطئ دائما.

٥٩١- تفيد بمفهوم المخالفة أن المؤمن يستطيع أن يصرح بأحبابه وأصحابه فمعرفتهم شرف له وهم يشرفون ببعض.

٥٩٢- تفيد أن المنافقين يقدمون لأسيادهم التنازل تلو التنازل لإثبات أنهم معهم ولا يهمهم إلا رضاهم.

٥٩٣- تفيد أن المنافق ذنب تابع مهما بلغ من الرتبة والمنزلة، فلا يملكون القرار، كما تشير إلى أنهم سفهاء فلا يحسنون التدبير والتخطيط.

٥٩٤- تفيد أن المؤمن لا يذل إلا لله وتبعيته مرتهنة بما يرضيه سبحانه.

٥٩٥- تفيد كلمة ﴿مَعَكُمْ﴾ دلالات عظيمة وواضحة لمن عرف صفات المنافقين وأحوالهم، فهي تعني أنهم معهم قلبا وقالبا، وتعني أنهم معهم في كذبهم وخداعهم وبغضهم وحربهم على المؤمنين إلى غير ذلك من الأوصاف المذكور للمنافقين.

٥٩٦- تفيد أن تأييد المنافقين بعضهم لبعض وتعاونهم مع الكافرين ظاهرة منتشرة في كل زمان ومكان.

٥٩٧- تفيد أن تبعية المنافقين لشياطينهم لا نهاية لها، بل هي تحتاج مزيد تأكيد بالقول والفعل بصورة مستمرة.

٥٩٨- تفيد أن من ليس مع المؤمنين في إيمانهم فهو ضدهم، ويعمل لصالح عدوهم.

٥٩٩- تفيد أن على العبد أن يقدم رضا الله على رضا الناس، ويحذر سخط الله قبل سخط الناس، فلرب كلمة أودت بصاحبها، وخسر بسببها الدنيا والآخرة، نعوذ بالله من سخط الله.

٦٠٠- يفيد عدم ذكرهم [ما هم مستهزئون به] إشارة إلى أنهم مستهزءون بكل ما يتعلق بالمؤمنين وبدينهم ومبادئهم وأخلاقهم، ولعل ما يحصل من المنافقين في عصرنا الحاضر خير شاهد على هذا العموم.

٦٠١- تفيد الآية أنه ليس من الإسلام والإيمان بشيء من استهزأ بشعائر الدين، وأنه حتى لو لم يعرف العبد المسلم الحكمة من ذلك فعليه أن يسلم لله وينقاد لشرعه قال تعالى مبينا كفر

المستهزئين ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

٦٠٢- تفيد الآية أن رؤساء المنافقين وأسيادهم لا يثقون بأتباعهم ولا يصدقونهم لما تعودوا منهم من كثرة الكذب والخداع الحاصل منهم دائما، فهم متوجسون من بعضهم البعض، ولهذا فإن هؤلاء الأتباع أكدوا لشياطينهم بمؤكدات تؤكد لهم بما لا يدع مجالا لتكذيبهم أو محاولة خداعهم، وعلى هذا يظهر للمتأمل الفرق الشاسع بين مقولتهم للمؤمنين وبين مقولتهم لشياطينهم.

٦٠٣- تفيد بيان صفة من صفات المنافقين المانعة من الاهتداء بالقرآن وهي ميل قلوبهم لأهل الكفر وكراهيتهم لأهل الإيمان.

٦٠٤- تفيد أن إيمان المنافق لا يعدو ألسنتهم ومدة لقائهم بالمؤمنين، ولهذا جاء التعبير عن ذلك بالجملة الفعلية ﴿ءَامَنَّا﴾ بينما جاء التعبير بالجملة الإسمية التي في قوله ﴿إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ليدل على أن ركونهم إلى شياطينهم دائم ومستمر.

٦٠٥- تفيد أن النفاق يولد عدم الثقة بالنفس، فالمؤمن لا يحتاج كلما لقي المؤمنين أن يؤكد لهم إيمانه، ولكن كاد المريب أن يقول خذوني.

٦٠٦- تفيد أن من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أنه يكشف لهم ما يحاك ضدهم خلف الأستار.

٦٠٧- تفيد سعة علم الله واطلاعه على كل ما يقع في الكون من أمور ظاهرة أو خفية، فهو الذي يعلم السر وأخفى القادر على إبطال كل مخططات أعداء الأمة في خلواتها.

٦٠٨- تفيد أن المنافقين مع المؤمنين بقولهم، ومع الكافرين بقلبهم وقالبهم.

٦٠٩- تفيد أن المنافق مع المؤمنين يظهر التكبر والعلو كما في الآية السابقة، ومع قادة الكفر يظهر التذلل والخوف والتبعية والانكسار الذي يناقض علو المؤمن وعزته كما في هذه الآية، وهي سمة بارزة كاشفة.

٦١٠- تفيد أن المنافق من أخبث الناس وأكثرهم امتلاء بالشر، لأنه يلاقي الناس هذا بوجه، وهذا بوجه آخر، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «إنَّ شرَّ الناسِ ذو الوجهَينِ الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ وهؤلاءِ بوجهٍ».

٦١١- تفيد أصلا ومرتكزا في بيان معنى النفاق الذي هو إظهار خلاف ما يبطن، فإنهم إذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان لا الإسلام فحسب بل المرتبة العليا، وإذا انفردوا بأشباههم ومناصريهم أظهروا الكفر الحقد والكراهية للمؤمنين.

٦١٢- تفيد استحالة جمع المؤمن الصادق بين النقيضين، محبة الإيمان والكفر، وموالاة الصالح والطالح.

٦١٣- تفيد أن على العبد أن يكون على مبدأ يحيا عليه، ويموت عليه، وألا يكون متذبذبا فيه، وأن يأخذ أموره في الحياة بجدية وثبات لا لعبًا واستهزاء.

٦١٤- تفيد أن الإيمان يحرر المؤمن من التبعية للكافرين والثقة بهم.

٦١٥- يفيد ذل خلوات المنافقين لشياطينهم يقابله عبودية خلوات المؤمنين بربهم. وكل من الخلوتين تحقق المعية مع المختلى به، فهؤلاء مع شياطينهم وأولئك مع ربهم. فشتان بين الفريقين.

٦١٦- تفيد أن العبودية لله في الخلوات من أكبر أسباب الثبات على الحق. وذل الخلوات مع الشياطين من أكبر أسباب الانفلات والتقلب وعدم الثبات.

٦١٧- تفيد أن العبد إذا لم يمكن لديه خلوات مع الله استبدلها بخلوات مع الشياطين.

٦١٨- تفيد الحذر من التلون في دين الله [إياك والتلون في دين الله].

٦١٩- تفيد أن المنافقين جمعوا في هذه الآية مبدأ الولاء والبراء وأضافوا الاستهزاء إلي المتبرأ منهم، الولاء والبراء في قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾أي: نواليكم لا نوالي غيركم بل نتبرأ منهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ممن تبرأنا منهم.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[البقرة:١٥].

أ] قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

٦٢٠- يفيد الافتتاح بلفظ الجلالة تسلية لقلوب أهل الإيمان في دفاع الله عنهم، وتقطيعًا لقلوب المنافقين وإدخال الرعب والهلع فيها.

٦٢١- تفيد أن قمة العقوبة والتنكيل أن يتكفل الله ﷻ بنفسه لمعاقبة المنافقين.

٦٢٢- تفيد أنه لن يدوم استهزاء الطغاة أبدا إذ أنهم أضحوكة يعرف نهايتها المؤمنون.

٦٢٣- يفيد مجيء الفعل المضارع ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾الذي يدل على حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت، مع أن الأصل أن يجيء بـ [مستهزئ] ليطابق قولهم [مستهزؤون]، شدة ما يقع عليهم من عقوبة ربانية [مستفاد من الزمخشري].

٦٢٤- يفيد التعبير بالفعل في قوله ﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾دون الاسم [مستهزئ بهم] دلالة على صحة توبة المنافق إذا تاب، إذ لو كانت الجملة اسمية لخلت عن هذه الدلالة. [مستفاد من البقاعي].

٦٢٥- تفيد أن الاستهزاء من صفات المقابلة لله تعالى، وأن استهزاء الخالق ليس مثل استهزاء المخلوقين لا في حقيقته ولا في عاقبته.

٦٢٦- تفيد عظيم خسارة المستهزئ بهم من قبل الله، في مقابلة فلاح المستهزأ بهم من قبل المخلوقين من المهتدين الصالحين، وفي هذا تطمين للمؤمن وراحة وانتصار.

٦٢٧- تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فهؤلاء المنافقون ذكروا في الآية السابقة أنهم مستهزءون، فرد الله عليهم في هذه الآية وذكر أنه يستهزئ بهم.

٦٢٨- تفيد أن من أعظم الخذلان أن يستمر خداعك لمن يرصد جميع سكناتك وحركاتك.

٦٢٩- تفيد دفاع الله تعالى للمؤمنين، وكأن الله تعالى يقول للمؤمنين: إذا كانوا يستهزئون بكم وبدينكم وأنتم أوليائي فدعوهم لي فاستهزاؤهم بكم سيكون وبالًا عليهم وزيادة لهم في الطغيان وعدم بصيرتهم لمعرفة الحق.

٦٣٠- تفيد إشارة خفية إلى أن قضية النفاق والمنافقين هي قضية مواجهات مع المؤمنين في الخفاء والباطن، فكأن سائلا من المؤمنين سأل من يستطيع مواجهتهم بما في بواطنهم وما تخفي صدورهم من الاستهزاء، فجاء الرد والجواب الإلهي ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾مشيرا إلى أن الله ﷻ تكفل بالدفاع عنكم فلا عليكم من استهزائهم.

٦٣١- تفيد ردًا على المعتزلة ومن يقول بقولهم من أنه يجب على الله فعل الأصلح لعباده. نعوذ بالله من سوء الأدب مع الله ومع كتابه.

ب] قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾

٦٣٢- يفيد ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ إشارة إلى سبب هذه العقوبة. وهو الكبر والفجور، وتجاوز الحد فمن هم حتى يستهزؤوا بأولياء الله؟

٦٣٣- تفيد ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ صورة من صور عذابهم وهو عذاب الحيرة والشك والارتياب. وهو أيضا من صور الاستهزاء بهم.

٦٣٤- تفيد أن غاية التنكيل والعقوبة أن تزاد وتمد على العبد وتتجدد وتتحدث له.

٦٣٥- تفيد أن التمادي في الاستهزاء والسخرية يطمس القلب حتى يصيبه العمى.

٦٣٦- تفيد أن من ينأى بنفسه عن السخرية يسلم له قلبه؛ فلا يظلم ولا يظلم.

٦٣٧– تفيد كمال عدل الله تعالى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[الشورى:٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ﴾[المائدة:٩٥] فكثرة سيئاتهم الشنيعة والعظيمة دليل على عودتهم لما ينهون عنه ويحذرون منه، فلذلك استحقوا الدرك الأسفل من النار.

٦٣٨– تفيد إضافة الطغيان إلى ضمير المنافقين إشارة إلى قبح هذا الطغيان، وأنه مما عرفوا واختصوا به.

٦٣٩– تفيد أن عاقبة الطغيان الخذلان.

٦٤٠– تفيد أن السيئة تأخذ بأختها حتى تجتمع السيئات على العبد فتهلكه.

٦٤١– تفيد أن النعم التي يتنعم بها المنافقين إنما هي استدراج من الله، وأنه سبحانه وتعالى يمهلهم ولا يهملهم وإذا أخذهم لم يفلتهم كما جاء في السنة.

٦٤٢– تفيد عظمة رحمة الله تعالى حيث أمهل هؤلاء المنافقين مع طغيانهم وفسادهم.

٦٤٣– تفيد أن نفسية المنافق مضطربة وغير مستقرة، فلما كان له وجهان ظاهر وباطن يتردد بينهما، كذلك عوقب بالعمه والحيرة جزاء من جنس عملهم.

٦٤٤– تفيد أن من أشد أنواع العذاب الدنيوي عذاب الشك والحيرة والتردد [العمه] وهو ملازم لعمى البصيرة وهو من ثمرات النفاق ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ...﴾[النساء: ١٤٣] في مقابل نعيم الثبات واليقين للمؤمنين.

٦٤٥– تفيد بعدًا وشتان ما بين المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ وبين المؤمنين الذين قال الله عنهم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ...﴾[إبراهيم:٢٧]، ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾[الكهف: ١٤].

٦٤٦– تفيد عظم عقوبة المنافقين وزيادتها على عقوبة الكافرين، فالله ﷻ قال عنهم: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾، وقال عن عقوبة الكافرين ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[الأعراف:١٨٦]

٦٤٧– تفيد أن كثيرًا ممن هم ليسوا على استقامة يفتقدون الطمأنينة، فهم في تردد وحيرة، بحسب ما وقر في قلوبهم من باطل، وبعضهم يعاني حالات نفسية ووسواس قهري عجيب، عافانا الله وإياهم.

٦٤٨– تفيد هذه الآية الكريمة مع النظر والتأمل في سياقات الآيات السابقة أن المنافقين بلغوا في نفاقهم وتعاملهم مع عباد الله المؤمنين مبلغًا استحقوا من الله الجبار انتقامًا يليق بقبيح فعلهم

وشنيع صنيعهم، فإنهم في أول الآيات السابقة نسبوا لأنفسهم وصفًا لا يستحقونه، وتشبعوا بما لم يعطوه من وصف أنفسهم بالإصلاح، فكان رد الله عليهم أن سلب هذا الوصف عنهم وأعطاهم وصفًا يستحقونه، وقد جاء في الحديث « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور »، ثم في الآية التي بعدها نسبوا لعباد الله المؤمنين وصفًا لا يليق بهم، فكان رد الله على المنافقين نسبة هذا الوصف إليهم، ونفيه عن عباده المؤمنين، ثم في الآية التي تليها نسبوا لأنفسهم وصفًا صحيحًا لائقًا بهم وبأفعالهم ظانين أنهم بهذا الوصف يمدحون أنفسهم، فجاء في هذه الآية فعلًا لائقًا بالله تعالى مقابلًا لوصفهم القبيح وفعلهم الشنيع، في إشارة خفية من سياق هذه الآيات إلى أن الله ﷻ يدافع عن الذين آمنوا قولًا وفعلًا، ظاهرًا وباطنًا، وفي عدم ذكر كيفية استهزاء الله بهم إشارة واضحة إلى أنه استهزاء عظيم، لا يقادر قدره ولا يعرف مداه إلا الله سبحانه وتعالى، وفي هذا من التهديد الأكيد والوعيد الشديد ما لا يبلغه وصف الواصفين، ولا تدركه عقول المتأملين والمتدبرين لكتاب الله تعالى، [وعقلي القاصر يقف إلى هذا الحد]، فما أعظم هذا التناسق والترابط في كلام الله تعالى، وما أروع هذا الترتيب المتسلسل لهذه الآيات الكريمة.

٦٤٩- يفيد التعبير بالفعل دون الاسم في ﴿يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ و ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ أن أعظم النكايات وأقسى العقوبات على المنافقين أن تتجدد عليهم، وتحدث لهم وقتًا بعد وقت، بحيث إنهم إذا رجو انقطاعها عنهم، تعود عليهم وتتجدد لهم مما يجعلهم في حياة شقاء ونكد وخوف من أي مكروه يأتي عليهم في المستقبل، ولهذا قال تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤].

٦٥٠- تفيد إشارة إلى أن حياة المنافق كلها شقاء ونكد، فلا يهنأ له عيش، ولا يستقر له مقام، بل هو في تيه وظلام، وتردد وحيرة في الأمور الخاصة والعامة.

٦٥١- تفيد سياقات الآيات الكريمة السابقة أن الكذاب دائما ما يفضح نفسه بنفسه، ويمكن ملاحظة ذلك والرد عليه من كلامه، فهؤلاء المنافقون الكذبة وصفوا أنفسهم بوصف الإصلاح والصلاح، فهل المصلح يستحقر غيره من الناس ويزدري بهم ويستهزئ بهم، ويأخذ الآراء والتوجيهات من الشياطين؟ ما أحقر الكذب والكذبة.

٦٥٢- تفيد أن من لم تدركه العناية الربانية فهو في ظلمات الباطل يتخبط إلى نهاية عمره.

٦٥٣- تفيد خطورة أذية المؤمنين؛ حيث جمع الله للمنافقين بين عقوبة الدنيا والآخرة.

٦٥٤- تفيد أن من أراد الخاتمة الحسنة فليبتعد عن كل صفة عرف بها المنافقين.

٦٥٥- تفيد خطورة مجاوزة الحد في حق الله أو حقوق عباده.

فائدة [١]

الاستهزاء من صفات المقابلة لله تعالى، قال ابن عثيمين -رحمه الله-: « الاستهزاء هنا في الآية على حقيقته؛ لأن استهزاء الله بهؤلاء المستهزئين دال على كماله وقوته، وعدم عجزه عن مقابلتهم؛ فهو صفة كمال هنا في مقابل المستهزئين مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]أي أعظمَ منه كيدًا؛ فالاستهزاء من الله تعالى حق على حقيقته، ولا يجوز أن يفسر بغير ظاهره؛ فتفسيره بغير ظاهره محرم؛ وكل من فسر شيئًا من القرآن على غير ظاهره بلا دليل صحيح فقد قال على الله ما لم يعلم؛ والقول على الله بلا علم حرام، فنحن نؤمن بأن الله جل وعلا يستهزئ بالمنافقين استهزاءً حقيقيًا؛ لكن ليس كاستهزائنا؛ بل أعظم من استهزائنا وأكبر، وليس كمثله شيء ».

فائدة [٢]:

في الفرق بين [المد] و[الإمداد]: قال الراغب الأصفهاني في تفسيره: [١/ ١٠٤]: « وأصل المد الجر ومنه المدة، ومدة الجرح، ومد النهر، ومده نهر آخر، وإمداد الجيش، وإمداد الإنسان بالطعام، وقال بعضهم: أكثر ما جاء من الإمداد في القرآن في الخير نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور:٢٢] وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، وقال: وما كان من المد فبالشر نحو قوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:٧٩]، وقال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] ».

فائدة [٣]:

أفاد الشيخ السعدي -رحمه الله- أن استهزاء الله بالمنافقين في الدنيا والآخرة: ففي الدنيا بأن يزين لهم ما هم فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين. وفي الآخرة أنه سبحانه يعطيهم مع المؤمنين نورًا ظاهرًا، فإذا مشى المؤمنون بنورهم أطفأ الله نور المنافقين، وبقوا في الظلمة متحيرين.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦].

أ] قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾.

٦٥٦- الإشارة بالبعيد للمنافقين مع قربهم في المكان والزمان تفيد -والله تعالى أعلم- أهمية استحضار كل تلك الصفات القبيحة التي اتصفوا بها، وهي صفات تدل على خبثهم ذلتهم وحقارتهم.

٦٥٧- تفيد مستوى السفه والتبلد الذي عليه المنافق، فمن يأخذ الضلالة ويترك الهدى فهو سفيه، فكيف بالذي يشتريها، وكيف بمن يشتريها بأعظم ثمن في الوجود وهو الهدى، فهي تصور سفه تلك العقول بصورة دقيقة.

٦٥٨- تفيد بمفهوم المخالفة أن التجارة الرابحة هي التي يشتري فيها العبد هداه.

٦٥٩- تفيد أنه كما تُشترى الماديات تُشترى المعنويات، فالضلالة والهدى معان قد يظن أنها لا تباع وتشترى، لذا نجد كل من كان في الضلالة يسير عليه بيع ذمته.

٦٦٠- تفيد أن المنافقين همهم وغايتهم الدنيا، ونيل ملذاتها، ولذا عبر بالشراء، ويمكنهم بيع أي شيء لأجلها ولا قدر لشيء دونها.

٦٦١- تفيد أن من يشترى الضلالة بالهدى لا ينبغي الوثوق به أو ائتمانه، لأنه لا يعرف قدر الأشياء والمواقف.

٦٦٢- تفيد أن المنافقين يزين بعضهم لبعض الباطل والمسارعة فيه ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾حيث تسارعوا جميعا للشراء.

٦٦٣- تفيد أن للهداية أسباب كما أن للضلالة أسباب، ومن أسباب الضلال شراء الكفر بالإيمان والضلالة بالهدى.

٦٦٤- تفيد زهد المنافق في الهدى وحبه العظيم للضلال؛ لأن المشتري لرغبته فيما يشتريه يكون زاهدا في الثمن الذي يبذله، فهم راغبون في الضلالة، زاهدون في الهدى.

٦٦٥- يفيد التعبير بالاشتراء في هذا الموضع بيانا لبواطن ودخائل هؤلاء المنافقين؛ لأن المشتري في الأصل لا يشتري الشيء إلا وهو محتاج إليه راغب فيه، وهذا يدل على أن المنافقين آثروا الضلالة على الهدى، والغواية على الرشد عن رغبة وحرص واجتهاد.

٦٦٦- تفيد الآية أن هؤلاء المنافقين عرفوا الهدى فاستبدلوه بالضلالة وهم يعرفونها.

٦٦٧- تفيد أن الضلالة ممقوتة بالفطرة، وأن شاريها في المقياس الفطري قبيح مذموم.

٦٦٨- تفيد أن القرآن هو الفرقان بين هذه الأصناف الثلاثة: المؤمن والكافر والمنافق، فمن أخذه اهتدى وكان من المصلحين ومن أعرض عنه ضَل وكان من المفسدين.

٦٦٩- تفيد التنفير من الضلالة؛ لأن الذين يسارعون إليها هم أهل النفاق، فهي سلعة زبائنها حثالة البشر، خلاف الهدى الذي خص الله به خيار الخلق من الذين اصطفاهم.

٦٧٠- تفيد أن من أعظم الخسران أن يزين للإنسان سوء عمله؛ لأن هؤلاء اشتروا الضلالة بالهدى ظنًا منهم أنهم على صواب، وأنهم رابحون، فقال الله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾.

٦٧١- تفيد أن الذي يذهب لشياطين الإنس ويظهر الولاء والحب، إنما يذهب لخسارة الدنيا والآخرة، وإن ظن أنه سوف يربح منهم، إذ أنهم لا يبيعون سوى الضلالة.

٦٧٢- تفيد أن الشراء يطلق على عموم المبادلة بين شيئين أو أشياء، سواء كانت حسية أو معنوية.

٦٧٣- تفيد مستوى وصول رغبة المنافقين في الضلال، حيث عبر عن رغبتهم بمن يشترى سلعة بأعظم ثمن.

٦٧٤- يفيد التعبير بـ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ إشارة إلى أن المنافقين قادرون على الإيمان بالفطرة لو نظروا واعتبروا.

٦٧٥- تفيد أن من أعظم الابتلاءات على الإنسان أن يعمل العمل على غير هدى وهو يظن أنه على الحق ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

٦٧٦- تفيد غباء المنافق حين يشتري الضلالة بنفسه وماله وأعماله ليظلم نفسه وبقية أعماله - إن كان له فيها عمل صالح-.

٦٧٧- تفيد الحث على التزام هدى القرآن، فإن فيه الربح الكامل في الدنيا والآخرة، كما فيه التنفير عن طرق الضلال.

٦٧٨- تفيد أن الذين يشترون أمورا ساقطة بمبالغ ضخمة لا تساوي شيئا بالنسبة لقيمتها فيهم شبه بالمنافقين، ولهذا إذا رأيتم من يشتري حطام سيارة بمبلغ [١٠٠٠٠٠٠٠] دولار لا تتعجبوا، فإن لهم في المنافقين سلف.

٦٧٩- تفيد الآية أن صاحب العقل الرشيد يكتب له النجاح والتقدم في الدنيا والآخرة وصاحب العقل السفيه عكس ذلك، وفي أقل عبارات أن الرشد سبب الهداية والسفه سبب الغواية.

٦٨٠- تفيد ردًا على أهل الضلال القائلين إن العبد مسير مطلقا لا مخير.

٦٨١- تفيد أن المنافقين اختاروا الضلال بل اشتروه فأضلهم الله كما في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]، وهذا عدل منه سبحانه في إضلال هؤلاء وكما في قوله أيضًا: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل.

٦٨٢- تفيد الآية أن هناك تجارة وهناك مبيع ثمين وضده وهناك مشتري أمامه فرصة جيده لشراء الأفضل، فبادر المؤمنون لشراء الهدى، وركن المنافقون لشراء الضلال.

٦٨٣- تفيد الآية إشارة إلى أن الإنسان يظهر ذكاءه وغباءه، بل وسفاهته ورجاحة عقله في أثناء البيع والشراء والربح والخسارة، ولهذا جاء ذكر البيع والشراء والربح في هذه الآية، في إشارة إلى سفاهة وغباوة عقول المنافقين مع تحقق الخسارة لهم، وقد صدق الله تعالى حين قال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

ب] قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾ يفيد الاتيان بالفاء في قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ﴾دلالة على سرعة ظهور عدم الربح في هذا البيع والشراء.

٦٨٤- تفيد أنه لا ربح في الحقيقة لمن اشترى دنياه بآخرته، ولو استمتع بالذي اشتراه في دنياه فهو مغبون في الحقيقة.

٦٨٥- تفيد أن التجارة الحقيقية هي التجارة مع الله، ومن ليست عنده تجارة مع الله فهو الخاسر وإن كانت له كل تجارات الدنيا.

٦٨٦- تفيد التأكيد على ألَّا خاسر فيمن يتاجر مع الله - وإن نقصت دنياه-.

٦٨٧- تفيد أن جنس تجارة المنافقين خاسرة مهما قام بها من قام من أمهر التجار وعقولهم الاقتصاديين.

٦٨٨- يفيد لفظ ﴿الربح﴾ معنى أكثر من المكسب، وإن بدا للناس مكسبا؛ فالربح ثابت في تصفية التجارات، والكسب ثمن وهمي في المبيعات.

٦٨٩- تفيد أن المنافقين أرادوا الربح الدنيوي فلم يربحوا لا دنيا ولا دينا ولا آخرة.

٦٩٠- تفيد أن الأعمال السيئة لا يجني الإنسان من ورائها إلا العاقبة السيئة.

٦٩١- تفيد شدة خسارة المنافق، فإن نفي الربح عن التجارة يفيد كسادها بالكامل من أول يوم، فالمنافق حياته كلها خسارة.

٦٩٢- تفيد أن المدار في الربح والخسران على اتباع الهدى؛ فمن اتبعه فهو الرابح؛ ومن خالفه فهو الخاسر؛ ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

٦٩٣- تفيد حث المؤمنين على الحفاظ على رأس أموالهم وهو] الهدى]؛ لأن الربح فيه مؤكد.

٦٩٤- تفيد أن بعض الربح في أجزاء التجارة - في حقيقته - كسب خبيث والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

٦٩٥- يفيد ورود الضلالة بالإفراد والهدى بالمصدر، دليلا على عظم خسارتهم في مقابل الهدى العظيم، فبالضلالة الواحدة يخسرون الهدى، فكأنهم باعوا جنس الهدى واشتروا ضلالة واحدة وهي النفاق، ويالها من ضلالة، ويالها من خسارة، وفي هذا ما يشهد لقاعدة [الزيادة في المبنى دليل على الزيادة في المعنى].

٦٩٦- يفيد الاتيان بالفاء في قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت﴾ دلالة على سرعة ظهور الخسارة والغبن في هذا البيع والشراء.

٦٩٧- تفيد أن كل من يتبع طريق الضلال فهو خاسر لا محالة.

٦٩٨- تفيد أن كل من خادع في شرع الله وفي دينه فهو يندرج مع هؤلاء الذين خسروا في تجارتهم.

٦٩٩- تفيد أن الخاسر قد لا يعلم حجم خسارته ولا يشعر بكثافتها؛ ولذا توجه الخطاب وصفًا لواقعهم ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾، و ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ والمؤمنون يرون كل ذلك ويشاهدونه.

٧٠٠- تفيد هذه الآية مع ما سبقها من قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]. أنه ينبغي على من ولّاهم الله أمور المسلمين أن لا يمكنوا هؤلاء المنافقين من تعليم أبناء المسلمين والتصرف في تشكيل عقليتهم، فإن أعظم أموال المسلمين بل

واستثماراتهم في المدى القصير والطويل هي عقول أبنائها، ولو تركت هذه العقول للمنافقين، فإن الخسارة حتمية، وإن الربح مفتقد ومنتف من الأمة، لأن من لا تربح تجارته إذا أدخل في تجارة أو جعل مسؤولا عنها فإنه سوف يهوي بها في مستنقع الخسارة، ولا شك عندي أن تخلف المسلمين وخسارتهم في عصرنا الحاضر في أعظم مجال للاستثمار والربح وهو مجال استثمار العقول وتنميتها، هو بسبب تولي المنافقين ومرضى القلوب وتحكمهم بأمور هذا القطاع المهم والعظيم والكبير.

٧٠١- يفيد العدول عن ذكر الخسارة إلى ذكر نفي الربح عن تجارتهم أي دون قوله: [فخسرت تجارتهم] إشارة واضحة إلى أن العباد يهمهم الربح قبل كل شيء، وأنه هو الذي يسعون إليه، وكأن الذي يبيع ويشتري أول ما يفكر فيه هو الربح في بيعه، وأيضا فيه إشارة خفية إلى أن خسارة تجارتهم قد لا تظهر لهم كما يظهر لهم عدم الربح فيها؛ لأنهم في نفاقهم يظنون أن رأس مالهم موجود وأن عدم ربحهم في خداع المؤمنين لا يعني خسارة تجارة النفاق، وأنهم قد يعاودون الكرة مرة أخرى، علَّهم يحالفهم الحظ في الربح، ولكن هيهات هيهات، إنهم في طغيانهم يعمهون.

ج] قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾

٧٠٢- تفيد أن المنافقين لم يكون مهتدين بالقرآن، بسبب الموانع التي ترسبت في قلوبهم مما تضمنته الآيات السابقة.

٧٠٣- تفيد أن المنافق لم يهتد إلى الهدى؛ ولن يهتدي إليه مادام على هذا الطريق المنحرف.

٧٠٤- تفيد عظم نعمة الهداية التي حرم منها هؤلاء وكيف ظهر أثر ذلك في حياتهم.

٧٠٥- يفيد ذكر ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ بالرغم من إفادة وعلم ذلك من قوله: ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ إشارة خفية إلى أنهم في تجارتهم غير مهتدين لا هداية دينية ولا دنيوية، وكأن الله ﷻ سلب منهم الهدايتين: هداية التوفيق والإلهام، وهداية الإرشاد والبيان. فليسوا مهتدين لا في دينهم ولا في دنياهم، لأنهم في طغيانهم يعمهون.

٧٠٦- تفيد صيغ الماضي ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ و ﴿رَبِحَت﴾ بمثابة متحقق الوقوع لمن يعاود شراء كهذا.

٧٠٧- تفيد أن الانحراف قد يصل بصاحبه إلى تصرفات لا تقبلها العقول النيرة والفطر السليمة.

٧٠٨- تفيد أن الإنسان قد يظن أنه يحسن عملا وهو قد أساء.

٧٠٩- تفيد أنه لا يجوز التلاعب بدين الله.

٧١٠- تفيد عواقب ما سبق من صفات ذميمة، وكيف يخسر بها الإنسان في الدنيا والآخرة [الخداع، الكذب، الحقد، والحسد...].

٧١١- تفيد مصداقا لقول النبي ﷺ عن الفتن: «يبيع دينه بعرض قليل من الدنيا». وقال أحد السلف: لقد رأيت من يبيع دينه بغير عوض. وقال أحد المعاصرين: ولقد رأيت من يبيع دينه بدنيا غيره، وأسفه من هؤلاء جميعا من ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾.

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة:١٧].

أ] قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

٧١٢- تفيد براعة وبلاغة القرآن حيث يضرب للمعقولات أمثالًا محسوسات؛ لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول؛ وحتى يدركها الإنسان ويعي ما فيه جيدًا، والمعاني التي تأتي في الأمثال فوق ما تتصورها العقول، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٧١٣- تفيد أن ضرب الأمثال يمثل معلمًا من معالم منهج القرآن في التربية والتعليم، وفي ذلك استحسان لضرب الأمثال في التعليم والدعوة بهدف تقريب المعاني إلى الأذهان، حيث تعرض الغائب في صورة الحاضر، والمعقول في صورة المحسوس، وتجعل الصورة البعيدة من المعاني قريبة.

٧١٤- تفيد رحمة الله بعباده عبر تقريب بعض القضايا وتصويرها بالأمثال، والتي تنقلها من حيز المعقول الى حيز أقرب إلى المحسوس.

٧١٥- تفيد ثبوت القياس، وأنه دليل يؤخذ به؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد؛ وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس. والله أعلم.

٧١٦- تفيد دليلا على أن في القرآن الكريم أدلة عقلية؛ لأن الأمثال أقيسة عقلية والأدلة العقلية في القرآن أعظم وأوضح في تبيين المراد من أدلة الفلاسفة والمتكلمين كما أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

٧١٧- تفيد بيان انعكاس الحالة النفسية التي يعيشها المنافقون، فهم كأناس مظلمة عليهم الدنيا تحصلوا على نار ليستضيء بها فلما رأوا منها النور فقدوا النور.

٧١٨- تفيد دليلا على أن الإيمان لم يخالط شغاف قلوب المنافقين ذلكم أن الضوء كان عارضًا والظلمة هي الأصل.

٧١٩- تفيد دقة التصوير القرآني للأحوال، فالصورة المضروبة هنا للمنافق صورة دقيقة؛ لأنه لما أقرَّ بلسانه من غير اعتقاد بقلبه كان ما معه من النور كهذه النار المستعارة ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ فنوره مستوقده من غيره، وليس نابع من دواخله، فكل هذه المعاني التشبيهية جمعها القرآن الكريم في كلمة.

٧٢٠- تفيد بلاغة التعبير القرآني حيث قال: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ دون [أوقد] بما دلت عليه الهمزة والسين والتاء من طلب ومشقة في سبيل إشعال النار.

٧٢١- تشير هذه الآية أن المنافقين هم الذين يوقدون نار الفتنة بين المؤمنين ليستفيدوا من ذلك في تحقيق مصالحهم.

٧٢٢- تفيد نعمة الله تعالى في جعل النار هداية ومتاعًا للمقوين كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ٧٢ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٣].

ب] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾

٧٢٣- تفيد أن الجزاء من جنس العمل فأن الله تعالى جازاهم على حسب ما في قلوبهم: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ كأنه أخذه قهرًا.

٧٢٤- جاء لفظ النور مفردًا والظلمات جمعًا وفي ذلك دلالة على أن الحق واحد، والباطل متعدد، كما قال تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ...﴾ [الأنعام: ١٥٣] فصراط الله واحد والسبل الباطلة متعددة.

٧٢٥- تفيد أن من سخر نعم الله تعالى وجعلها في غير موضعها سلب بركتها ونفعها.

٧٢٦- تفيد أن من أشد الخذلان أن تكثر من الأعمال الصالحة وتعلنها ليراها من حولك ويحمدك عليها ولكنك عند العليم الخبير غير حميد.

٧٢٧- تفيد أن من أعظم الخذلان أن تحصل على شيء مفيد لك فيسلب منك قبل أن تستفيد منه.

٧٢٨- تفيد شدة حرمان المنافق وغلظ عقوبته، إذ أن الله تعالى تولى إذهاب النور ومحقه بنفسه سبحانه وتعالى.

٧٢٩- تفيد أن المنافقين لما استوقدوا النار طلبًا للصلاح على طريقتهم، وكلهم الله تعالى إلى ما اتكلوا عليه.

٧٣٠- تفيد أن المنافق ليس في قلبه نور، وأن الإيمان له نور وتأثير حتى على القلوب.

٧٣١- تفيد الآية أن المنافق لا يستفيد من نور القرآن فحاله حال أعمى البصر، وقد اوقدت حوله السرج فلا يستفيد من ضوئها شيئًا، فهو في عمى بصر وبصيره.

٧٣٢- يفيد إسناد [ذهب] إلى الله تعالى إشعار بأن النور الذي سلب عنهم لن يستطيع أحد أن يرده عليهم، لأن الذي سلبه عنهم إنما هو الله الغالب على أمره، وهي شديدة في عاقبة النفاق.

٧٣٣- تفيد تخلي الله عن المنافقين؛ وقطعه للصلة بهم، وأنهم متروكون غضبًا عليهم ونكاية بهم لقوله تعالى:﴿وَتَرَكَهُمْ﴾ويتفرع على ذلك: أن من تخلى الله عنه فهو هالك، ليس عنده نور، ولا هدًى ولا صلاح؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

٧٣٤- تفيد أن النور وحده لا يكفي فلابد أن تراه العين ويبصره القلب وتستفيد منه الجوارح.

٧٣٥- يفيد التعبير بقوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ولم يقل: أذهب نورهم، وفيه سر بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى، فذهاب الله بذلك النور انقطاع لمعيته التي خص بها أولياءه فقطعها بينه وبين المنافقين.

٧٣٦- تفيد أن الظلمة نوعان: ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور، وظلمة حادثة بعد النور، وهي أشد الظلمتين، وأشقهما على من كانت حظه، فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة فمثلت حاله بحال المستوقد للنار الذي حصل في الظلمة بعد الضوء، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط " منقول من ابن القيم وعدد من العلماء، وهذا الأمر تؤيده الحقائق الطبية؛ لأن الخلايا التي تبصر في الظلام تكون قد نفدت طاقتها لذا يكون الظلام شديدا.

٧٣٧– تفيد أن الإنسان في الآخرة لا يستضيء بنور غيره ولا يمشي أحدا إلا في نور نفسه إن كان له نور مشى في نوره وإن لم يكن له نور أصلا لم ينفعه نور غيره، كما في قول المنافقين الذي حكاه الله عنهم: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].

٧٣٨– تفيد أنه كما النور يتتابع من كل جهة.. كذلك الخير.

٧٣٩– تفيد أنه ليس كل من طلب النور فأحرق ناره حصل على ما يريد.

٧٤٠– تفيد أن نور الله إذا دخل قلب المؤمن أضاء قلبه ووجهه وأضاء له الكون من بعد.

٧٤١– تفيد أن الله تعالى يحرم المنافق ويتلف عليه الخير ويمحقه فروعا واصولا، فلا يبقى منه شيء، يقول ابن القيم: « تأمل كيف قال: ﴿بِنُورِهِمۡ﴾ولم يقل بضوئهم، مع قوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ﴾ لأن الضوء هو زيادة في النور. فلو قال: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط، دون الأصل. فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهابًا بالشيء وزيادته ». وقال أيضا: «وتأمل قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ ولم يقل بنارهم ليطابق أول الآية. فإن النار فيها إشراق وإحراق. فذهب بما فيها من الإشراق – وهو النور– وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وهو النارية».

٧٤٢– تفيد أن ذهاب النور عن المنافق هو على سبيل الدوام، يقول ابن عرفة: «وفي [التعدية] بالباء التي للمصاحبة نوع زيادة وإشعاره [بدوام] الذهاب، وملازمته بسبب ملازمة فاعل الذهاب له، فلا يزال ذاهبا عنهم فهو أشد في عقوبتهم حتى لا يتصور رجوعه [إليهم] بوجه».

٧٤٣– تفيد عظمة وبلاغة الوصف القرآني حيث قال تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ﴾ ثم قوله: ﴿وَتَرَكَهُمۡ﴾ فلا يمكن لأحد وصف ما نزل بهؤلاء المنافقين من عقوبة بأعظم من هذا الوصف، فقد جمع الله لهم بين عقوبة الذهاب بالنور والترك في الظلمات، ويالها من عقوبة تقشعر لها الأبدان.

٧٤٤– تفيد إبراز مكانة هذا الدين وأهله، وعلى رأسهم أهل الصدر الأول الذين هم أهل الولاية الكاملة، ويظهر هذا في تولي الله تعالى لعقوبة أعدائهم، مصداقا للحديث القدسي: «من عادَى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحربِ».

٧٤٥– تفيد أن التخبط في الدين حرمان من التوفيق.

٧٤٦- تفيد أن الله ﷻ نفى عنهم البصيرة فهم لا يبصرون الحق وهذا هو العمى حقيقة وليس عمى العين. هذا والله أعلم.

٧٤٧- تفيد أنه لما اشترى المنافقون الضلالة بالهدى في الآية السابقة أعطاهم الله إياها بعجرها وبجرها، بهمومها وأحزانها، بعيوبها وقبائحها، فهم في ظلمات لا يبصرون، ما أروع هذا التناسق في كلام الله تعالى.

٧٤٨- تفيد أن على المؤمن أن لا يستغرب من قلة السالكين في درب الحق ولا يغتر بكثرة الهالكين

٧٤٩- تفيد أن من جمع أعمالًا كجبال تهامة لكنها خالية من الإخلاص خذلته عند لقاء رب البريات.

٧٥٠- تفيد خيبة سعي أهل الباطل وسوء عاقبة أمرهم.

٧٥١- تفيد أن الافادة من أي خير ليست يسيرة؛ بل تحتاج لصدق واخلاص، وأن النعم قد تصير نقما، وأن النور المرسل يحتاج لقلب منير يستقبله.

قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨].

٧٥٢- يفيد تقديم الصمم إشارة إلى أهمية السمع والاستماع إلى آيات الله ﷻ فهو من أعظم أبواب الهداية ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧].

٧٥٣- يفيد إشارة إلى أهمية حاسة السمع للإنسان في التعلم ولذلك قدمت أيضا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وذكر ابن القيم في مفتاح دار السعادة: حسن السماع أول مراتب أخذ العلم.

٧٥٤- تفيد أن المنافق أصم الله تعالى آذانه، فلا يسمع الحق؛ ولو سمع ما انتفع.

٧٥٥- تفيد جوز أن يُنفى الشيء لانتفاء الانتفاع به، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢١ - ٢٢]؛ فإن من لم يستفد من حواسه في الخير والهداية كان هو ومن فقد حواسه سواء، فوصف المنافقون بهذه الصفات لأنهم وإن كانت لهم آذان تسمع وألسنة تنطق وأعين تبصر إلا أنهم لا

يسمعون خيرًا. ولا يتكلمون بما ينفعهم ولا يبصرون مسلكًا من مسالك الهداية، ومن كان كذلك كان كمن ليس له هذه الحواس.

٧٥٦- تفيد أن الإنسان لا يستطيع أن يتحدث دون أن يكون له استماع صحيح مسبق.

٧٥٧- تفيد أهمية الاستماع للنصيحة؛ وأن الاستماع طريق تحلية القلب أو تخليته.

٧٥٨- تفيد أن المنافق لم يفتح الله منافذ سمعه لتبلغ الهداية قلبه.

٧٥٩- تفيد أن المنافق لا يوفق لنصرة الحق؛ لأن الله تعالى وصفه بقوله: ﴿صُمٌّ﴾.

٧٦٠- تفيد صحة وصف المعرض عن الله بالصمم والبكم والعمى.

٧٦١- تفيد أن من الصمم والبكم والعمى ما يختاره المرء؛ منها ما هو محمود، وهو ما يبعد عن الضلالة ويرجع به إلى الله؛ ومنها ما هو مذموم وهو ما لا يدله على الله ويرجعه إليه.

٧٦٢- تفيد إشارة إلى تردي المنافقين في سلوكهم وأخلاقهم حتى صارت سببا لتعطيل حواسهم فصارت الأنعام أفضل منهم وذلك حين قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] فسلب عنهم السمع والبصر، فصارت مجرد أجهزة لا تؤدي حقيقة ما أوجدت من أجله، وزادت عليهم الطامة بالبكم وعدم الرجوع عن الباطل، والكيد للإسلام والمسلمين، وكانت الأنعام تسمع وتبصر لكن تساوت معهم في عدم العقل غير أنها تؤدي ما خلقت إليه وهو دخولها بالتسبيح في عبودية الله التي انفلت المنافقين منها.

٧٦٣- يفيد الوصف بالصمم والعمى دلالة على سلب التمييز والاستفادة عبر السمع والبصر، وهو أمر مناسب لسياق الكلام عن المنافقين، وأما الوصف بالبكم ففيه إشارة إلى أن المنافق بليد يوجهه غيره، فهو مع كفره يمثل بوقًا يردد ما يريد الآخرون تمريره من عقائد وتوجهات، ولهذا فهم ليسوا سوى آلات بكماء لا تبادر بالكلام من نفسها؛ بل بأمر شياطينها.

٧٦٤- تفيد أن السكوت عن الحق من صفات المنافقين لقوله تعالى: ﴿بُكْمٌ﴾والساكت عن الحق شيطان أخرس.

٧٦٥- تفيد أن هذا هو دأب المنافقين وعادتهم المتجددة، فرسوخهم في النفاق يجعلهم يحرصون على تجديد عتوهم وتكبرهم وتجبرهم، فلا يزدادون من الله الا بعدا.

٧٦٦- تفيد أن النفاق من أعظم أسباب تعطل وسائل الهداية والتي منها النظر والتفكر في آيات الله تعالى.

٧٦٧- تفيد أن من عطل سمعه عن سماع الحق وبصره في التفكر في آيات الله لا يمكن أن يرجع للهدى.

٧٦٨- تفيد أنهم يصدرون عن قول أسيادهم وشياطينهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾[البقرة:١٤] فلا يسمعون لقول غيرهم وإن كان ينصح لهم ويبعدهم عن الضلالة ويحثهم على الهدى، وأن قولهم يخدم مخططات أسيادهم من ادّعاء ما لا يتحلّون به ومخالفة الحق واهله والهمز واللمز بهم وتزيين الباطل، ونشر الضلالات، وأن تماديهم بضلالهم وانحطاطهم في دركات النفاق أعمى أبصارهم وبصيرتهم فانعدم شعورهم وأصابهم العمه، فناسبهم: أنهم صم عن الحق، وبكم عن الحق، وعمي عن الحق.

٧٦٩- تفيد أن هذا المثل في المنافق الخالص، لهذا قال تعالى: ﴿...وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾[البقرة: ١٧ – ١٨].

٧٧٠- تفيد أن العمى والصمم والبكم المعنوي أي عن الحق أخطر وأخبث وأسوأ عاقبة من العمى والصمم والبكم الحسي، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦].

٧٧١- تفيد أن العمى عن الحق في الدنيا جزاؤه العمى في الآخرة ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٧٢] فالجزاء من جنس العمل. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[الإسراء: ٩٧].

٧٧٢- تفيد خطر الوقوع في النفاق وأن صاحبه لا يرجع عن ضلاله مع أنه قد أبصر الحق ثم عمي عنه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون: ٣] وهنا قال: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ والله أعلم.

٧٧٣- تفيد أن المنافقين بمنزلة من كان بموضع عرف فيه الرشد والهداية، ثم غادروه بمحض إرادتهم، ولذا عوقبوا بالإبعاد والحرمان من الرجوع.

٧٧٤- تفيد مدح المؤمنين برجوعهم إلى ربهم واستجابتهم لدواعي الإيمان.

٧٧٥- تفيد أن التكامل لأعضاء الجسد فيه خدمة للإنسان ولدينه.

٧٧٦- تفيد خطورة النفاق من جهة أنه يحرم صاحبه من الرجوع إلى الحق، يقول ابن القيم: «قال الحسن: هو المنافق، أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر. ولهذا قال: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يرجعون إلى النور الذي فارقوه. وقال تعالى في حق الكفار: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] فسلب العقل عن الكفار إذ لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان، وسلب الرجوع عن المنافقين لأنهم آمنوا ثم كفروا فلم يرجعوا إلى الإيمان ».

٧٧٧- تفيد أنه سبحانه نفى عنهم الاستفادة من العوامل الحسية الاساسية التي جعلها فيهم فضلا عن العوامل الثانوية فوسمهم بأنهم صم بكم عمي لا يدركون الحق.

قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

٧٧٨- تفيد أن السماء قد يراد بها العلو لقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وبذلك تفهم الآية الكريمة: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] على أحد الوجهين في الآية.

٧٧٩- تفيد أن الهدي النازل من الله كمثل الغيث النافع، يعم فضله ونفعه، فيراه القاصي والداني، ولا يرى المنافق منه إلا ما يزعجه ويخيفه، فكانت الزواجر التي نزل بها القرآن بمثابة الظلام والبرق والرعد لهؤلاء المنافقين.

٧٨٠- تفيد أن ما ينزل من السماء هو الخير الذي يسر به المؤمنون ويهلك من بعض آثاره الخاسرون.

٧٨١- تفيد أن الحياة في ظلال القرآن فيها أمن واستقرارورخاء.

٧٨٢- تفيد أن القرآن الكريم نزل من السماء، وتتابع على النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين كتتابع قطرات المطر من السماء إلى الأرض لإحياء القلوب وهداية النفوس، وأنه في إحيائه جمع بين الترغيب والترهيب، والبشارة والنذارة، والخوف والرجاء.

٧٨٣- تفيد أنك لن تعدم من خير يصلك من السماء أو الأرض؛ فلا تكن أصما ولا أبكما ولا عميانا.

٧٨٤- تفيد أن الله هدى الناس جميعا لما ينفعهم، لكن المنافقين أعرضوا عن الهدى، واختاروا الضلالة.

٧٨٥- تفيد أن الله تعالى ضرب مثلين في شأن المنافقين.. [في مقابلة الهدى الذي أنزله]، فالأول هو المثل الناري: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، والثاني هو المثل المائي ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فكأنه قيل: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ لم ينتفع بها لذهاب بصره بالعمى، [والثاني] كمثل صيب ومطر نزل من السماء، انتفع به كل الناس فسقوا وزرعوا إلا المنافق فكانت أرضه «قيعان فلم تمسك ماء ولم تنبت كلأً».

٧٨٦- تفيد أن المنافق يعيش في ظلمات ورعب من كل ما يرى ويسمع.

٧٨٧- تفيد أن الرد المستنير بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أهل النفاق، وجهادهم باللسان، يزيدهم خوفا وقلقا، فلا يصمدون خوفا من انكشاف أمرهم.

٧٨٨- تفيد أن المنافق لا يستفيد من نور القرآن ويعرض عن سماع الحق.

٧٨٩- تفيد أن المنافقين نفعيون فقد يتبعون المسلمين لمصلحة مادية، ثم يفرون عند الأزمات.

٧٩٠- تفيد التحذير من الإعراض عن سماع الحق.

٧٩١- تفيد أن المنافقين تظهر عليهم صفات النفاق، وأعرف الناس بهم من وفقه الله للخلاص من صفاتهم.

٧٩٢- تفيد فقدان المنافق لثقته بنفسه فهو يعيش في حيرة واضطراب وقلق، بسبب ما يحيك في صدره من الشبهات.

٧٩٣- تفيد أن الآيات التي كانت تنزل بشأن المنافقين كانت تنزل عليهم كالصواعق النازلة من السماء والتي لا يستطيعون معها إلا صم الآذان، وأن نزول ملك الوحي بهذه الآيات لفضح سوءاتهم وبيان عوارهم، وما انطوت عليه قلوبهم، هو كنزول ملك الموت لقبض أرواحهم، فهم يحذرون من الصواعق المرسلة بالآيات كحذرهم من الصواعق النازلة من السماء المهلكة لهم، وقد قال تعالى مبينا بوضوح هذه القضية في آية أخرى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

٧٩٤- تفيد أن الكتاب العزيز قد اشتمل على قوارع يفزع منها المنافقون، كما اشتمل الصيب على البرق والرعد والظلمات، وأن جهادهم بالقرآن أشد تأثيرا عليهم وأعظم نكاية.

٧٩٥- تفيد شدة ذعر وخوف المنافقين من آيات القرآن التي تكشف سترهم وتنذر قلوبهم حتى جعلتهم يجعلون أصابعهم في آذانهم وليس أصبعهم.

٧٩٦- تفيد أن المنافق غير موفق في حياته، فهو ينظر إلى الأمور بسطحية تامة، وأيضا فهو يتخذ قراراته بعشوائية وسفاهة ودون تعقل، وفي ذكر جعل المنافق أصابعه في أذنه في مقابل الصواعق تهكم به وإظهار لسفهه، فإن من يخاف من الصواعق يبتعد ويستتر عنها بساتر لا أن يبقى في مواجهة الصواعق ويضع أصابعه في أذنه خوفا منها، وهو في تصرفه هذا مثل النعامة التي إذا خافت تضع رأسها في الأرض، وجسدها ظاهر فوق الأرض، ولهذا فإن تذييل الآية بقوله: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ إشارة إلى أنه لو اتخذ قراراته بتعقل وابتعد عن الصواعق واستتر عنها بساتر، فإن الله ﷻ محيط به، ولا يغني حذره عن قدر الله، وعقوبة الله نازلة عليه.

٧٩٧- تفيد أن مشكلة المنافق الكبرى نفسه وذاته حيث تكون محور كل شيء في حياته، ولذا هو يبحث عن المنفعة لها حسب ظنه، أنى وجدها تعلق بها، وهذه الخصلة الخطيرة قد تتسلل إلى بعض النفوس وهي لا تدري إن لم تتنبه وتدقق فيها، نسأل الله السلامة من النفاق.

٧٩٨- تفيد أنه لا شيء أعظم من الإيمان في ثبات النفس، ولا شيء مثل النفاق في اضطرابها لفراغ نفوس المنافقين، ودائما يكون الصوت في الفراغ أعظم.

٧٩٩- تفيد أن من صفات المنافقين الخوف والجبن والفزع،قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

٨٠٠- تفيد بيانًا لأكبر الآيات التي تصاحب نزول المطر: ظلمات، ورعد، وبرق، وصواعق.

٨٠١- تفيد أنه لا شيء في هذه الحياة يأتي على طبق من ذهب، وبدون خوف وقلق، فإن من أعظم المنافع البشرية في الوجود هي أمطار السماء، وتصاحبها ظلمات ورعد وبرق، فكيف لا يعتبر المنافق بهذه الحياة ويستيقن أن دين الله تعالى على مقتضى الطبيعة والحياة، ففي شرع الله التكاليف الشاقة على النفس والتي تحتاج إلى جهد ومثابرة وربما الموت، وأن الله ﷻ لم يجعل جنة الآخرة على طبق من ذهب كما لم يجعل جنة الدنيا [الحدائق الغناء والأراضي الخضراء] على طبق من ذهب.

٨٠٢- تفيد أن الظلمات والرعد والبرق مخوفة في الظاهر ولكن الخير في وجودها فلا مطر ولا صيبا نافعا من دونها. وهذه دعوة ورسالة سيدي رسول الله ﷺ فظاهرها للكفار فرقة واختلاف وإنما باطنها وظاهرها رحمة وائتلاف.

٨٠٣- تفيد تطمين المؤمنين وتثبيتهم، فلا تضرهم مخططات المنافقين ما اعتصموا بحبل الله جميعا.

٨٠٤- تفيد شدة خوف المنافقين من الموت وأسبابه؛ لأنهم ركنوا إلى الدنيا، وجعل همه الاستماع بشهواتها ونافقوا لأجلها وباعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل.

٨٠٥- تفيد بيان قدرة الله تعالى على الكافرين على اختلاف مللهم وفصائلهم.

٨٠٦- تفيد أن حذرك قد يكون في غير محله فلن تعدو قدر الله، إذا أحاط بك فاسع إلى الخير ما استطعت فربما كان ملاقيك ومنتظرك.

٨٠٧- تفيد أنه لا ينجي حذر من قدر، وأمر الله نافذ على عباده.

٨٠٨- تفيد أن النفاق من أنواع الكفر؛ لأن الآيات تكلمت عن المنافقين وختمت بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾

٨٠٩- تفيد أنه لا مفر من الله إلا إليه، ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه، فيا خسارة من يستهزئ بمن هو محيط به قادر عليه.

٨١٠- تفيد العلو المطلق لله تعالى فهو محيط بعباده.

٨١١- تفيد رحمة الله بعباده حيث أحاط بهم وبعملهم، ومع ذلك يمهلهم.

قال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠].

٨١٢- تفيد حث الناس على تدبر القرآن الكريم واستخراج هداياته بضرب الأمثال التي هي لقوم يتفكرون والتي لا يعقلها إلا العالمون ويضربها الله للناس لعلهم يتذكرون.

٨١٣- تفيد أن كثرة الأمثال في القرآن الكريم - ومنها هذه الآية - إرشاد إلى استعمال الأمثال في إيصال الحق والدعوة والعلم لأثرها العظيم في فهم المراد، بشرط أن لا تحل محل الأدلة، فهي أقيسة مضروبة تختزن معارف جمة.

٨١٤- تفيد أن المنافقين يغضب عليهم أهل السماء كما يغضب عليهم أهل الأرض، وأن الملائكة الموكلين بالسحب والرعد والبرق يتشوقون لإنزال أشد العذاب على هؤلاء المنافقين.

٨١٥- يفيد الإتيان بالخطف دون الذهاب إشارة خفية إلى أن هذا البرق يريد أن ينتقم منهم بأبشع انتقام وبدون رحمة؛ لأن الخاطف يفعل فعلته من دون رحمة بالمخطوف، كما قال تعالى في

آية أخرى للمشركين: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾[الحج: ٣١].

٨١٦- يفيد التعبير بقوله: ﴿يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ دون قوله: [يذهب بأبصارهم] للدلالة على السرعة والمباغتة

٨١٧- تفيد أن البرق الشديد يخطف البصر؛ ولهذا يُنهى الإنسان أن ينظر إلى البرق حال كون السماء تبرق؛ لئلا يُخطف بصره.

٨١٨- تفيد أن القرآن الكريم نور وهدى يستنار به في الطريق إلى الله.

٨١٩- تفيد أن حظ المنافق من نور القرآن كحظ السائر في الظلمات من نور البرق حيث أنه نور لا ينتفع به وإنما هي إضاءة مزعجة للقلوب والأبصار.

٨٢٠- تفيد أن العبرة بأن يتسع قلبك للضوء، ويقوى عينك على الإبصار، فالنور -وحده- لا يفيد الأعمى، ولا يدل التائه؛ ولذا جاء الطلب من المؤمنين ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا...﴾[الحديد:١٣] دليلا على رؤيتهم للنور، وعدم اهتدائهم به.

٨٢١- تفيد عدم الاعتماد على الأسباب، فهي بيد الله إما أن يمضيها وإما أن يعطلها.

٨٢٢- تفيد أن المنافق يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

٨٢٣- تفيد أن من طبيعة الإنسان اجتناب ما يهلكه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ [البقرة:٢٠]

٨٢٤- تفيد أن المنافق يأمن مكر الله تعالى.

٨٢٥- تفيد أنه ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله ﷻ أن يمتعه بسمعه وبصره؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ وفي الدعاء المأثور: « متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا ما أحييتنا».

٨٢٦- تفيد أنه ينبغي للمؤمن أن لا يختار من رفقاء الحياة إلا المؤمن فقط، فإن المنافق كالظل إن أضاءت لك الحياة مشى فيها معك، وان أظلمت عليك الحياة كما يظنها هو وقف وتخلى عنك وقام يتفرج عليك، نعوذ بالله من النفاق والمنافقين.

٨٢٧- يفيد ذكر قيام المنافقين إذا أظلم عليهم إشارة خفية إلى أن تلك الطرق التي يمشون فيها لا تحتمل أخذ خطوة واحدة في الظلام؛ لأنها طرق مليئة بالحفر العميقة والمهلكة، فوجدوا أن الأفضل لهم عدم التحرك بأي حركة لا للأمام ولا للخلف ولا حتى للجلوس، لأن تلك الحركة قد تكون نهايتهم.

٨٢٨- يفيد الإتيان بالذهاب في جانب الله تعالى إشارة خفية إلى أن الله ﷻ رحيم بالمنافقين وهو أرحم بهم من مخلوقات كالبرق مثلا — الذي يكاد يسرع ويباغت في خطف أبصارهم - وأنه سبحانه وتعالى يمهلهم ولا يهملهم، وهو على كل شيء قدير يفعل بهم ما يشاء.

٨٢٩- تفيد أن قلق الإنسان وتغير هيئته لن يغير من واقعه وقدر الله فيه شيئا ما لم يثبت قلبه ويطمئن.

٨٣٠- تفيد إثبات المشيئة لله ﷻ.

٨٣١- تفيد أن من أسماء الله تعالى [القدير].

٨٣٢- تفيد بيان قدرة الله المطلقة في الإيجاد والعدم والتصرف بأحوال الناس صالحهم ومفسدهم.

٨٣٣- تفيد بيان كمال مشيئة الله تعالى وقدرته النافذة، بما يجعل المؤمن أكثر ثقة واطمئنانًا لا ينزعج كثيرًا بفتن أهل النفاق.

٨٣٤- تفيد إنذار المنافقين وتخويفهم بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا فيرتدعوا عن بعض شرهم ونفاقهم.

٨٣٥- تفيد عموم قدرة الله تعالى على كل شيء؛ فهو جلّ وعلا قادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وعلى تغيير الصالح إلى فاسد، والفاسد إلى صالح، وغير ذلك.

٨٣٦- تفيد الآية وما أشبهها ردًا على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

٨٣٧- تفيد مدى ضعف العبد وخوفه وقلقه وحيرته في الحياة بدون إيمان، فالإيمان نعمة عظيمة لسعادة وراحة الإنسان.

٨٣٨- تفيد أن المنافق يرى الحق ومصدره ولكن ليس بعين البصيرة.

٨٣٩- تفيد أن خوفك من الشيء يقربك منه ويوقعك في شركه:

فما الخوف إلا ما تخوفه الفتى *** وما الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

٨٤٠- تفيد أن هذه الصورة للمنافقين تقريب لأذهاننا صورة المنافقين بكل أحوالهم بتصوير حسي بديع، ينقلنا من الصورة المعنوية للنفاق، إلى صورة نراها بأعيننا ونحسها بوجداننا، مما يحذرنا من أن نسلك مسلكهم.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

أ] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾.

٨٤١- تفيد وجود مناسبة لما تقدمها من آيات، فعندما ذكر الله ﷻ النفاق والمنافقين أشار في هذه الآية إلى قضية تشترك مع النفاق في الخفاء وهي قضية الرياء، وبيّن أنَّ علاجها هو الإخلاص له سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ أي: اخلصوا العبادة لربكم، وفي عدم التصريح بالإخلاص ليدخل في العبارة الأصناف الثلاثة المذكورة في مقدمة هذه السورة، والله أعلم.

٨٤٢- تفيد وجود مناسبة لما قبلها فبعد أن ذكر الله تعالى أصناف الخلق في الإيمان [مؤمن، كافر، منافق] ناسب أن يخاطب الخلق كلهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ...﴾، فإن قيل: الخطاب في حق الكافر والمنافق مفهوم المقصد لكونهم لا يعبدون الله تعالى، فكيف يكون فهمه في شأن المؤمن، وهو في الأصل يعبد الله؟.. والجواب: هذا الأمر على شاكلة قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

٨٤٣- يفيد وجود مناسبة لما بعدها من الآيات فإن هذه الآية أمرت بالعبادة، وكل الأوامر والنواهي والتفصيلات المتعلقة بالعبادات بعد ذلك فسيكون تفصيلا لهذا الأمر.

٨٤٤- تفيد دقة المناسبة بين الآيات؛ لأنه لما ختمت الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠]، جاءت هذه الآية في بيان صور من قدرته من خلق الإنسان، وجعل الأرض فراشا والسماء بناء وغيرها مما سوف يأتي بإذن الله تعالى.

٨٤٥- تفيد مع سياق ما قبلها وجود أسلوب تربوي بليغ، إذ لم يأمر بعبادة الله ابتداء حتى بيّن لهم أصناف الناس فبيّن من تنفر منهم لجهلهم وهم الكفار، وبيّن من تشمئز منهم لترددهم وتقلبهم وهم المنافقون، وبيّن من تتوق النفوس لتكون منهم وتتلبس بصفاتهم وهم المؤمنون، ثم دلهم على طريقهم ليكون أدعى للامتثال وآكد.

٨٤٦- يفيد ذكر النداء في أول الآية دلالة على رحمة الله بعباده، وتلطفه بهم وبدعوتهم، مهما بلغوا من الإعراض والمعاندة.

٨٤٧- تفيد أن الداعية يدعو الناس إلى العبادة وطريق الهداية ويتلطف بهم مهما كان حالهم.

٨٤٨- يفيد الإتيان بحرف النداء ﴿يا﴾ الذي وضع في الأصل لنداء البعيد، وذلك من أجل الإعلام بأن الخطاب القادم بشأن العبادة مهم في غاية الأهمية، ومعتنى به في غاية العناية.

٨٤٩- تفيد العناية بأمر العبادة والتفخيم لشأنها، وبيان منزلتها؛ ويستفاد هذا من وجهين:

الوجه الأول: تصدير الأمر بها بالنداء؛ إذ فيه هز للسامع وتحريك وتنشيطا له، ويا حرف وضع لنداء البعيد، وقد ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد: إما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد، أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه.

والوجه الثاني: تعميم النداء لجميع الناس؛ لأنهم ما خُلقوا إلا للعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٨٥٠- تفيد عظمة المنادي، والمنادى، والأمر المنادى له؛ فالمنادي هو الله القوي العزيز الكبير المتعال، والمنادى الإنسان الذي كرمه الله على سائر الخلق، والأمر المنادى له عبادة الله تعالى وحده لا شريك له الذي هو أعظم ما يتفطن له العقلاء، وهذا هو أول نداء في القرآن الكريم جاء بأعظم ما ينادي له المصلحون على وجه الأرض.

٨٥١- تفيد أن رد جميل المحسن من صفات سليمي الفطرة، ولهذا نادى الله ﷻ جميع الناس في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ليحرك ويستدعي في نفوسهم تلك الفطرة المتأصلة فيهم.

٨٥٢- تفيد أن هذا الأمر من الله تعالى بالتوحيد والعبادة له هو أول أمر منه سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.

٨٥٣- تفيد أن البدء في الدعوة بعبادة الله تعالى وتوحيده هو منهج القرآن الكريم، وسنة جميع المرسلين، ويشهد له قول النبي ﷺ لمعاذ: « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»

٨٥٤- تفيد إشارة الى المنهج القرآني في الحوار وهو الاستدلال بالمتفق عليه على المختلف فيه. فالمتفق عليه: الاعتراف بأن الله الخالق الرازق المتفضل، والمختلف فيه: إفراده بالعبادة، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ دون [اعبدوا الله]، فالكفار كانوا معترفين بربوبية الله تعالى دون ألوهيته، فدخل عليهم القرآن الكريم من هذه الجهة.

٨٥٥- تفيد أن الإقرار بتوحيد الربوبية مستلزم للإقرار بتوحيد الألوهية؛ لقوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، إذ لم يقل اعبدوا الله، لأن في الإتيان بلفظ الرب إيذانًا بأحقية الأمر بعبادته، فإن الخالق المدبر لأمور الخلق هو جدير بالعبادة، كما فيها معنى الشكر وإظهار الاحتياج.

٨٥٦- تفيد وجوب عبادة الله ﷻ وحده من الخلق جميعًا ما بقيت الدنيا. وهي التي خُلق لها الجن والإنس؛ و"العبادة" تطلق على معنيين؛ أحدهما: التعبد. وهو فعل العابد؛ و الثاني: المتعبَّد به. وهي كل قول أو فعل ظاهر أو باطن يقرب إلى الله ﷻ.

٨٥٧- تفيد دلالة على أن الإقرار بالربوبية فقط لا ينجي من العذاب.

٨٥٨- تفيد بيان منزلة توحيد العبادة، وأنه أول واجب على المكلف.

٨٥٩- تفيد أن مما يقتضيه العقل علاوة على الشرع وجوب العبادة له سبحانه.

٨٦٠- تفيد أن الأصل عبودية الناس جميعا لله لأنه الخالق.

٨٦١- يفيد الإتيان بلفظ الرب هنا أحقية الله تعالى بالعبادة، لأن المدبر لأمور الخلق هو الجدير بالعبادة. أفاده ابن عاشور.

٨٦٢- يفيد ذكر الرب دلالة على غاية في اللطف، لأن الرب هو المربي الخالق الرازق.

٨٦٣- تفيد وجوب معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وهذا مما يوجب محبته وتعظيمه.

٨٦٤- تفيد من معاني إدخال العظمة والهيبة ما الله به عليم فهو رب الحاضرين والغابرين، وخالق الناس أجمعين، ورازقهم كذلك من الأرض والسماء بلا ند ولا شريك.

٨٦٥- تفيد أن الطريق إلى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله.

٨٦٦- تفيد التحذير من البدع؛ وذلك لأن عبادة الله لا تتحقق إلا بسلوك الطريق الذي شرعه للعباد؛ لأنه لا يمكن أن نعرف كيف نعبد الله إلا عن طريق الوحي والشرع: كيف نتوضأ؟ كيف نصلي؟...إلخ.

٨٦٧- تفيد الحث على طلب العلم؛ إذ لا يمكن العبادة إلا بالعلم؛ ولهذا ترجم البخاري -رحمه الله- على هذه المسألة بقوله: «باب: العلم قبل القول، والعمل».

٨٦٨- تفيد الإرشاد إلى حسن عرض الإسلام بأسلوب لا يوقع الحرج في نفوس المدعوين، حيث أمرهم أن يعبدوا ربهم الذي خلقهم، ولم يأمرهم أن يعبدوا إله محمد ﷺ ويتركوا آلهتهم. مع أن المؤدى واحد.

٨٦٩- تفيد الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه، فصرح بالإثبات منها بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾وتدل بمفهوم المخالفة على النهي عن عبادة غيره، وقد صرح بالنفي في آخر الآية الثانية بقوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٢].

٨٧٠- تفيد الأمر بالعبادة بدءًا لمن لم يعبده، والزيادة فيها والمواظبة عليها لمن يعبده، فالازدياد من العبادة عبادة، فالأمر بالعبادة شمل المؤمنين والكافرين، قال ابن جزي: « في قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾يدخل فيه الإيمان به سبحانه، وتوحيده وطاعته، فالأمر بالإيمان به لمن كان جاحدًا، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركًا، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنًا ».

٨٧١- تفيد الإشارة إلى سبب كون توحيد العبادة هو الواجب الأعظم الذي لا يعذر فيه أحد، فالعبادة هي استجابة ضرورية للربوبية، والربوبية تتجلى في الخلق، والخليقة هي هذا العالم المحسوس الذي يحيط بنا، فإذا كانت الربوبية تحيط بِنَا من كل جانب فينبغي أن لا يكون هناك أدنى سبب يمنع العبادة، فمنعها هو الظلم الوحيد الذي لا مسوغ لصاحبه، ولذلك هو أعظم الظلم.

٨٧٢- تفيد أن الذي لا يوحِّد الله في العبادة لن يسلم من عذاب الله، وأن الموحِّد يرجى له السلامة من النار ابتداء.

ب] قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾.

٨٧٣- تفيد هداية للداعية والمربي أن يذكرا براهين وشواهد لأوامرهما.

٨٧٤- يفيد ذكر نعمة الخلق أولًا دون غيرها من نعم الله تعالى إشارة إلى أن كل نعم الله تعالى على العباد ظهرت من بداية خلقهم.

٨٧٥- تفيد التذكير بنعمة الخلق التي هي أعظم نعمة وأول كل نعمة، ولا يكون شكرها إلا بعبادة الله لأنها الغاية التي أجلها خلقهم.

٨٧٦- تفيد إثبات أن الله ﷻ هو الخالق وحده، وأنه خالق الأولين والآخرين؛ لقوله تعالى:﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ والنسبة بين الجميع واضحة فهو الخالق وهم المخلوقون.

٨٧٧- من أعظم الدلائل لاستحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة أنه خالق الخلق ومدبر شؤونهم، فهم مفتقرون إليه في كل حال، لذا أوجب عليهم عبادته والتذلل والخضوع له، وتعظيمه.

٨٧٨- تفيد حسن الإقناع بالتوحيد، من نفس الجهة التي يتمترسون فيها [تعظيمهم لآبائهم]، فدليل التوحيد الأعظم هو وحدانية الخالق، فالذي خلقكم هو الذي خلق آباءكم والذي خلق آباءكم هو الذي خلق آباءهم [وهكذا]، فلا يمكن للبشر أن يعبدوا الإله الذي كان آباؤهم يعبدونه جيلا بعد جيل إذا تركوا توحيد الخالق، إذ كل تلك الأصنام والآلهة المزعومة مستحدثة طارئة لا تعرفها أجيال الآباء الأول، وهي بالتالي تفضي إلى عدم تعظيم الآباء على عكس ما كانوا يزعمون.

٨٧٩- يفيد في علم الجدال والاستدلال أولية وأفضلية الابتداء وتقديم الأظهر فالظاهر، وبالأوضح فالواضح، ولا يشترط التقيد بالترتيب الزمني في الظهور، ولهذا لم يقل الله ﷻ: [الذي خلق من قبلكم وخلقكم].

٨٨٠- تفيد دليلًا على إثبات البعث لأن خلق الناس أولًا المشار إليه بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يدل على البعث؛ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ...﴾ [الروم: ٢٧]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٨٨١- تفيد أن من طرق القرآن في الإقناع أنه إذا ذكر الحكم غالبًا ذكر العلة والحكمة وهي من أقوى طرق الإقناع: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ والعلة: كونه ربًا خالقًا لنا ولمن قبلنا، وأن عبادته توصل لتقواه.

٨٨٢- يفيد ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ التنبيه والتذكير للعباد بمصيرهم المحتوم، فإن الذي أمات من قبلهم وهو خلقهم يميتهم، وليتفكروا فيمن مضى قبلهم كيف كانوا، وعلى أي الأمور مضوا من إهلاك من أهلك، وليعلموا أنهم يبتلون كما ابتلوا.

٨٨٣- تفيد أن العبد لا يستحق بعبادته عليها ثوابًا فإنها لما وجبت عليه شكرًا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل.

٨٨٤- تفيد أن أعظم محركات القلوب إلى العبادة الحقة هو تذكر النعم؛ فإن ذلك يورث المحبة للمنعم، وهي المحرك الأكبر.

٨٨٥- تفيد وجوب النظر في مخلوقات الله تعالى وما أودع الله فيها من الحكم الباهرة والأسرار لزيادة الإيمان واليقين بالله.

٨٨٦- تفيد أن من الطرق التي تدل العبد لمعرفة خالقه ومعبوده كمال قدرته وتمام نعمه على عباده.

٨٨٧- تفيد إشارة خفية إلى أنه ينبغي لمن أراد من أحد القيام بعمل أو فعل أن يبين له أهليته لذلك، وبيان ذلك: أن الله ﷻ قصد الناس بالتكليف وأمرهم بالعبادة، وأشار إلى أنه خلقهم وخلق من قبلهم خلقة مميزة عن سائر المخلوقات، بحيث خلق لهم جميع الأعضاء المؤهلة لأداء العبادات التي أمروا بها في قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾فعلى هذا فإنه لا عذر لهم في عدم الاستجابة لهذا الأمر لأنه صادر من خالقهم الذي يعرف طبيعة خلقتهم وقدراتهم.

ج] قوله تعالى﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

٨٨٨- تفيد الحث على تقوى الله مع شدة الاهتمام والعناية بها، لأن الغاية من رسالة الإسلام كلها؛ بل ومن جميع الأديان هو تحصيل التقوى، فرجاء حصولها عند الأمر بالعبادة وعند عبادة العابد أو عند إرادة الخلق والتكوين يدل على ذلك.

٨٨٩- تفيد أن التوحيد أعظم أسباب النجاة من عذاب الله ﷻ؛ فقد قال البغوي في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾«لكي تنجو من العذاب»، فهو أعظم أسباب المغفرة، لقوله تعالى في الحديث القدسي: « يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذي.

٨٩٠- تفيد أن التقوى مرتبة عالية لا ينالها إلا من أخلص العبادة لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، فلا تتحقق التقوى الحقيقية إلا بالتوحيد، وتحقيق التوحيد هو أول صفات المتقين.

٨٩١- تفيد أن العبادة سبيل لبلوغ التقوى والتزام طريق أهل الحق والهدى.

٨٩٢- تفيد بيان البعث وأهمية توقي عذاب الله؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾يحتمل أن المعنى: أنكم إذا عبدتم الله وحده اتقيتم بذلك سخطه وعذابه؛ لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك.

٨٩٣- تفيد أسلوبًا تربويًا للمربين والدعاة وهو التعليل بعد الأمر أو النهي؛ فهذا أبلغ في القبول والإذعان، قال تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ..لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا

لَّكُمْۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]

أ] **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾.

٨٩٤- تفيد وجود مناسبة لما قبلها من الآيات فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر أصناف الناس من مؤمن وكافر ومنافق جاء الأسلوب القرآني البديع؛ في لفت الأنظار إلى النعم التي لا تخفى على أحد منهم، ليعظموا المنعم ويشكروا له بالخضوع بين يديه، وتوحيده ونبذ الأنداد الذين يعجزون عن أن يخلقوا مثل خلقه، أو يرزقوا مثل رزقه.

٨٩٥- يفيد بيانا لقدرة الله تعالى على كل شيء الذي من أعظمه البعث، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:٢٠]، ثم جاءت هذه الآيات في بيان مظاهر قدرته: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾؛ لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى.

٨٩٦- يفيد قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، ﴿وَأَنزَلَ﴾، ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ﴾، عظمة الرب المنعم المتفضل على عباده بنعم لا يحصيها العد ولا يحيط بها الوصف، بما يورث في القلب تعظيمه ومحبته تعالى.

٨٩٧- تفيد دليلا وبرهانا ثالثا على البعث؛ لأن إحياء الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما جاء هذا المعنى صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] إلى غير ذلك من الآيات، فالله الذي خلقهم من العدم ويعيدهم بعد الموت والمتفضل عليهم بالنعم هو وحده المستحق للعبادة.

٨٩٨- تفيد مع الآية السابقة وجود دلالتي الاختراع والعناية. [منقول من شيخ الإسلام ابن تيمية].

٨٩٩- تفيد بيانا لقدرة الله ورحمته بعباده حيث جعل لهم الأرض فراشًا ومهادًا صالحة للحياة بكل صور الراحة والمتعة والنعيم.

٩٠٠- تفيد بيانا ورسما للمنهج القرآني في البدء بالامتنان، ثم الأمر بالتوحيد والعبادة.

٩٠١- تفيد أن من أهم مقاصد القرآن التعريف بالله ﷻ.

٩٠٢- تفيد أن من أهم طرق القرآن في التعريف بالله ذكر نعمه سبحانه على خلقه.

٩٠٣- تفيد بيان حكمة الله ورحمته بأن جعل الأرض فراشا.

٩٠٤- تفيد عناية الله ﷻ بعباده حيث سهل لهم طريق العيش والاستقرار لينتفعوا بالعمران والزراعة والحراثة والتجارة وغير ذلك من وجوه الانتفاع.

٩٠٥- تفيد أن استحضار نعم الله المتعددة مما يزيد في تحقيق العبودية الحقة لله تعالى، لذا نرى في هذه الآية الاستمرار في تعداد نعمه تعالى الظاهرة على عباده والمقتضية تحقيق العبودية لله وحده.

٩٠٦- تفيد التذكير بنعم الله تعالى، من تمهيد الفراش ورفع البناء وتوفير الغذاء لتحقيق التوحيد ونفي الند لله سبحانه وتعالى.

٩٠٧- تفيد بإشارة خفية إلى أهمية الفراش والبناء والغذاء في استقرار حياة الناس.

٩٠٨- يفيد الابتداء بنعمة جعل الأرض فراشا إشارة إلى ارتباط الأرض بالبشر، ولأن الأرض للبشر كما قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

٩٠٩- يفيد التعبير بالفراش الدلالة على التمكن والاستقرار، والتقلب فيها، وحصول الراحة.

٩١٠- تفيد أن الأرض لا تضيق بأهلها ولا بساكنيها، وأرض الله واسعة فمنته لا حصر لها في هذا الكون.

٩١١- تفيد دقة القرآن الكريم في التقديم والتأخير فقدم هنا الأرض لأن الموضع موضع امتنان بما خلقه من منافع للإنسان، وفي مواضع العزة والكبرياء يقدم السماء، -والله أعلم-.

٩١٢- تفيد أن السماء جرم، وليست هواء مطلقا كما يزعمه الكثيرون.

٩١٣- يفيد جعل السماء بناء الدلالة على قدرة الله ﷻ.

٩١٤- تفيد بيانا لعظم قدرة الله حيث خلق السماء ورفعها فوق الأرض بلا عمد مع ما فيها من عوالم لا يسقط منها جزء ولا يختل لها نظام

٩١٥- تفيد أن جميع ما في الكون مسخر لهذا الإنسان؛ وعليه أن يسخِّر نفسه لله.

٩١٦- تفيد تربية وتعليما للدعاة إلى الله تعالى، وذلك بإقامة الحجة على المخالفين بالبراهين الواضحة، والأدلة القاطعة، والحجج الساطعة.

٩١٧- يفيد تقديم نعمة فراش الأرض قبل نعمة الرزق من الثمرات إشارة إلى أن تهيئة المكان المناسب قبل تهيئة الأكل والشرب، فإن المرء إذا لم يكن مرتاحا في مكانه فإنه لا يرتاح في أكله وشربه كما هو مشاهد وملموس.

ب] قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾.

٩١٨- يفيد إعادة ذكر السماء مرتين دون وجود فواصل أخرى بينهما إشارة إلى أن السماء المجعولة بناء، دون السماء المنزلة منها ماء، فانه لو قيل: [والسماء بناء وأنزل منها ماء] لأوهم ذلك أن السماء المجعولة بناء والمنزلة منها ماء واحد، وعلى هذا فإن السماء في الأولى هي السماء الحقيقية، وأن السماء الثانية هي التي بمعنى كل ما علاك فقد سماك، -والله أعلم-.

٩١٩- تفيد بيانًا آخر على قدرته ورحمته من خلال تكوين السحاب، وإنزال المطر، وإخراج الثمرات، مما لا يقدر عليه غيره، ولا يتفضل به سواه.

٩٢٠- تفيد بيان حكمة الله ورحمته في إنزال المطر من السماء، فلو كان الماء من الأرض ويجري فيها لأضر بالناس وبحياتهم ومعيشتهم.

٩٢١- تفيد الآية ردا وبيانا لضلال وكفر من ينسبون إنزال المطر إلى الطبيعة وإلى الأنواء والنجوم، وقد جاء في الحديث القدسي: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر....».

٩٢٢- تفيد بيان قدرة الله وفضله وإحسانه في إخراج الثمرات من الماء.

٩٢٣- تفيد وجود أركان المعيشة أرض وماء ونبات؛ وعلى المرء الاستفادة من هذه الخيرات.

٩٢٤- يفيد ذكر نعمة إنزال الماء من السماء دون غيرها من النعم إشارة أن انقطاع هذا الماء عن الخلق فيه هلاك لهم جميعا على المدى القصير والطويل، لكونها أساسا رئيسا لكل النعم، دون غيرها من النعم، ولهذا قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

٩٢٥- تفيد بيان امتنان الله تعالى على عباده، فهذه الثمرات التي أخرجها الله تعالى بهذا الماء الذي أنزله من السماء إنما أخرجها رزقا لكم أيها الناس ومن أجلكم.

٩٢٦- تفيد أن فضل الله في هذه الدنيا عام يشمل المؤمن والكافر، فهو المنعم على الناس جميعًا، وذلك لعموم قوله ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ولولا ذلك ما قامت حياة لكافر على وجه الأرض.

٩٢٧- تفيد إثبات الأسباب ووجود أثر للأسباب، وأنها لا تؤثر إلا بإرادة الله تعالى وأمره.

٩٢٨- تفيد أن الله ﷻ جعل لكل شيء سببا، ولكل شيء قدرا، ولو شاء لأخرج الثمرات من دون ماء، ولأنزل الماء من السماء من دون انقطاع، ولكن هذه سنة الله تعالى.

٩٢٩- تفيد الرد على الأشاعرة القائلين إن الله يفعل عند السبب لا به.

٩٣٠- تفيد أن من لا يرزق لا يستحق أن يعبد.

٩٣١- يفيد التعبير بـ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ دون غيرها من العبارات كالنباتات أو الزروع إشعارا بالتنبيه إلى الغاية من ذلك، وهي المحققة لتأكيد التفضل والإنعام من الخالق سبحانه على عباده.

٩٣٢- تفيد دليلا على أن الثمار من أفضل الرزق؛ لأنه خصها بالذكر ولهذا ذكر من المصائب والبلاء نقصها في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة:١٥٥]، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠] وامتن بها على عباده في كثير من الآيات.

٩٣٣- تفيد أن الأصل في الأشياء الإباحة، وتخصيص القاعدة بما أخرجه الدليل.

٩٣٤- يفيد أن اخراج الثمرات بألوانٍ مختلفة، وأنواعٍ متعددة؛ مما يدل على عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه وسعة فضله وإحسانه، بما يرهبهم من جهة، ويرغبهم من جهة أخرى، فيجعلهم يسارعون في الاستجابة له.

٩٣٥- تفيد أنه يجب على الإنسان المسخر له هذه الأشياء ﴿لَّكُمْ﴾ شكر الله تعالى عليها، والتفكر فيها، والاستدلال بها على حكمة الله وقدرته وعظمته ووحدانيته، وأن الله لم يخلقها عبثًا، بل لغرض صحيح ومصلحة عظيمة.

٩٣٦- تفيد أن الله تعالى أغنى الإنسان عن كل مخلوق.

٩٣٧- تفيد أن العباد فقراء إلى الله، وأن الله هو الغني عن عباده، فكيف لا يعبده فقير لا غنى له بسواه.

٩٣٨- تفيد ما يطمئن العبد على رزقه أن الله هو الذي تولّاه بنفسه.

٩٣٩- تفيد أن ما يخرجه الله من الثمرات في العالم يكفي رزقا لجميع الخلق لو تم تحسين التصرف والاستهلاك فيها، فقوله: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ يوحي بأنه رزق كاف للجميع.

٩٤٠- تفيد بلاغة القرآن الكريم في اختصار المعاني، فهو تولى إخراج النباتات التي خرج منها الثمرات، ولكن لما كانت الثمرات هي المقصد، وهي موضع الامتنان الأكبر أفردها بالذكر تنبيها على عظم هذه النعمة والله أعلم.

٩٤١- تفيد أن أصل الماء من السماء، وليس ابتداء تكوينه من الأرض نتيجة التبخر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

٩٤٢- تفيد وجود علاقة وطيدة بين السماء والأرض، فالسماء تنزل الماء وترسله، والأرض تستقبله وتبتلعه، وكل ذلك لما فيه خير البشرية بأمر الله تعالى، وقد تنبهت العقول الغربية لهذه العلاقة العجيبة بين السماء والأرض فأرسلت المركبات الفضائية إلى السماء لانزال السموم الفكرية، ونشر وإرسال القيم الهدامة للدين والأخلاق في جميع الأرض، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويعلي كلمته، ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

٩٤٣- تفيد أنه ينبغي على الناس العمل على التخطيط الاستراتيجي السليم والتنمية المستدامة في هذه الأرض لما فيه خير البشرية، فإن هذه الآية وما قبلها تفيد بأن الله ﷻ خلق الناس وهيأ لهم المكان المناسب والرزق المستمر لتستمر دورة حياتهم في هذه الأرض، وليحسنوا عبادة ربهم وخالقهم والمتفضل عليهم بأنواع النعم؛ ولهذا فإن على البشرية الحفاظ على مكتسباتهم التي أعطاهم الله إياها، وتنميتها تنمية شاملة مستدامة.

٩٤٤- تفيد ما يدعو النفوس الكريمة إلى محبة الله وتعظيمه وإجلاله إذ النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

٩٤٥- تفيد أن القرآن الكريم يسلط الضوء على أهم ما يأتي الخلق من قِبَل السماء من الخير الحسي والمعنوي.. فحياة الأرض مرهونة بما ينزل إليها من السماء من الماء.. قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾ [الحديد:١٧]، وحياة القلوب مرهونة بما ينزل من السماء من الوحي... ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا...﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ج] **قوله تعالى**: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

٩٤٦- تفيد وجود مناسبة مع الآية السابقة فبعد الأمر الإلهي بالعبادة ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾أكد في هذه الآية النهي عما يضاده وهو الشرك.

٩٤٧- تفيد مع ما قبلها أن كمال التوحيد لا يتحقق إلا من خلال إفراده بالعبادة مع عدم الإشراك به؛ ولذا افتتحت الآيات بالأمر بعبادته وختمت بالنهي عن الإشراك به وهذا مفهوم لا إله إلا الله.

٩٤٨- تفيد مع الآية السابقة أن الخلق خلقه، وأن الرزق من عنده، فكيف يُشرك معه غيره.

٩٤٩- يفيد إظهار لفظ الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾في موضع الاضمار لبيان أحقية الله تعالى بالعبادة دون سواه.

٩٥٠- تفيد أن النهي عن الشرك بعد الأمر بالعبادة قطع لدابر الاعتذار، فقد يقول قائل: عند ورود الأمر ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ هذا أمر والأمر بحسب الاستطاعة: «فأتوا منه ما استطعتم» فأتبع هذا الأمر بالنهي الصريح ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾لتأكيد ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾[المائدة:٩٠] فأغلقت الآية عليهم باب الاعتذار والتنصل من تحقيق التوحيد.

٩٥١- تفيد استدلالا للربوبية على توحيد الألوهية، فالرب الخالق الرازق هو المستحق لإفراده بالعبودية.

٩٥٢- تفيد أن تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك هي أول قضية تناولها القرآن بعد بيان أقسام الناس من الهدى الذي أنزله، بما يجعلها القضية المحورية في الدعوة والاصلاح، فأي دعوة اصلاحية لا تركز على هذه القضية فهي ليست على منهج وهدى القرآن في ترتيب أولويات الخطاب الدعوي.

٩٥٣- تفيد أهمية الاهتمام بتوحيد الربوبية في تعميق جوانب الإيمان في القلب، وتحقيق التقوى، فالكلام في توحيد الألوهية ينبغي ربطه بالربوبية حتى يتعمق في القلب عظمة الله تعالى ومحبته، وهما مرتكزات العبودية الحقة، ولهذا فهي أول قضية جاء الأمر بها، والنهي عن ضدها، وبسط الحديث فيها، وتوسع القرآن في بيانها، وبيان أدلتها وبراهينها، وهي ذكرت كأول صفة لعباده المتقين ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾في سورة الفاتحة.

٩٥٤- تفيد دليلا على أهمية استعمال حجج العقول وإبطال التقليد، وكذلك ما ليس معه دليل، وأن الخطاب يجب أن تقوم معه الحجة.

٩٥٥- تفيد تحريم اتخاذ الأنداد والشركاء مع الله في العبادة ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ خاصة وأنتم تعلمون أنه خلقكم والذين من قبلكم. وتعلمون أنه جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء. وأنه لم يكن له شريك يساعد، ولا ند يعارض. فالشرك به بعد هذا العلم تصرف لا يليق!.

٩٥٦- تفيد وجود بلاغة عظيمة في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لا يمكن وصفها أو التعبير عنها بألفاظ تبينها؛ حيث حذف المعمول في ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾لتذهب النفس كل مذهب في العلم بعظمة الله تعالى وقدرته وفضله ورحمته... وفي حقارة وضعف وعجز تلك الآلهة التي عبدوها من دونه بما لا تحتويه العبارات.

٩٥٧- في قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ يفيد التعبير بـ ﴿أَندَادٗا﴾ بصيغة الجمع وبالنكرة في سياق النهي ما يفيد العموم، وذلك يدل على أنه ينبغي مزيد العناية بتجنب اتخاذ الأنداد بأي صورة كانت، والشرك له مراتب وصور، وقد ورد عن النبي ﷺ: « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم» فهذا من أعظم وأقبح القبائح فكيف تشرك مع الرب وأنت تعلم.

٩٥٨- تفيد أنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يقابل المحسن بالإساءة عقلا وفطرة، فالله ﷻ يحسن إلى خلقه بأنواع النعم، وهم يسيئون إليه باتخاذ الأنداد من دونه، فالله ﷻ جعل خيره إليكم نازلًا، فلا تجعلوا شرّكم إليه صاعدا.

٩٥٩- تفيد أن أسوأ المساوئ أن تسيء إلى من أحسن إليك.

٩٦٠- تفيد سفه العقول التي عبدت غير الله تعالى، حيث براهين وحدانيته ماثلة في جميع الكون، وبراهين بطلان تلك الآلهة التي جعلوها أندادًا له وليس لها من الندية شيء ماثلة في كل أحوالها التي تتمثل في ضعفها وعجزها وفقرها في نفسها ولغيرها.

٩٦١- تفيد تأكيد خطر الشرك والتحذير منه، فأول نهي من الله تعالى لعباده في القرآن الكريم هو هذه الآية ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾.

٩٦٢- تفيد تأكيد شناعة الشرك، وأنه أعظم ذنب عصي الله به، كما بين ذلك النبي ﷺ عندما سئل: « أي الذنب أعظم؟ فقال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ».

٩٦٣- تفيد إشارة خفية إلى أن المؤمنين يحسون نعم الله ويقدرونها لذا يشكرون المنعم ويعبدونه وبمفهوم المخالفة أن الكفار والمنافقين لا يحسون نعم الله ولا يقدرونها لذا اتخذوا نِدًّا مع الله.

٩٦٤- تفيد مزيد تلطف بدعوة المعرضين من خلال ما أكرمهم به المنعم وخصهم به، فلهم كرامة.. فليلتفتوا للمنعم المتفضل، وليشكروا له ما خصهم به وأكرمهم به.

٩٦٥- تفيد خاتمة الآية إشعارًا بعظم جرمهم كونهم أتوه عن معرفة لا عن جهالة، فلا عذر لهم في شركهم واتخاذ الانداد.

٩٦٦- تفيد إثبات العذر بالجهل وعدم التسرع في تكفير الآخرين إلا إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع.

٩٦٧- يفيد ورود ذكر الأنداد مرتين في هذه السورة، وهذا الموضع الأول ثم تكرر ذكرها ثانية في الجزء الثاني وكان هنا موجزًا وفي الثاني أكثر تفصيلا، وهذا من أسلوب القرآن في التربية والتهذيب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾: فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين.

٩٦٨- تفيد بيانًا لحلم الله على الكفار والعصاة الآكلين لنعمه العاصين له.

٩٦٩- تفيد دليلًا على أن الضلال عن علم أسوأ وأقبح لقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ولذلك غضب الله ﷻ على اليهود؛ لأنهم علموا الحق وعملوا بخلافه. وقد قيل: " من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى ".

٩٧٠- تفيد أنه سبحانه وتعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، والآخرة لمن يحب فقط.

فائدة: جعل الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ترجمة لأحد أبواب التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾وذكر تحتها تفسير ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - الذي رواه ابن أبي حاتم وغيره للأنداد: بالشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي... الخ. وذكر الشيخ في المسائل **فائدة وهي**: أن الصحابة - رضي الله عنهم - يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر؛ وذلك لأن الخطاب في الآية للمشركين وابن عباس فسرها بالشرك الأصغر؛ ولأن النظير يشمل النظير المساوي على الإطلاق أو في بعض الأمور، ولاستشهاد ابن عباس بآية الأكبر على الأصغر نظائر عن الصحابة كما في استشهاد حذيفة رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]لما رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا الآية، وهو من باب التنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ

ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣]

أ] **قوله تعالى:** ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾.

٩٧١- تفيد دقة القرآن في ترتيب أولويات الخطاب؛ لأن الله تعالى لما أقام الدلائل القاطعة على إثبات أصل الدين وهو: التوحيد قرر في هذه الآية أصل الدين الثاني؛ وهو: نبوة رسوله محمد ﷺ، ولما كانت نبوة محمد ﷺ مبنية على كون القرآن معجزًا أقام الدلالة على كونه معجزًا، وفي ذلك إشارة إلى كلمتي التوحيد؛ وهما شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

٩٧٢- تفيد مع ما سبقها من الأمر بعبودية الله تعالى والنهي عن جعل الأنداد والشركاء في عبادته، أن أولى درجات العبودية لله تعالى هو قبول ما جاء عن الله تعالى، وعدم الارتياب في المنزَّل على عبده محمد ﷺ.

٩٧٣- تفيد مع ما سبقها أنه سبحانه وتعالى لما قال في الآية السابقة: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة:٢٢] وكان المتوجه الأول في ذلك إلى أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته جاءت هذه الآية لتشير إلى أنه سبحانه لا شريك ولا ند له في صفاته.

٩٧٤- تفيد وجود مناسبة مع ما سبقها وذلك أن الحياة الحسية تتحقق بما ينزل من السماء ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] والحياة المعنوية تتحقق كذلك بما ينزل من السماء ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

٩٧٥- تفيد أن الفرق بين الريب والشك هو: أن الريب يقصد به -غالبا- التوهم والالتباس، وأن الشك استواء طرفين متقابلين، فالشك أقوى من الريب، لأن الريب أن تتوهم بالشيء أمرًا ما فينكشف عما تتوهمه، ففي هذه الآية تحداهم الله لمجرد توهمهم والتباسهم.

٩٧٦- تفيد أن الغالب من أصحاب التشكيك في الثوابت إنما هم أبواق لغيرهم.

٩٧٧- تفيد خذلان أعوان الباطل لإخوانهم عند الشدائد.

٩٧٨- تفيد أنه ينبغي التنويع في أساليب الدعوة إلى الله.

٩٧٩- تفيد أنه ينبغي العناية بصناعة المحاور القوية في الحجة والبيان.

٩٨٠- تفيد أن الحق لا يخشى أهله الهوان، لأنه قائم ومؤيد من الله تعالى.

٩٨١- تفيد أن أهل القرآن أهل قوة ظاهرة، وحجة بينة.

٩٨٢- تفيد أن أهل القرآن ينبغي أن يكونوا أهل صدق، ومرتبة الصدِّيق من أدركها أدرك بصدقه ما لا يدركه غيره ولو كان بدمه.

٩٨٣- يفيد الإتيان بـ ﴿إِنَّ﴾المفيدة للشك مع أن كونهم في ريب مما نزل على النبي ﷺ أمر محقق، تنزيلا للمحقق منزلة المشكوك فيه، وتنزيهًا لساحة القرآن عن أن يتحقق الشك فيه من أي أحد، وتوبيخًا لهم على وضعهم الأمور في غير مواضعها. منقول.

٩٨٤- يفيد التعبير بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾[البقرة: ٢٣]دون قوله: [وإن ارتبتم فيما نزلنا]، إشارة إلى أن ذات القرآن لا يتطرق إليه ريب، وإن أثير حوله ريب فمرجعه إلى انطماس بصيرتهم، وضعف تفكيرهم، واستيلاء الحقد والعناد على نفوسهم.

٩٨٥- يفيد العدول عن [مرتابين] إلى قوله: ﴿فِي رَيْبٍ﴾إشارة إلى توغل الريب والارتياب في قلوب هؤلاء المشركين بحيث أصبحوا منغمسين فيه، فلا يجدي فيهم نصح، ولا تنفع معهم موعظة لردهم عن ريبهم، لهذا لم يصلح معهم إلا هذا التحدي الذي تحدى الله بهم.

٩٨٦- يفيد الإتيان بـ ﴿فِي﴾الدالة على الظرفية، للإشارة إلى الذين بعدوا عن نور القرآن هم الذين قد امتلكهم الريب، وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف.

٩٨٧-تفيد علاجًا ربانيًا للريب وكيفية إزالته من كل مرتاب في النبوة والقرآن وما جاء فيه، وذلك من خلال طلب العلم القائم على البينات.

ب] قوله تعالى:﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.

٩٨٨- تفيد أن القرآن كلام الله؛ منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تحدي أفصح الناس العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا، وهذا معتقد أهل السُّنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾؛ ووجه كونه كلام الله لأن الكلام صفة للمتكلم، وليس شيئًا بائنًا منه؛ وبهذا نعرف بطلان قول من زعم أن القرآن مخلوق.

٩٨٩- تفيد إثبات علوّ الله ﷻ؛ لأنه إذا تقرر أن القرآن كلامه، وأنه منزل من عنده لزم من ذلك علوّ المتكلم به؛ وعلو الله ﷻ ثابت بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

٩٩٠- تفيد أن من يمكنه تصديق أن الماء نازل من السماء فما المانع أن يصدق أن القرآن نازل من السماء.

٩٩١- يفيد الإتيان بصيغة التضعيف في قوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا﴾أن النزول على سبيل التدريج والتنجيم.

٩٩٢- تفيد أن أشرف وصف للإنسان هو العبودية لله ﷻ لقوله تعالى:﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾وقد وصف بها النبي ﷺ في أشرف مقاماته كهذا المقام، مقام إنزال القرآن الكريم.

٩٩٣- تفيد أن العبودية لله من أعظم الدرجات.

٩٩٤- تفيد تكريما لنبي الهدى ﷺ وبيانًا لعظيم منزلته، ورعاية الله له، حيث أضافه سبحانه إلى ذاته العلية فقال: ﴿عَبْدِنَا﴾.

٩٩٥- تفيد دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ، بإثبات نزول القرآن عليه، وجعله معجزة باقية له إلى قيام الساعة، أبان الله تعالى بها نبوة نبيه وفضله بها.

٩٩٦- تفيد فضل معجزة النبي ﷺ على سائر معجزات الأنبياء، لأن سائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضائهم؛ وإنما يعلم كونها معجزة من طريق الأخبار، وهذه معجزة باقية بعده دالة مدى الدهر على ثبوت نبوته.

٩٩٧- تفيد أن العبودية ذكرت في أشرف المقامات، ففي مقام تنزيل الوحي﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، وفي مقام الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[الإسراء:١]، وفي مقام تبليغ الرسالة ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[الجن: ١٩]بما يبين أنها غاية عظيمة.

٩٩٨- يفيد ذكره ﷺ باسم العبودية تذكيرًا لأمته بهذا المعنى، حتى لا يغالوا في تعظيمه فيدعوا ألوهية كما غلت بعض الفرق في تعظيم أنبيائها أو زعمائها فادّعت ألوهيتهم.

٩٩٩- يفيد ذكر ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ دون [إلى عبدنا] إشارة إلى الحمل والثقل الذي كان يعاني منه النبي ﷺ عند نزول القرآن الكريم عليه، وقد قال تعالى في سورة المزمل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: ٥] ومعروف حال النبي ﷺ عند نزول القرآن الكريم عليه. وأيضا تشير إلى التكليف وثقل القيام بأعباء النبوة.

١٠٠٠-تفيد أن الأصل الثاني الذي يقوم عليه دين الإسلام هو أن يعبد الله بما شرع ولا يعبد بالبدع وذلك باتباع ما أنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ.

ج] **قوله تعالى:** ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.

١٠٠١- تفيد أن من عجز عن معارضة القرآن وجب عليه الاستسلام والانقياد له.

١٠٠٢-تفيد أن التحدي العلمي من أساليب الدعوة.

١٠٠٣-تفيد أن معجزات الأنبياء فيما تفوق فيه أقوامهم.

١٠٠٤-تفيد أنه ما زال التحدي قائما، ولا زال العجز دائما.

١٠٠٥-تفيد أن القرآن الكريم مقسم إلى سور.

١٠٠٦- تفيد أن رفعة القرآن وعلو منزلته من الدلالة اللغوية بمعنى السورة وهي المنزلة الرفيعة.

١٠٠٧- تفيد أن القرآن معجز بسورة منه ولو كانت قصيرة كسورة الكوثر؛ لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾والتنكير للإفراد أو النوعية.

١٠٠٨- تفيد دفاع الله سبحانه وتعالى عن رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾؛ لأن الأمر هنا للتحدي؛ فالله ﷻ يتحدى هؤلاء بأن يأتوا بمعارضٍ لما جاء به الرسول ﷺ.

١٠٠٩-تفيد أن الله يؤيد رسله بالمعجزات التي تدل على صدقهم، وأن النبيﷺ صادق في دعواه.

١٠١٠-تفيد أن نزولك في الحوار لا يلزم منه الريب والشك في معتقداتك.

١٠١١- تفيد رحمة الله بخلقه أن تلطف معهم بحوار هو أعلم بحقيقته وغايته.

١٠١٢-تفيد الآية هداية إلى الأسلوب الأمثل في مجادلة منكري السنة النبوية، وهو مطالبة المنكر بالإتيان بمثل ما أنكره، فمن عاب كتب السنة كصحيح البخاري [مثلا] فليأتنا بكتب رواية مثلها، فضلا عن أن يأتي بخير منها!!.

د] **قوله تعالى:** ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

١٠١٣-تفيد تيقن المشركين بأن القرآن كلام الله، وإلا لقبلوا النزال.

١٠١٤- تفيد وجود دليل عقلي على صدق رسول الله ﷺ.

١٠١٥-تفيد ضعف الآلهة التي تعبد من دون الله لأن قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾أي: واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها والتي لا تملك لعابديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. ضعف الطالب والمطلوب.

١٠١٦-تفيد بيانا لغاية ما يكون من التحدي: أن يتحدى العابدَ والمعبودَ أن يأتوا بسورة مثله، ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾أي الذين تشهدون لهم بالألوهية، وتعبدونهم كما تعبدون الله، ادعوهم ليساعدوكم في الإتيان بمثله؛ وهذا أشد ذلًّا مما لو تُحدوا وحدهم.

١٠١٧-يفيد إدماج توبيخهم على الشرك في أثناء التعجيز عن المعارضة في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهذا الإدماج من أفانين البلاغة أن يكون مراد البليغ غرضين فيقرن الغرض المسوق له الكلام بالغرض الثاني، وفيه تظهر مقدرة البليغ إذ يأتي بذلك الاقتران بدون خروج عن غرضه المسوق له الكلام ولا تكلف، ويجوز أن يكون المراد ادعوا نصراءكم من أهل البلاغة فيكون تعجيزًا للعامة والخاصة. منقول.

١٠١٨-يفيد دعوة أصنامهم وهي جماد، وفي تسميتها شهداء مع إضافتها إليهم مع أنها لا تعقل ولا تنطق، في كل ذلك أقوى ألوان التهكم، لكي يثير في نفوسهم من الألم ما قد يكون سببًا لتنبيههم إلى جهلهم، وصرفهم عن ضلالهم.

١٠١٩-تفيد أن فرحة المؤمنين لا تتم إلا بهزيمة المشركين ومن يعاونونهم على الباطل والضلال، ولهذا فإن أمر الله لهم بدعوة شهدائهم له دلالاته العظيمة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم.

١٠٢٠- تفيد اشارة إلى أن ما صدر عن هؤلاء المشركين مناكفة وعنادا، ولا يستند إلى علم أو حقيقة أو ما يستدعي ذلك، والتذييل متناسب مع كونهم في ريب مستول على نفوسهم لم يستطيعوا الخروج منه، فيصدر عنهم ما يبين ترددهم وانكشافه للعيان لمن أنعم النظر.

١٠٢١- تفيد أنهم بالرغم من إحاطة الريب بهم وتشككهم إلا أنهم ماضون متكاتفون ساعون سعيا شديدا في عنادهم للحق، ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾وكونهم شهداء لبعضهم دلالة على ذلك، كما قال عمر رضي الله عنه: عجبت من جلد الفاجر، وعجز التقي.

١٠٢٢- تفيد الآية ردا على المعتزلة ومن يقول بقولهم من أن القرآن الكريم معجز بالصرفة، ولو كان الأمر كذلك لما كان لدعوة شهدائهم واجتماعهم لمعارضة القرآن الكريم فائدة.

١٠٢٣- يفيد قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إثارة لحماستهم، إذ عرض بعدم صدقهم، فتتوفر دواعيهم على المعارضة التي زعموا أنهم أهل لها، حتى إن كان فيهم قدرة للمعارضة لتحركوا، والمعنى: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم تقدرون على معارضة القرآن فأتوا بسورة من مثله.

١٠٢٤-تفيد أن كل من ادعى دعوة لابد له من أدلة صادقة عليها وإلا كان كاذبًا في دعواه.

١٠٢٥-تفيد إثبات كذب الكافرين لأنه بعجزهم عن الإتيان بمثله ظهر كذبهم؛ لقولهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

١٠٢٦- تفيد أن التحدي بالقرآن هو للخلق جميعًا، وليس للعرب أو لجيل معين [من دون الله].

١٠٢٧- تفيد أن أعظم الشهود رب العالمين، وكل شهادة صحيحة في الدنيا من دونه فهي دليل إليه.

١٠٢٨- تفيد أن دعوة الإيمان قائمة على الصدق، ودعوة الكفر والنفاق قائمة على الكذب.

١٠٢٩- تفيد أن من كان هذا ديدنه عدم التصديق بما جاء به عليه الصلاة والسلام فلا يمكن أن يكون من الصادقين.

١٠٣٠- تفيد أن الصادق في معتقده لا يتطرق إليه شك.

١٠٣١- تفيد تزكية للمؤمنين بالصدق وصحة المعتقد وسلامة القلب.

١٠٣٢- تفيد أن المشركين المرتابين في صدق الرسول ﷺ معاندين ومكابرين وغير صادقين، وإلا كان عندما استبان عجزهم ولزمتهم الحجة أن يرجعوا إلى الحق.

فائدة [١]: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:« أي: ادعوا كل من يشهد لكم فيوافقكم على أن هذا ليس من عند الله، ادعوا كل من لم يقر بأن هذا منزل من الله، فهذا تعجيز لكل من لم يؤمن به، ومن آمن به، وبقي في ريب، كل قد علم أنه من عند الله، وهذا التحدي في البقرة، وهي مدنية بعد يونس وهود ولهذا قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، وهناك قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[يونس: ٣٨]، فهذا تحد لكل مرتاب، وذاك تحد لكل مكذب ولهذا قيل في ذاك: ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾

[يونس: ٣٨] فإنه أبلغ وقيل في هذا: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾[البقرة:٢٣]، وقد قال بعض المفسرين: شهداءكم:

آلهتكم وقال بعضهم: من يشهد أن الذي جئتم به مثل القرآن، والصواب أن شهداءهم الذين يشهدون لهم، فإن هؤلاء هم الذين يتصور منهم المعارضة، إذا كانوا في ريب منه، أما من أيقن أنه من عند الله، فإنه يمتنع أن يقصد معارضته لعلمه بأن الخلق عاجزون عن ذلك، والله تعالى شهد لمحمد ﷺ بما أظهره من الآيات، فادعوا من يشهد لكم. وهؤلاء يشهدون من دون الله، لا يشهدون بما شهد الله به فتكون شهادتهم مضادة لشهادة الله، كما قال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] كما قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [آل عمران:١٨]. [النبوات: [٢١٦- ٢١٧]].

فائدة [٢]: قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-: « وهذه الآية ونحوها يسمونها آية التحدي، وهو تعجيز الخلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ويعارضوه بوجه، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وكيف يقدر المخلوق من تراب أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الفقير الناقص من جميع الوجوه أن يأتي بكلام ككلام الكامل الذي له الكمال المطلق، والغني الواسع من جميع الوجوه؟ هذا ليس في الامكان، ولا في قدرة الانسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن هذا القرآن بغيره من كلام البلغاء ظهر له الفرق العظيم ».

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]

أ] قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾.

١٠٣٣-تفيد وجود مناسبة لما قبلها، فبعد إقامة الدليل وإثبات العجز عن أن يأتوا بمثل المثل، وبعد أن أخذهم بالرفق واللين كل مأخذ تأتي النذارة، وليعلم المصرُّون على المعاندة أن مصيرهم إلى عذاب أليم، وذكر النار فيه من الوعيد الرادع؛ لعلم الخلق بخطورتها ومدى أذاها حسا وعقلا.

١٠٣٤- تفيد الترقّي في التحدي من خلال تعجيز المرتابين وتبكيتهم وإظهار ضعفهم.

١٠٣٥- تفيد إقامة البرهان القاطع على أن القرآن كلام الله ما كان أن يفترى من دونه، فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله، مع التأكيد أنهم لم يفعلوا في الماضي، ولن يفعلوا في المستقبل، ولا

شك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق على الإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين على أنه من عند الله تعالى.

١٠٣٦- تفيد بيانا لعظمة القرآن من خلال إثبات عجز الخلق من الإتيان بمثله، بما يدل على كماله وعظمته وجماله ما تعجز العبارات عن بيانه.

١٠٣٧-تفيد إثارة ثانية لهمم المرتابين، وتحريكًا لنفوسهم، بعد الإثارة الأولى في قوله:﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:٢٣]ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع، قال ابن كيسان: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[البقرة: ٢٤] توقيفا لهم على أنه الحق، وأنهم ليسوا صادقين فيما زعموا من أنه كذب، وأنه مفترى وأنه سحر، وأنه شعر، وأنه أساطير الأولين، وهم يدعون العلم ولا يأتون بسورة من مثله.

١٠٣٨-يفيد قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾بيانًا لمعجزة ثانية من نوع الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز بالإخبار عن الغيب قبل وقوعه، وهو مستمرة على تعاقب السنين، فقد أخبر باستمرارية العجز والأمر باق على ما أخبر الله تعالى به.

١٠٣٩-تفيد إثبات علم الله، فإنه أخبر جل وعلا أنهم لن يفعلوا وكان كذلك.

١٠٤٠-تفيد أن علم الله السابق في خلقه يزيد المؤمن تعلقا بربه فهو يرى ضعفه ومن الله يستمد قوته.

١٠٤١-يفيد حرف تأبيد ﴿وَلَن﴾إلى أن التحدي قائم ومستمر، وقد جاءت آيات التحدي في القرآن المكي والمدني إشارة إلى استمرار التحدي.

١٠٤٢-تفيد دوام العجز من الخلق على مماثلة كلام الخالق أو بعض كلامه دلالة على عظمة الخالق وكلامه.

١٠٤٣- تفيد أن أعظم دلائل النبوة القرآن العظيم، والتحدي به، إذ رتب الأمر بالإيمان الموجب للنجاة على ظهور عجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، واقتصر عليه.

١٠٤٤-تفيد أن حذف ما يعلم من السياق جائز للاختصار أو لعدم الحاجة إلى ذكره، فقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾[البقرة: ٢٤] أي: لم تفعلوا الأمر السابق.

١٠٤٥-تفيد تقرير الله عجز الكفار عن معارضة القرآن، سواء قلنا بالسلب، أو الصرفة أو غيرها.

١٠٤٦–يؤكد صحة وقوة التحدي إذ أن من زعم المحاولة عدد قليل ممن منحهم الله القدرة والبلاغة فلم يفعلوا ومن تجشم منهم أظهر الله ضعفه في عموم ما نظم.

١٠٤٧–تفيد أن علمك بسابق تقدير الله لك متوافق مع جملة ما ضربه الله من الأمثال من ضعف المخلوق وحاجته للخالق، وفي جملة ما تحدى الله به الخلق أو استبعده واستحاله منهم ما يتعلق بتوحيد الربوبية، ومنها ما يتعلق بالألوهية، ومنها ما يتعلق بالأسماء والصفات.

١٠٤٨–تفيد أن القرآن الكريم كلام الله تعالى؛ لأن هذا الكلام لا يقوله بشر فيصدق في دعواه، لأنه ليس من طبيعة مخلوق ناقص أن يتحدى الخلق جميعا.

ب] قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

١٠٤٩– يفيد تفريع الأمر باتقاء النار على ظهور الحجة عليهم دليل على أنه كلما عظمت أدلة اليقين في القلب عظمت المسؤولية والمطالبة بالتقوى والعمل، ولذا فتكليف العالم ليس كالعامي والجاهل.

١٠٥٠–تفيد هوان الكافر على الله، حيث أبى عبادة ربه فكان قرين الحجارة في النار بل هما وقودها.

١٠٥١–تفيد أن عقاب الله يكون بعد قيام الحجة.

١٠٥٢–تفيد الحث على ترك العناد، قال الإمام الرازي: « فإن قيل: فما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله؟ فالجواب أنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله عليه السلام وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار، فاتقاء النار يوجب ترك العناد، فأقيم المؤثر مقام الأثر، وجعل قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾[البقرة: ٢٤] قائمًا مقام قوله فاتركوا العناد، وهذا هو الإيجاز الذي هو أحد أبواب البلاغة، وفيه تهويل لشأن العناد، لإنابة اتقاء النار منابه متبعًا ذلك بتهويل صفة النار ».

١٠٥٣– تفيد بيانًا لخيبة الأصنام التي عبدوها، لأنها تحرق معهم في النار﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، وهذا القول يبينه ويشهد له قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾[الأنبياء: ٩٨].

١٠٥٤– تفيد أن النار تتقى بالإيمان والعمل الصالح، وفي الحديث الصحيح: « اتقوا النار ولو بشق تمرة».

١٠٥٥– تفيد تسليمك للصادق في خبره يوجب عليك الأخذ بنصيحته وأمره ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾.

١٠٥٦- تفيد بيانًا لعظمة نار جهنم حيث أنها تحرق الحجارة مع إحراقهم، ومعنى وقودها الحجارة أن الحجر جعل لها مكانَ الحطب، وهذا فيه من بيان هول تلك النار ما فيه.

١٠٥٧-يفيد المنهج القرآني في التخويف بالنار لمن استكبر وتجبر، وقد سلكه الصالحون سلفًا، والنَّاس عامة بحاجة للترغيب والترهيب لتهتد، وفي هذا رد على من اعترض على هذا المنهج.

١٠٥٨-تفيد أن من سمات الخطاب القرآني وصف النار وتفاصيل الجحيم والحديث عنها، وتوصيف ذلك بأنه خطاب منفر، يفيد جهلا بحقيقة القرآن وخطاب المرسلين.

١٠٥٩-تفيد أن من أساليب التربية التفصيل في ذكر العاقبة الوخيمة لترك المأمور به.

١٠٦٠-تفيد أن العبد إذا لم يذعن لله طمعًا ورجاءِ لثوابه فليذعن له خوفًا ورهبًا من عذابه.

١٠٦١- تفيد أن نار الآخرة هي أشد بأسًا من جميع صور الحرائق في الدنيا فمن دخلها سيكون هو وقودها فهي تشتعل بجسده.

١٠٦٢-تفيد أن لفظ الناس ولفظ الحجارة من العام الذي يراد به الخصوص، فليس كل الناس وقودا للنار إنما الكافرون منهم، وليس كل الحجارة وقودا للنار وإنما الحجارة التي كانوا يعبدونها من دون الله أو حجارة معينة.

١٠٦٣-تفيد التخويف من النار، ودار البوار؛ وقد قيل في تفسير الحجارة أنها حجارة الكبريت العظيمة السوداء الصلبة المنتنة، وخصت بالذكر كما قيل لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الاتقاد، نتن الرائحة، كثرة الدخان، شدة الالتصاق بالأبدان، قوة حرها إذا حميت، أجارنا الله وإياكم من النار.

١٠٦٤-يفيد تنوع مجيء التقوى في القرآن الكريم فههنا جاء الأمر باتقاء النار، وجاءت في آيات أخر باتقاء الله، وجاءت في آية أخرى اتقاء الزمان ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١].

١٠٦٥-يفيد الأمر باتقاء النار ههنا إشارة أن المشركين في عنادهم وإصرارهم على كفرهم وريبهم فيما أنزل على محمد ﷺ قد بلغوا المنتهى، بحيث لا ينفع معهم إلا أن يتقوا النار التي لا رحمة فيها ولا عتاب لمن دخل فيها.

١٠٦٦-تفيد أن مصير من عارض القرآن النار.

١٠٦٧-تفيد أن نار الآخرة تختلف عن نار الدنيا، الدنيا بالحطب والآخرة بالناس، فهي تحرقهم وتوقد بهم فيجتمع عليهم العذاب من وجهين. نسأل الله السلامة.

١٠٦٨-تفيد أنه قد يكون المقصود بـ[الحجارة] آلهتهم، وهذا فيه إذلال لهم في حال طرحها في النار.

ج] **قوله تعالى**: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

١٠٦٩- تفيد أن النار مخلوقة ومعدة ومهيأة للكافرين، وهو القول الحق قول أهل السنة والجماعة، خلافا للمبتدعة في قولهم إنها لم تخلق حتى الآن، وذلك لدلالة فعل الماضي ﴿أُعِدَّتۡ﴾.

١٠٧٠-تفيد أن النار دار الكافرين أما من دخلها من عصاة المؤمنين فإنه لا يخلد.

١٠٧١-تفيد ردًا على الخوارج الذين يجعلون مرتكب الكبيرة مخلدًا في النار.

١٠٧٢-تفيد التنفير من الكفر وأسبابه بأبلغ عبارة.

١٠٧٣-يفيد التعبير باسم الفاعل أن كل من صدق عليه الوصف بالكفر فهو حقيق بها.

١٠٧٤-تفيد كلمة الكافرين بدلًا من المرتابين أن الشك والريب في كون القرآن ليس من كلام الله بأنه ضرب من الكفر.

فائدة: قال ابن عاشور:« قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾أثر لجواب الشرط في قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ دل على جمل محذوفة للإيجاز لأن جواب الشرط في المعنى هو ما جيء بالشرط لأجله وهو مفاد قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾[البقرة: ٢٣]، فتقدير جواب قوله ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾أنه: فأيقنوا بأن ما جاء به محمد منزل من عندنا وأنه صادق فيما أمركم به من وجوب عبادة الله وحده واحذروا إن لم تمتثلوا أمره عذاب النار، فوقع قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾موقع الجواب؛ لدلالته عليه، وإيذانه به، وهو إيجاز بديع، وذلك أن اتقاء النار لم يكن مما يؤمنون به من قبل لتكذيبهم بالبعث فإذا تبين صدق الرسول لزمهم الإيمان بالبعث والجزاء ».

إضافة على ما سبق: يلاحظ من سياق هذه الآية والتي قبلها أنها جاءت في ذكر عبودية الله سبحانه وتعالى والنهي عن عبادة غيره، والخطاب الإلهي كان موجهًا لجميع الناس عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ﴾[البقرة:٢١]، وكذلك عند قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾[البقرة: ٢٢]، ثم أقحم في هذا السياق قضية هذه الآية وهو وجود ريب لدى المشركين فيما نزل على محمد ﷺ وذلك للمناسبات الكثيرة التي ذكرها الأحبة الكرام، والسياق القرآني ههنا عندما كان موجهًا إلى الجميع بصيغة الخطاب التفت إلى بعض من هؤلاء المخاطبين وهم المشركون المرتابون، فانتهى الكلام بهم إلى قوله تعالى: ﴿

﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾، والملاحظ أن المؤمنين الذين كان يشملهم الخطاب في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ليسوا داخلين بالتأكيد في قضية الارتياب والمرتابين في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾، ثم رجع الخطاب إلى عموم الناس ومن بينهم المؤمنين عند قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ...﴾وحسن الرجوع في هذا الموضع للناس جميعا لما تقدم من الأمر بعبادة الله والنهي عن جعل الأنداد والشركاء مع الله تعالى، والمعنى: فإن لم تمتثلوا لما أمرتكم به من عبادتي ونهيتكم عنه من جعل الأنداد والشركاء في عبادتي فاتقوا النار... وبهذا يمكن أن يستقيم السياق مع الآية التي بعد هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة: ٢٥] أي: الذين امتثلوا لما أمرتهم به من عبادتي، وعملوا بمقتضاها، هذا ويمكن أن يلاحظ أن كلام ابن عاشور السابق يستقيم ويلتقي مع ما ذكر في هذا التعليق من وجود اختصار وإيجاز بديع في الآية الكريمة.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٥].

أ] قوله تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾.

١٠٧٥-يفيد سياق الآيات أنه لما أمر سبحانه وتعالى بعبادته، ونهى عن جعل الأنداد شركاء له في عبادته، ثم ذكر عاقبة من أعرض عن عبادته واتخذ الأنداد من دونه وهم الكافرون، ناسب أن يذكر عاقبة من امتثل لأمر عبادته، حيث أمر الله عبده محمدا ﷺ أن يبشر عباده الممتثلين لأمر عبادته والمجتنبين لعبادة غيره.

١٠٧٦-تفيد وجود مناسبة مع ما سبقها من ذكر أصناف المعرضين وأهل النار وأنواع العذاب الأليم والعظيم وذكر أوصاف أهلها في الدنيا وفي الآخرة بـ ﴿وَقُودُهَا﴾ناسب أن تسبق البشارة وصف المؤمنين في الآخرة.

١٠٧٧-تفيد حسن أسلوب خطاب القرآن حيث ذكر الترغيب بعد الترهيب وعطفه عليه، فقد أنذر الكافرين، ووعد المؤمنين ليكون ذلك مثبطًا عن الأعمال الفاسدة منشطًا على الأعمال الصالحة.

١٠٧٨-تفيد الآية مع ما قبلها أن القرآن مثاني، فبعد أن ذكر أهل الكفر والشقاوة وماهم صائرون إليه، جاء ذكر أهل الإيمان وسعادتهم وما هم صائرون إليه، وبعد أن ذكر النذارة جاء

بالبشارة، فالآية السابقة أنذرت الكافرين من النار؛ لكفرهم وخبثهم، وهذه جاءت بالبشارة للمؤمنين بالجنة لإيمانهم وعملهم الصالح، وهذا يبين حسن تسلسل القرآن ونظمه كأنه عقد فريد مرتبط ببعضه وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[الأحزاب: ٤٥] وهي مع غيرها تعكس نمطا في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى.

١٠٧٩-يفيد مجيء ذكر النار بالإفراد في الآية السابقة، وذكر الجنات بالجمع في هذه الآية، إشارة إلى شقاوة من اختار الضيق، وسعادة من رزقه الله عطاء واسعا غير مجذوذ.

١٠٨٠-تفيد أول تصريح بالجنة في القرآن، وبها جاءت البشارة.

١٠٨١-تفيد بيان فرح المؤمنين وغبطتهم ودهشتهم مما أعد لهم من النعيم وبشرهم به.

١٠٨٢-تفيد عظم كلمة ﴿وَبَشِّرِ﴾فالبشارة من الله، والمبشر بها رسول الله، والمبشر به جنات عرضها السموات والأرض، والمبشرين خيار الخلق، والقرآن يجعلها بشارة تتلى مدى الدهر، ما أعظمها من كلمة لو عقلناها.

١٠٨٣- تفيد استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل.

١٠٨٤- تفيد توجيهًا للدعاة أن يكونوا مبشرين ويبثوا البشارة بين الخلق، وقد تزكى الرباني الأول نبي الهدى ﷺ بهدى القرآن، فقال:... وبشروا ولا تنفروا...

١٠٨٥-تفيد البشارة من العزيز الحكيم لمن آمن وعمل صالحًا بالجنات وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، مما يحفز للتشمير إليها بمزيد من الطاعات وترك المنكرات.

١٠٨٦- تفيد استحباب البشارة بما يسر، ومن هدي السلف مكافأة المبشر ببشراه كما فعل كعب بن مالك رضي الله عنه لما بشر بتوبة الله عليه. قال: « فخلعت ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه واستعرت ثوبين فلبستهما». والحديث في الصحيحين.

١٠٨٧-تفيد أن الإيمان والعمل الصالح صنوان.

١٠٨٨-تفيد فضل الإيمان والعمل الصالح، فلهما جاءت البشارة من الله تعالى.

١٠٨٩- تفيد أن عدم الإيمان كفر، وعدم العمل الصالح نفاق، والمؤمن من جمع بين الإيمان والعمل الصالح.

١٠٩٠-تفيد أن المؤمن مطالب بأن تكون له قوتان: القوة العلمية، والقوة العملية، وهما العلم النافع والعمل الصالح، وكل عطف للعمل على الإيمان في القرآن، وهو كثير، فهو تأكيد لهذه الحقيقة.

١٠٩١-تفيد أن الإيمان تصديق بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان.

١٠٩٢-تفيد الآية الكريمة بأن الأعمال الصالحات هي الأعمال الصادرة عن محبة وتعظيم لله سبحانه المتضمنة الاخلاص لله ﷻ، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فالعمل الذي لا إخلاص فيه ولا متابعة فهو مردود.

١٠٩٣-تفيد ردًا على من يقول: إن الإيمان بمجرده يقتضي الطاعات، لأنه لو كان ذلك ما أعادها، فالجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح. وقيل: الجنة تنال بالإيمان، والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات.

١٠٩٤- تفيد أنه لا جنان إلا مع الإخلاص للديّان، ومتابعة سيد ولد عدنان.

١٠٩٥-تفيد كرم الله وجوده حيث وفقهم للإيمان والعمل الصالح، وجازاهم أحسن الجزاء وأتمه، كيف لا وهو أكرم الأكرمين.

١٠٩٦- يفيد وصف أعمال الخير بالصالحات؛ لأن بها تصلح أحوال أمور الدين والدنيا، ويزول عن العامل بالصالحات فساد الأحوال، ويكون من الصالحين الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته.

١٠٩٧- ليس العبرة بكثرة العمل، إنما حسنه وصلاحه.

١٠٩٨- تفيد أن المؤمن يعبد الله سبحانه بالحب والخوف والرجاء. وقد قال بعض السلف: من عبد الله بالحب فقط فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فقط فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فقط فهو مرجيء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن.

١٠٩٩- تفيد أن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، أما الآخرة فليست إلا لمن يحب.

ب] قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ...﴾.

١١٠٠- تفيد تشويقًا للمؤمنين إلى دار السلام، وما فيها من نعيم مقيم ليزدادوا رغبة فيها وعملًا لها بفعل الخيرات وترك المنكرات.

١١٠١- تفيد أن الجنة هي الثواب الجزيل لمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح.

١١٠٢- تفيد أن تعليق المتربين بالجنة أقوى حافز للإنجاز وأقرب طريق للوصول للتقوى.

١١٠٣- تفيد بيان قدرة الله ﷻ بخلق أنهار الآخرة بغير سبب معلوم بخلاف أنهار الدنيا معروفة السبب.

١١٠٤- تفيد وصف الجنة وما فيها من النعيم.

١١٠٥- تفيد أن الجنات أنواع؛ لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وقد دل على ذلك القرآن، والسنة؛ فقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال النبي ﷺ: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما؛ وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما».

١١٠٦- تفيد أن في الجنة أنهارا، وبين أنواع هذه الأنهار في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، يفجرونها كيفما شاءوا، ويصرفونها أينما أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار.

١١٠٧- تفيد أنه شتَّان بين من يجري من تحته نهر ومن يجد من تحته بشر أو فهر.

١١٠٨- تفيد أن أنهار الجنة جارية من تحت قصورها وأشجارها.

١١٠٩- تفيد أن الماء والخضرة تحبهما النفس البشرية وتتوق إليهما، فلا غرو في أن يطلبهما الإنسان في الدنيا، ويقضي وقتًا يتلذذ بمباح مرغوب، يقاس عليه نعيم دائم، قد وعد به الكريم العظيم عباده المؤمنين في الآخرة.

١١١٠- تفيد جواز حذف ما يعلم، فقوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة:٢٥] أي: ماء الأنهار.

ج] قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾.

١١١١- يفيد ذكر الثمرة إلى أن المؤمنين لا يمسهم جوع في الجنة، لأن الثمرة إنما تؤكل من أجل التشهي والتفكه.

١١١٢- تفيد أن جزاء المؤمنين لا ينتهي أبدا فهو أكثر بكثير مما يعملون.

١١١٣- تفيد أن من تمام نعيم أهل الجنة أنهم يؤتون بالرزق متشابها، ومن تمام التلذذ بما يأكلون.

١١١٤-تفيد أن من عظيم نعيم الجنة أن لذتها وطعم ثمارها تزداد كل يوم لذة، وليس كثمرة الدنيا التي تنقص لذتها بالاعتياد عليها.

١١١٥- تفيد الاستمرار والتجدد فهم من كثرة الأصناف التي رزقوها في الجنة وحسنها ولذتها؛ يرون بلوغ اللذة ومنتهى النعيم، وإن اختلفت الأصناف؛ فالنعيم واحد وأصنافه متعددة.

١١١٦- تفيد أن رزق الجنة متشابه في الحسن والجودة لا تفاضل بينه في الكمال والحسن واللذة والتفكه.

١١١٧- تفيد أنك كلما ذقت لذة ثمار الدنيا أن تتذكر أن لذتها في الآخرة أكمل وأدوم.

١١١٨- تفيد أن رزق أهل الجنة بمثل ثمار الدنيا فيه أنس وعوض لمن حرمها ولم يهنأ بها في الدنيا.

١١١٩- تفيد أن أهل الجنة لن يسعوا لأرزاقهم، بل إنما تأتيهم أرزاقهم حيثما كانوا وكيفما كانوا.

١١٢٠-تفيد بأن أشجار الجنة دائمة الاثمار والعطاء، ليست كأشجار الدنيا تعطي في موسم دون موسم، وفصل دون فصل، تأتي أهل الجنة ثمارها فيجدونها تتشابه في المظهر، ولكنها تختلف في المخبر.

١١٢١- يفيد التعبير بما لم يسم فاعله ﴿وَأُتُواْ﴾إلى أن كل ما في الجنة مهيأ لخدمة عباد الله المؤمنين، وأنهم ليسوا في حاجة إلى أن يطلبوها، بل يكفي أن يشتهوها فيؤتى لهم بما تشتهيه نفوسهم.

١١٢٢-تفيد أنه ليس في الجنة من ثمرات الدنيا إلا الأسماء فقط، وأن الشكل والطعم مختلفان تمام الاختلاف، كما قال ابن عباس ﴿مُتَشَٰبِهَا﴾في الحسن والجمال والكمال واللذة، ليس فيه رديء، ولا تستطيع أن تفاضل بين ثمرة وثمرة وطعام وطعام، هذا هو المعنى الأنسب لذلك النعيم الأكمل من بين ما قيل من أقوال.

١١٢٣- تفيد أن الطيبات من الرزق عامة للمؤمن والكافر في الدنيا، وخاصة للمؤمنين فقط في الجنة.

١١٢٤- يفيد أن نظر المؤمن وتذوقه لشهوات الدنيا من الطعام واللباس والمنكح مدعاة لتذوق مشوق لشهوة ماتعة في دائمة في دار النعيم المقيم، فما يدرك بالذوق يعظم إليه الشوق.

١١٢٥- تفيد أهمية استصحاب الظاهر ولكن دون حكم الأشياء عليه.

١١٢٦- تفيد بإشارة خفية إلى أنه يستحسن لمن دعي إلى ضيافة أن يمدح ويثني على المضيف فيما صنع له من أنواع الاكل والشراب، ولو امكن له أن يذكر له فوائد ومميزات ما تفضل

بإحضاره من أكل أو شرب فذاك أحسن، إظهارا لفضله عليه، وأنسًا بالحديث معه، وهذا الأمر من طبع وشيم الكرماء، وذوي المروءات، وهو من صنيع أهل الجنة مع ربهم الكريم.

١١٢٧- تفيد بإشارة خفية أنه يفضل للكريم أن يتولى تكريم من يريد تكريمه من دون أن يشعره بأنه صاحب الفضل عليه، وفي ذلك تطييب لخاطر هذا المكرم، وإشعار من الكريم بأنه سوف يعطي هذا المكرم أكبر وأعظم مما أعطاه إن قدر عليه. وفي عدم نسبة الله الرزق إلى نفسه وكذلك عدم نسبة المؤمنين الرزق إلى الله إشارة إلى هذا المعنى العظيم، وأيضا إشارة إلى أن هذا الرزق المذكور ما هو إلا شيء قليل مما آتاهم الله ﷻ من أرزاق في الجنات، ولهذا قال تعالى في آية أخرى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

د] قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾.

١١٢٨- تفيد أن البشارة لكلا الجنسين الذكر والأنثى، وعلى هذا فإن للإناث أزواجًا من الذكور كما أن للذكور أزواجًا من الإناث.

١١٢٩- تفيد إثبات وجود الأزواج في الآخرة وهذا أيضا من كمال النعيم.

١١٣٠- تفيد أن النعيم كل النعيم أن تكون لك زوجة مطهرة من الشك والريب والخيانة والنجاسة المعنوية والحسية.

١١٣١- تفيد أن النار تسكنها وحيدا وإن كانت زوجتك معك فعندها ما يكفيها، هذا إن لم تحملك إثم تضييعها، وأهل الجنة هم وأزواجهم يحبرون.

١١٣٢- تفيد أنه لا يوجد في الجنة مني؛ لأن الحاجة إليه في الدنيا من أجل النسل، أما في الجنة فإن من فيها باقون أبد الآبدين، فليسوا بحاجة للنسل.

١١٣٣- تفيد سلوى لمن تكدرت حياته من زوجة الدنيا بأن الله عز وجل سيعوضه بخير منها.

١١٣٤- يفيد أن الأزواج هم من يملكون عصمة زوجاتهم، وأن للرجال عليهن درجة في الدنيا والآخرة.

١١٣٥- يفيد العدول عن [أزواج مطهرات] إلى قوله: ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ إشارة إلى أنهن متساويات في الطهارة ولا تفاضل بينهن في ذلك.

١١٣٦- يفيد التعبير بقوله: ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ إشارة إلى أن زوجها لا يشبع منها وأنها لا تشبع منه؛ لأن النفس تعشق الشيء المطهر النظيف، ولهذا شرع عدم الطلاق في أيام الحيض.

١١٣٧- تفيد هذه الآية الكريمة وأشباهها استدلالًا بأنه لا طلاق في الجنة، لأن المؤمنة ما دامت مطهرة من خالقها من كل عيب يستقذره الزوج، فما الداعي إلى طلاق الزوج منها.

١١٣٨- يفيد ذكر المطهرة دون الجميلة إشارة إلى أنه ينبغي للعبد في هذه الدنيا أن يبحث عن ذات الدين قبل ذات الجمال؛ لأن الملتزمة بدين الله تعالى يطهرها التزامها في الدنيا والآخرة، ويعظم لها الأجر في الآخرة، وقد ثبت بهذا الحديث النبوي الشريف.

١١٣٩- فيها أهمية وجود المرأة في حياة الرجل الصالح.

١١٤٠-تفيد أن الزوجة الصالحة من أفضل ما يرزق به العبد في الدنيا إذ جعلها من جملة ما يبشر به في الآخرة. ومن رزق الله في الجنة. وعليها دل الحديث «أربع من السعادة...».

١١٤١-تفيد بلاغة القرآن حيث جمع كمال نساء الجنة في كلمة واحدة ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾، فلم يقل مطهرة من العيب الفلاني ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق بكمال الجمال فليس فيهن عيب ولا دمامة خلق بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان من الفحش والبذاءة، مطهرات الأبصار من أن تطمح به إلى غير زوجها، ومطهر خلقهن من الحيض والنفاس والبول والمني والغائط والمخاط والبصاق والرائحة الكريهة.

١١٤٢- يفيد السياق القرآني من تقديم الاستمتاع بأكل أنواع وأصناف من الثمرات قبل الاستمتاع بالأزواج المفهوم من السياق، إشارة إلى ما هو متعارف عليه من أهمية التقوي بالأكل قبل الجماع، فإن ترتيب ما جاء في الآية أتى على ما هو متعارف عليه في الدنيا، وإن لم يكن في الجنة فتور أو ضعف.

هـ] قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

١١٤٣- تفيد تمام نعيم الجنة في كلمة ﴿خَٰلِدُونَ﴾، حيث تفيد كمال السعادة بخلود النعيم، وخلود المنعم، فلا يكتمل النعيم إلا بخلودهما معًا.

١١٤٤- تفيد قمة الراحة والاطمئنان للمؤمنين المنعمين في الجنة.

١١٤٥- تفيد أن أهل الجنة خالدون فيها أبد الآبدين وقد أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة. نسأل الله من فضله.

١١٤٦- يفيد ذكر الخلود في حالة الفرح والاستمتاع ما يؤكد منة الرحمن وتفضله على عباده بأن عبادتهم منقطعة وجزاؤهم عند الله باق ودائم.

١١٤٧- تفيد أن كل نعمة وفضل وتكريم إذا لم يكن باقيًا فإن العبد يعيش في قلق وخوف دائم من فقدانه في اي لحظة، ولهذا طمأن الله عباده المؤمنين بأن ما هم فيه من النعيم سوف يبقى لهم خالدا مخلدين فيها أبدا.

١١٤٨- تفيد روعة القرآن في عرض صور نعيم الجنة من حيث التدرج والترتيب، حيث ذكر أولًا المساكن الجميلة التي تجري من تحتها الأنهار التي بها يبدأ سكون النفس وراحة البال، ثم أتبعه بذكر المطاعم الجميلة الكاملة في حسنها التي ترقي ذلك النعيم الأول وترفعه في النفس درجات ودرجات، ولما كان جمال الدار وتنوع الثمار لا يكتمل بهما النعيم إلا بأنسية في الدار قال: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾، ولما تكامل النعيم في الدار والطعام والنساء جاء القرآن بعلاج ما يهدم مخاوف النفس عند اكتمال النعيم والمتاع وهو خوف الزوال أو الانتقال فقال: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

١١٤٩- تفيد هذه الآية وصف الجنة بثماني صفات:

١، ٢- المساكن الجميلة التي اختصرت في الجنات، التي تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار.

٣، ٤- الرزق الواسع، المتشابه في الحسن والجمال والكمال حتى لا تسطيع التفاضل بين ثمرة وأخرى.

٥، ٦- الزوجات، اللآتي كملن في الجمال الظاهري والباطني ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾.

٧، ٨ – خلود الجنة وخلود من فيها، لأن خلودهم يستلزم خلود الجنة.

همسة أدبية من الآية الكريمة:

﴿وَبَشِّرِ﴾ألق سمعك إلى خطاب وليك لحبيبك ﷺ مبشرًا إياك.. إياك أنت! وأصغ إلى منشور البشارة يتلى عليك، يا من نلت بـ [الإيمان والعمل الصالح] منشور الولاية! وتذوق لذيذ ذياك الخطاب قبل تذوقك لذيذ الحديث عن الجنات، وما يجري تحتها من أنهار.. وتأمل ما تختزنه كلمة ﴿وَبَشِّرِ﴾من معاني العطف واللطف... والرضا والأنس... واستشعر إقباله عليك وهو يبشرك... فحديثه عن إكرامك إكرام لك!. وتذكر أن: [بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بالذي يأتي به وهو يضحك]، لله تلك الكلمة! لو قمت في سبيلها دهرك كله ما تعبت ولا سئمت.. يا من وجل قلبه إيمانًا منه بالله واليوم الآخر... بعد هذا الوجل أبشر... ويا من أفنى

حياته بالعمل الصالح بعد هذا التعب أبشر.. أبشر... لقد رضي عنك مولاك...فاسمع البشارة من فم حبيبك البشير محمد ﷺ وهو ينقلها إليك... وأعدها – بربك؛ مرتين ثلاثًا.. مئة.. لا... بل اجعل لها يومًا من عمرك ثم اهمس في أذني: ألا تجد حلاوة لها في فمك لا تشابهها إلا [حلاوة الإيمان] في قلبك.. وجمالًا لا يدانيه إلا [جمال العمل الصالح] على جوارحك.. ولذة لا تقاربها لذة [الأزواج المطهرة ولا الحور ولا الخلود في القصور..].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

أ] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا...﴾.

١١٥٠- تفيد دقة التناسق بين آيات القرآن؛ لأنه لما كانت الآيات السابقة ثناء على القرآن وبيان إعجازه، وأن المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به، ووعد من آمن به، شرع في جواب ما طعنوا به؛ وذلك لأنهم لما عجزوا عن معارضته سلكوا في المعارضة طريق الطعن في المعاني، فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعاني ما ينزه عنه كلام الله، ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين وتنفير المشركين والمنافقين.

١١٥١-تفيد دقة المناسبة بين هذه الآية وبين ما تقدمها من آيات، فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر الكفار والمنافقين ثم ضرب الأمثال للمنافقين في الذي استوقد نارا، وفي الصيب من السماء الذي فيه ظلمات ورعد وبرق... الخ، أوضح في هذه الآية أن تلك الأمثال المضروبة لا يعقلها هؤلاء الكفار والمنافقون كما لا يعقلون ضرب المثل بالبعوضة، ولهذا ختم الله ﷻ الآية الكريمة بقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ ليشمل الكفار المرتابين في آيات الله، ويشمل كذلك المنافقين الذين تقدم ذكرهم، ويتضح من خلال ما تقدم أن هذه الآية الكريمة عودة أخرى إلى بيان خطورة الكفر والنفاق، والذي لا يرى اصحابهما سوى الباطل حقا والحق باطلا، نعوذ بالله من الكفر والنفاق.

١١٥٢- تفيد وجود مناسبات لطيفة بين هذه الآيات والآيات الأولى من وجوه عديدة، منها: أن التحدي هنالك بالآيات القرآنية، والتحدي هنا بالآيات الكونية، ثم التعقيب في الموضعين بالحديث عن كتاب الله، وكونه لا ريب فيه، غير أنه وصف المؤمنين هنالك بخمسة أوصاف

جميعها وردت بالفعل المضارع، وهنا وصف الفاسقين بثلاثة أوصاف تجلى فيها المضارع كذلك، وختم الحديث هنالك بوصف المفلحين، وختمه هنا بوصف الخاسرين.

١١٥٣- تفيد توطئة لكل الأمثال الواردة في القرآن الكريم.

١١٥٤-تفيد إثبات صفة الحياء لله تعالى كما يليق بجلاله، والسنة النبوية تصرح بذلك « إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا »، والحياء الثابت لله ليس كحياء المخلوق.

١١٥٥-تفيد إرشادا إلى الاتصاف بخلق الحياء فهو من الإيمان، ولا يأت إلا بخير، كما في أحاديث النبي ﷺ، وقد كان عليه الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه.

١١٥٦- تفيد أن الحياء لا ينبغي أن يمنع فعل المعروف وقوله والأمر به.

١١٥٧- تفيد أن الجرأة في الحق لا تنافي خلق الحياء.

١١٥٨- تفيد أن الامثال المحسوسة يستدل بها على الأمور المعقولة.

١١٥٩- تفيد أن كل مثل ضربه الله في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس.

١١٦٠- تفيد أهمية استعمال الأمثال وضربها، وهو مسلك تعليمي تربوي دعوي، ينبغي للدعاة والمعلمين والمربين أن يكون من ضمن أساليبهم وطرائقهم.

١١٦١- تفيد أهمية استخدام الوسيلة التعليمية المناسبة لتقريب توصيل المعلومة للمتعلم، ومن ذلك أيضا نقل طالب العلم من الأسهل إلى الأصعب، ومن صغار المسائل إلى كبارها.

١١٦٢- تفيد أن على الدعاة ألا يهابوا وألا يستحوا من قول الحق ولا تأخذهم في الحق لومة لائم.

١١٦٣- تفيد أن على الدعاة أن يعلموا الناس أمور دينهم صغيرها وكبيرها حتى آداب قضاء الحاجة.

١١٦٤- تفيد عدم الاستهزاء بخلق من خلق الله وإن كانت بعوضة.

١١٦٥- تفيد الآية النهي بقياس الأولى عن الاستهزاء بالناس ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] وأشد خطرا الاستهزاء بالمؤمنين

١١٦٦-تفيد أن في ضرب المثل تواضع من الكبير سبحانه للعبد الضعيف ليرى من هو أضعف منه.

١١٦٧- تفيد أن التلطف في مبدأ الآية وغرتها بنفي ما يستحى من عرضه مع إقرار المخلوق بصحة المثل صغر أو كبر، بيان عظيم أن العظيم سبحانه تنزل في ضرب المثل لدفع توهم عوارض العقل الناقص.

١١٦٨- تفيد رحمة الله بعباده رغم سوء أدب بعضهم إلا أنه يهذب ويمهل ويبين.

١١٦٩-تفيد إرشادا للمؤمن أن لا يستحي من قول الحق، مهما قوبل بالاستهزاء أو السخرية أو الطعن.

١١٧٠-تفيد أن حسن المطلع في ذكر الحقائق يرفع الحرج عن ذكر بقية التفاصيل.

ب] قوله تعالى:﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ...﴾.

١١٧١- تفيد أن علم الله محيط بكل شيء.

١١٧٢- تفيد أن البعوضة من أحقر المخلوقات وقد تكون سببا في هلاك أفراد أو جماعات.

١١٧٣- تفيد أن البعوضة والذباب... يسلبانك ما لا تستطيع استرجاعه؛ وقد يكون أضعف الخلق في عينيك أقدر الخلق عليك!!. لا تحقرن صغيرا في مخاصمة * إن البعوضة تدمي مقلة الأسد. عين البعوضة لا تحجبها الستائر؛ ولا يراها الأسد.

١١٧٤- تفيد أن كل مخلوقات الله تعالى لها أهمية، ولها وظائف فلا نستصغرن ولا نستحقرن منها شيئا.

١١٧٥- تفيد أن الله رب الصغير والكبير، وخالق البعوضة والفيل، والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل.. إنها معجزة الحياة.. على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل، إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير.. وليس في ضرب الأمثال ما يعاب وما من شأنه الاستحياء من ذكره.

١١٧٦-تفيد أن البعوضة لا تستحي إلا من خالقها، والله لا يستحي أن يضرب بها مثلا!!

١١٧٧-تفيد أن صغر الأحجام وكبرها... لا يغير من الحقيقة شيئا.

١١٧٨- تفيد أن قدرة الضعيف عليك من باب أولى أن تدلك على الأقدر عليكما..ليس لك حيلة إلا هو.

ج] قوله تعالى﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ...﴾.

١١٧٩- تفيد أن في ذكره تعالى للقولين بيان استمرار المدافعة في الدنيا بن الحق والباطل، وأن الله مع المؤمنين.

١١٨٠- تفيد أن أهل الإيمان يقبلون كلام الله كحقيقة ثابتة لا تتزحزح ولا تتبدل.

١١٨١- تفيد أن الإيمان يقوم دائمًا على العلم، والكفر يقوم دائمًا على الجهل، ولذا عبر عن المؤمنين بقوله: ﴿فَيَعۡلَمُونَ﴾، وعبر عن الذين كفروا بقوله:﴿فَيَقُولُونَ﴾، فهذا فيه حمد عظيم للمؤمنين، ونعي كبير للكافرين.

١١٨٢- تفيد أن أهل الايمان يهتمون بما يزكي نفوسهم ويزيدهم من إيمانهم، وأما أهل الكفر والنفاق فلا يهتمون سوى ما يدنس افئدتهم وينجس قلوبهم من شبهات وافتراءات على كلام الله العزيز وشرعه القويم، فتتناقلها ألسنتهم فتزيدهم عمى وحيرة فهم في ريبهم يترددون.

١١٨٣-تفيد أن الله ﷻ يري عباده المؤمنين الحق حقا ويرزقهم اتباعه بخلاف الكفار والمنافقين الذين لا يرون الحق إلا باطلا، فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه

١١٨٤- تفيد أن المؤمنين يتسمون في كل حال بالقبول والتصديق، ولا يقدمون العقل على النقل، ولا يعترضون، ولا يقولون: لِمَ؟ ولا: كيف؟ بل يقولون: سمعنا، وأطعنا، وصدقنا؛ وآمنا بالله، وبما جاءت به رسله، ويؤمنون بأن الله ﷻ له الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما قدر، بخلاف الكافرين والمكذبين والمرتابين والذين يقدمون العقل والفكر والنظر على ما هو منزل من عند الله.

١١٨٥-تفيد أن المؤمن إذا تعارضت عليه أدلة القرآن الكريم فإنه يؤمن أنها من مشكاة واحدة فلا يبادر برد بعضها، أو ضرب بعضها ببعض.

١١٨٦- تفيد أن من أعظم أسباب ثبات المسلم على دينه أو قيمه ومبادئه اعتقاد صحتها ومعرفة مصدرها.

١١٨٧- تفيد أن المؤمن إذا قصر فهمه عن شيء فإنه لا يرده بل يسلم له، بعكس الكافر.

١١٨٨-تفيد إثبات الربوبية الخاصة لله ﴿مِن رَّبِّهِمۡ﴾والمؤمن عبد لله بالعبودية الخاصة والعامة.

١١٨٩-يفيد ذكر ﴿رَّبِّهِمْ﴾ في قوله: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾إشارة إلى أن علمهم بأنه حق إنما هو فضل وإحسان ممن ربَّاهم وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة.

١١٩٠- تفيد أن ديدن الكافرين الاعتراض على حكم الله، وعلى حكمة الله؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، وكل من اعترض ولو على جزء من الشريعة ففيه شبه بالكفار

١١٩١- تفيد أن ديدن الكافرين الشك والريب، والاعتراض على حكم الله، وحكمته سبحانه.

١١٩٢- تفيد التحذير من التشبه بالكفار في معارضة الحق.

١١٩٣- تفيد أن كثيرا من الكفار يتخذون مواقفهم الكفرية ثم يبنون عليها أسئلتهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾،ولهذا فكيف يهدي الله كثيرا منهم؟ والعلم ليس مطلبهم، وإزالة الجهل عن أنفسهم في فهم كلام الله تعالى ليس مبتغاهم، ولهذا لم تنفع معهم مناظرات علمية، ولم تجد معهم ردود علمية، ﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾[الشورى:٤٦]

١١٩٤- تفيد أن كثرة الأسئلة ليست بحثا عن الإجابة - عند أهل الباطل- بل استبطاء لظهور أدلة الإيمان.

١١٩٥- تفيد بإشارة خفية أن وجهات النظر منها ما تكون من أعماق القلوب ومستندة إلى العلم والحقائق، ومنها ما تكون أقوالاً صادرة من اللسان فقط، وليس لها أي مستند علمي، فينبغي أن لا يغتر أحد بوجود تعدد لوجهات النظر في أي موضوع، ما لم يكن مستندا إلى العلم والحقيقة، لا مجرد الأقوال التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

د] قوله تعالى﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

١١٩٦- تفيد أن المثل المضروب يجعله الله سبب هداية لقوم فهموه، وسبب ضلال لقوم لم يفهموا حكمته، فهي مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قومًا، ويضل بها قومًا آخرين.

١١٩٧- تفيد أن الأمثال المذكورة في القرآن الكريم يزداد بها المؤمن هدى ونورا وبصيرة، ويزداد بها الكافر ضلالا وحيرة وارتيابا.

١١٩٨- تفيد أن الناس يتفاوتون في الإيمان والفهم عن الله، وأن المعاصي والفسوق هي السبب في ذلك.

١١٩٩- تفيد أن أهل الإيمان يهديهم ربهم لقبول الحق وفهمه ومن ثم الامتثال له، وان أهل الباطل تعمى بصائرهم فلا يرون الحق مع جلائه، ولا يفهمون الحق مع كونه ظاهرا.

١٢٠٠- تفيد أنه لا ينبغي أن يغتر بالكثرة فالحق بذاته، وليس بكثرة أو قلة أتباعه.

١٢٠١- يفيد تقديم من يضل بالأمثال على من يهدي به، إشارة إلى أن من يضل به أكثر، وهذا كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

١٢٠٢- تفيد أن لفظة ﴿كَثِيرًا﴾ لا تدل على الأكثر.

١٢٠٣- تفيد أن إضلال من ضل ليس لمجرد المشيئة؛ بل لوجود العلة التي كانت سببًا في إضلال الله العبد؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

١٢٠٤- تفيد أن القرآن الكريم لم يزل ولن يزال موطنًا وقبلة للمهتدين بأمثاله والمستنيرين بنوره، وفي نفس الوقت ما زال حصنًا حصينًا من الكفار والفساق الذين يريدون النيل عنه، ونشر الافتراءات والأباطيل حوله، فهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

١٢٠٥- تفيد أن الفسق من أعظم أسباب الضلال.

١٢٠٦- تفيد هذه الآية وجود لطائف دقيقة ففيها:

أ/ وقفان أحدهما ممتنع على لفظة: ﴿يَسْتَحْىِۦٓ﴾ والآخر لازم على لفظة: ﴿مَثَلًا﴾.

ب/ صنفان من الناس أحدهما مؤمن: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والآخر فاسق ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

ج/ صفتان إحداهما الهداية: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ والأخرى الإضلال ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾.

د/ اسمان أحدهما الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ والآخر الرَبّ ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾.

هـ/ إجابتان أحدهما أنه حق ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ والأخيرة إعراض واستهزاء ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧].

أ] **قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ...﴾.

١٢٠٧- تفيد وجود علاقة تناسقية رائعة بين هذه الآية وبين ما تقدمها من آيات، فإنه لما ذكر في الآيات السابقة أن المنافقين هم المفسدون جاءت هذه الآية لتوضح وتبين أن من يشاركهم في الفساد والإفساد في الأرض كثير، فمنهم الكفار ومنهم العصاة من هذه الأمة ممن فسق وخرج عن طاعة الله تعالى.

١٢٠٨-تفيد وجود ارتباط واضح بما قبلها، فهي تبين بعض صفات الفاسقين الذين لم يستفيدوا من ضرب أمثال القرآن فيهتدوا بهديه ويستنيروا بنوره منهم.

١٢٠٩-تفيد دقة التناسب وروعة التناسق في صفات الفاسقين الواردة في هذه الآية، فإن الفاسق أول ما يبدأ في فسقه بنقض ما بينه وبين ربه من صلة وعهود، ثم يتدرج في ذلك بقطع الصلة بينه وبين اقربائه وارحامه، ثم يمضي في فسقه بنشر الفساد والإفساد في كل ما يحيط به على وجه الأرض.

١٢١٠- تفيد أن نقض عهد الله من الفسق؛ وذلك بترك أوامره وارتكاب نواهيه، فكلما رأيت شخصًا قد فرط في واجب، أو فعل محرمًا فإن هذا نقض للعهد من بعد الميثاق، وكذلك ينقضون العهد الذي بينهم وبين الخلق فهو داخل فيه.

١٢١١- تفيد أن نقض العهد وقطع ما أمر الله به أن يوصل والفساد في الأرض من صفات الفاسقين.

١٢١٢- تفيد وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق والتزامها، وكل عهد وميثاق جائز ألزمه المرء نفسه فلا يحل له نقضه سواء أكان بين مسلم أم غيره؛ لذم الله تعالى من نقض عهده، وقد قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[المائدة: ١].

١٢١٣-تفيد أن من صفات الفاسقين قطع ما أمر الله به أن يوصل، وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان به ومحبته وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين الوالدين والأقارب والأصحاب، وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها.

١٢١٤- يفيد لفظ ﴿يَنقُضُونَ﴾ تأكيدا لعزم الناكث، وتمكن الخيانة من نفسه، وإنما جاء لفظ ﴿وَيَقۡطَعُونَ﴾للتأكيد على قطعهم كل الطرق الموصلة إلى أمر الله لا طريقا واحدا فحسب.

١٢١٥- تفيد أن أعظم مواثيقك في حياتك وأشرفها مع الله؛ فمن وفى مع الله كان مع خلقه وفيًا؛ ومن نكث فإنما ينكث على نفسه؛ وكان مع خلق الله وضيعا.

١٢١٦- تفيد أن الله تعالى ثالث المتعاهدين.

١٢١٧- تفيد أن الصلاة عهد مع الله تعالى، فمن تركها فهو فاسق في الدنيا، خاسر في الآخرة.

١٢١٨- تفيد أن نقض العهد يكون بعد إبرامه بين المتعاقدين ولا اعتبار بمقدماته.

١٢١٩- تفيد إضافة الميثاق إلى الله تعالى دليل على زيادة الاهتمام به.

١٢٢٠- تفيد أن من نقض العهد بينه وبين الله باطنًا هان عليه انتهاك الحرمات ظاهرًا وسعى للإفساد في الأرض.

١٢٢١- تفيد أن من أعظم الذنوب نقض المواثيق مع الله ﷻ وبسببه لعن الله اليهود وجعل قلوبهم قاسية، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] فكل هذه العقوبات والمصائب كانت بسبب نقض الميثاق. ففي الآية تحذير من ذلك لأن من فعل فعلهم لا يأمن أن يصيبه ما أصابهم.

١٢٢٢- يفيد العدول عن المصدر والتعبير بالفعل المضارع في قوله:﴿أَن يُوصَلَ﴾إشارة إلى أن المطلوب هو الاستمرار في وصل ما أمر الله بوصله.

١٢٢٣- يفيد مفهوم الآية أن المؤمنين أهل وفاء، أوفوا بعهدهم مع الله، ومع المؤمنين، ومع أنفسهم، والوفاء خلق عظيم ورفيع، قال حكيم: وجربنا وجرب الأولون فلا شيء أعز من الوفاء، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[الرعد: ٢٠ - ٢١].

١٢٢٤- تفيد أن قطيعة الرحم من صفات الفاسقين والكافرين والمفسدين في الأرض، وهذا على القول بأن معنى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾قطع الأرحام. قال تعالى:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

١٢٢٥- يفيد مفهوم الآية أن المؤمنين يصلون رحمهم، وما أمرهم الله بوصله، ويسعون صلاحا وإصلاحا في الأرض، وهم بذلك أحق بالربح والفوز والفلاح.

١٢٢٦- تفيد أن العارف بالله من يقف عند أوامر الله، فيصل ما أمر الله بوصله.. ويقطع ما أمر الله بقطعه... فهو اللبيب بنص الكتاب؛ لأنه - من حيث عنايته بأوامر الله- موصول بالله.. مقطوع عما يقطعه عنه.. وليت شعري! أية خسارة خسرها الغافلون عنه حتى استحقوا هذا الوصف؟.

١٢٢٧- تفيد وجوب صلة الرحم.

١٢٢٨- تفيد أن صلة الأرحام سعة في الأرزاق وبركة في العمر، وذكر حسن.

١٢٢٩- تفيد أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة حملًا على أن الفسق يشمل الكفار والعصاة من المؤمنين.

ج] قوله تعالى:﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾.

١٢٣٠- تفيد أن من أعظم الفساد والإجرام أن تسعى فسادًا في الأرض التي خلقت منها ومهدت لتعيش فيها، فإن العاقل لا يعق بأصله الذي خلق منه، ولا يفسد بيته، بل على العكس من ذلك، يكون بارًا بأصله محسنًا إليه، مصلحًا لشأن بيته راعيًا لأحواله.

١٢٣١- تفيد أهمية المحافظة على البيئة، والمكتسبات الشخصية والعامة.

١٢٣٢- تفيد عدم تغيير منار الأرض.

١٢٣٣- تفيد أن الفساد في الأرض سببه المعاصي والفسوق.

١٢٣٤-تفيد أن الذين أفسدوا في الأرض هم الخاسرون.

١٢٣٥-يفيد التعبير بصيغة المضارع الدال على الاستمرار في صفات الفاسقين إشارة إلى ان الإسلام يجب ما قبله، وأن توبة الفاسق مقبولة.

د] قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

١٢٣٦- تفيد أن من لم يحفظ العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل وأفسد في الأرض فمآله إلى خسران.

١٢٣٧- تفيد أن أساس الربح في الدنيا والآخرة قائم على الإيمان، وأساس الخسران قائم على الكفر والفسوق والعصيان، ولذا حصر الخسارة فيهم، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

١٢٣٨- تفيد أن الربح يجر ربحًا آخر، والخسارة تجر خسارة مثلها، فمن خسر ميثاقه مع الله سهل عليه قطع أوامر الله كلها؛ ولن يكتفي بخسارة لنفسه فقط بل للمجتمع؛ ليكون المجتمع كله بحجم السوء الذي يرتكبه المفسد ويسعى إليه.

١٢٣٩- تفيد روعة التناسب في ختم صفات الفاسقين في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾وذلك لأن الفاسق دائما ما ينظر إلى المصالح الشخصية والربح المادي، حيث يرتكب هذه الأوصاف للوصول إلى الربح السريع، فينقض العهود ويخون الأمانات، ويقطع أواصر الرحم، ويقوم بالفساد في كل شيء في هذه الأرض لأجل أن يحظى بحظ وافر من الدنيا، فأوضحت خاتمة الآية أنه وإن حصل لهذا الفاسق حظ من الدنيا وربح مادي إلا أنه في الحقيقة خسر ضميره وخسر إنسانيته وقبل ذلك خسر دينه وآخرته، وهل بعد ذلك خسارة أعظم من هذه الخسارة، ففي الإشارة إليهم ب [أولئك] التي للبعد إشارة إلى أنهم بعيدون من كل خير وفلاح.

١٢٤٠- تفيد أن المعاصي والفسوق سبب للفساد في الأرض.

١٢٤١- تفيد أن أهل الإفساد الحقيقيين هم الذين نقضوا العهد مع الله، ولهذا فإنهم لا عهد لهم مع الخلق.

١٢٤٢- تفيد أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[البقرة:٢٨].

أ] قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ...﴾.

١٢٤٣- تفيد مع ما سبقها من آية ضرب المثل بالبعوض بيانًا لسفاهة وانحطاط عقول الكفار إذ يسألون ويستنكرون ويقولون في ضرب المثل بالبعوض، ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ ولا يسألون أنفسهم لماذا خلقنا الله من العدم، ولماذا نحيي في هذه الدنيا؟ ولماذا نموت ثم نحيي مرة أخرى؟ وفي هذا الذي ذكر يظهر التناسب الواضح والتناسق الرائع بين هذه الآية وما تقدمها من آيات.

١٢٤٤-تفيد مناسبة لما قبلها فبعد أن خاطب الذين عاندوا وأعرضوا وبين لهم عظم جرمهم وبين لهم ما سيؤولون إليه من العذاب... أظهر لهم في هذه الآية أصل خلقتهم وما حالهم في نهاية حياتهم؛ ليتركوا العناد والاستكبار، ويخضعوا لله الواحد القهار.

١٢٤٥- تفيد مع الآية السابقة أن نقض العبد لعهد الله تعالى هو كفر بالله تعالى.

١٢٤٦- تفيد مع ما سبقها أن الارتياب في القرآن الكريم وإنكار ضرب الأمثال فيه هو كفر بالله تعالى.

١٢٤٧-تفيد مع ما سبقها أن الله تعالى هو خالق البعوض وخالقكم أنتم أيها الناس فلماذا تستنكرون على الله ضرب المثل بأي من مخلوقاته.

١٢٤٨-تفيد أن الالتفات من الغائب إلى المخاطب للتنبيه على خطورة الأمر وأهميته.

١٢٤٩- تفيد شدة الإنكار والوعيد لمن كفر بربه؛ لأن الاستفهام هنا للإنكار والوعيد.

١٢٥٠-تفيد أن الكفر ليس جحد الربوبية فحسب فهو مقرون بتدبير الخالق، ولذا أنكر عليهم جحد استحقاقه العبادة مع استدلاله بما يقرون به من الإحياء والإماتة، وهي نحو ما تقدم: من قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة:٢١] ولكن بأسلوب مغاير.

١٢٥١- تظهر الآية عظيم لطف الله تعالى بعباده، وتتجلى رحمته التي سبقت غضبه، فبعد كل ما سبق من حالهم في الفسق والكفر إلا أنه سبحانه يستخدم معهم أسلوبا ألين مما سبق تأليفا لهم، وأخذا بأيديهم ليسلكوا سبيل الحق... فالله ما أرحم الله وما أحلمه.

١٢٥٢-تفيد توجيها للدعاة ألا يملوا من تكرار دعوة من ظنوا أنه لا يستجيب لهم، ولا ييأسوا من معاندته.

١٢٥٣-تفيد جواز استخدام الاستفهام الإنكاري كأسلوب من أساليب الدعوة عند الحاجة إليه خاصة لمن أنكر الربوبية ولوازمها من أحقية الله بالعبادة.

١٢٥٤- تفيد الانكار الشديد والتعجب ممن يكفر وهو يعلم حاله ومآله.

١٢٥٥-يفيد الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ﴾ الموجب لنفي المنكر، دلالة على أنه كان ينبغي أن يكون الكفر فِي حيز الممتنع لما على بطلانه وصحة التوحيد من الأدلة التي تفوت الحصر. منقول بتصرف.

١٢٥٦-يفيد التعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ﴾ دون الماضي [كيف كفرتم] وإن كان الكفر قد وقع منهم، لأن المقصود بالإنكار هو الدوام والاستمرار على الكفر، وصيغة المضارع هي المشعرة بذلك، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن من كان كافر ثم آمن لا يتوجه إليه هذا التوبيخ والإنكار.

١٢٥٧- تفيد دليلًا على التلطف مع المدعوين، ولو كانوا على الشرك ببيان الحق وعرض الحجج العقلية، وضرب المثل، ألا ترى أن الله جل جلاله بدأ الآية بإنكار الكفر عليهم، وأثبت لهم الحق بطرق محسوسة من خلال الموت والحياة.

أ] قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾.

١٢٥٨- تفيد أن الله تعالى هو المتصرف بخلقه.

١٢٥٩- تفيد أن الإماتة والإحياء دليل على وجود الله وقدرته.

١٢٦٠-تفيد أن الإحياء والإماتة من أعظم آيات الله سبحانه وقد ذكرت في القرآن كثيرا.

١٢٦١-تفيد دليلا على الإيمان بالبعث والحشر والحساب والجزاء.

١٢٦٢-تفيد أن الإنسان قبل أن تنفخ فيه الروح كان ميتا، وهذه الآية كقوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[غافر:١١].

١٢٦٣-تفيد أن الموت يطلق على ما لا روح فيه، وإن لم تسبقه حياة، ولا يشترط للوصف بالموت تقدم الحياة؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾،وقد أطلق وصف الموت على الجمادات؛ قال تعالى في الأصنام: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[النحل: ٢١].

١٢٦٤-يفيد إطلاق الموت على ما لم تحله حياة تنبيها على أنه أكثر ما تكون الإعادة التي ينكرونها مثل الابتداء، فلا وجه أصلا لإنكارها مع الاعتراف بالابتداء، فكيف والإعادة دونه. [منقول بتصرف].

١٢٦٥- تفيد ردًا على من زعم فناء الجنة والنار لأنه ليس بعد الإحياء الأخير موت ولا فناء.

١٢٦٦- تفيد أن العاقل لا يقابل الإحسان بالإساءة والجحود.

١٢٦٧- تفيد أن العطف بالفاء بين الموتة الأولى والحياة الأولى، دليل على قصر مدتها إذا ما قورنت ببقية الفترات الأخرى التي عطفت بـ [ثم].

١٢٦٨- تفيد الآية بيانا لمراحل حياة الانسان، حياة في عالم الأرحام، وحياة في عالم الدنيا، وحياة في عالم البرزخ، وحياة أبدية إما في جنة وإما في نار.

١٢٦٩- تفيد بيانا لنعم الله تعالى على بني آدم، فقد أوجدهم من العدم، وجعلهم في أحسن تقويم، كما أوجد لهم أسباب معاشهم... وفي هذا منهج لدعوة غير المسلمين بتذكيرهم بنعم الله عليهم سيما النعم الظاهرة البينة، وهو منهج الأنبياء وأتباعهم في تذكير العباد بالنعم ليشكروا كما

قال موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقال مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ [غافر: ٢٩]، وقال هود عليه السلام ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٣٢ - ١٣٤] وغيرها.

١٢٧٠- تفيد أن من خرج من بطن أمه قبل نفخ الروح فيه فلا يثبت له حكم الحي.

١٢٧١- تفيد دعوة للالتفات إلى أن الحياة الدنيا ليست إلا جزءا ضئيلا من أطوار وحياة الإنسان.

١٢٧٢- تفيد أن المتتبع لقضية الإحياء والإماتة في سورة البقرة يجد أن لها حضورا ظاهرا في آياتها، هذا **أولها**، **وثانيها** في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦]، **وثالثها**: في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٧٣]، **ورابعها**: في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:١٦٤]، **وخامسها**: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩]، **وسادسها**: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، **وسابعها**: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. **وثامنها**: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ...﴾ [البقرة: ٢٥٨]، **وتاسعها**: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، **وعاشرها**: قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، **الحادي عشر**: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠]، وهذا الورود المتنوع لهذه القضية يجعل تقريرها من مقاصد هذه السورة الكبرى... والله أعلم.

١٢٧٣- تفيد بيانا لعجز المخلوقين أن يأتوا بأفعال رب العالمين من إعطاء الولد أو أحياء الأموات، كما يزعم المتصوفة وغيرهم من أصحاب العقائد المنحرفة الذين ينسبون إلى أئمتهم أنهم يحيون ويميتون، ويفعلون كذا وكذا...

١٢٧٤-تفيد أن تعدد ذكر الأحوال بين الحياة والموت دال على إمكانية التحول بين الضلال والهدى.

١٢٧٥-تفيد أن الحياة أن يحييك الله بنور تمشي به في الناس، سواء كنت ميتًا أو حيًا.

١٢٧٦–تفيد أن الله ﷻ خلق في الناس الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا، ثم إليه يرجعون فيجازيهم على أعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

١٢٧٧–تفيد أن الحياة الأخيرة هي حياة ثابتة دائمة إما في جنات تجري من تحتها الأنهار، أعدت للمتقين، وإما في نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين، وفي هذا إشارة واضحة إلى دقة المناسبة وروعة التناسق مع الآيات السابقة.

١٢٧٨–تفيد بيانًا لقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، وردًا لقول أهل الطبائع من أن المؤثر في الحياة والموت كذا وكذا من الأفلاك والكواكب والأركان والمزاجات. [منقول بتصرف].

١٢٧٩– تفيد صحة استخدام القاعدة الاستنباطية في هذه الآية وهو أن عدم ذكر الشيء لا يلزم عدم وجوده، فمن استدل بهذه الآية على عدم وجود عذاب القبر استدللنا له بهذه القاعدة.

١٢٨٠–تفيد أن الإماتة والإحياء دليل على وجود الله وقدرته.

ج] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١٢٨١– تفيد أن مآل الخلق ورجوعهم إليه سبحانه.

١٢٨٢–تفيد تذكير العباد بالرجوع إلى الله ﷻ ليستعدوا لذلك بالإيمان والعمل الصالح.

١٢٨٣– تفيد تهديدا للكافرين، فإن مرجعهم إليه تعالى فيجازيهم.

١٢٨٤– تفيد رجاء لمن تابوا من المعاندة والكفر وأقبلوا على الله مستجيبين لدعوته، فإن الرب الرحيم إذا رجعوا إليه حلت عليهم رحماته.

١٢٨٥– يفيد تقديم الجار والمجرور على متعلقه دلالة على أن المتوجه إليهم بالخطاب ينكرون الرجوع إلى الله، وفي ذلك رد على ما كانوا يعتقدونه من نفع آلهتهم وأنهم في الآخرة سيرجعون إليها فتنصرهم من دون الله.

١٢٨٦– يفيد تقديم الجار والمجرور على متعلقه دلالة على الحصر، وأن الرجوع إلى الله وحده لا إلى غيره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾[العلق:٨]، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٦] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[مريم:٤٠].

١٢٨٧– يفيد التعبير – على قراءة الجمهور– بما لم يسم فاعله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ دلالة على كراهة المخاطبين الرجوع إلى الله تعالى، وأنهم في هذا مجبرون وليسوا راضين عن هذا الرجوع.

١٢٨٨- يفيد التعبير - على قراءة من قرأ- بما سمي فاعله دلالة على أن هؤلاء المخاطبين سيرجعون إلى الله بأنفسهم، شاءوا أم أبوا، رضوا أم سخطوا، لأنهم في كلتا الحالتين مجبرون على هذا الرجوع ولا مفر لهم منه. وفي هذا التوجيه والاستنباط تظهر لنا بعض من فوائد القراءات القرآنية، وأنها مكملة لبعضها البعض في المعاني والدلالات.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٩].

أ] قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ...﴾.

١٢٨٩- تفيد التأكيد على شناعة الكفر مع كثرة وتعدد نعم الله على الناس: كيف تكفرون بالله..... وكنتم أمواتا فأحياكم... هذا الذي تكفرون به هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا. فهل يليق بعاقل أن يكفر بمن هذه نعمه وإفضاله عليكم!؟ وفي هذا يظهر المناسبة بين هذه الآية وما تقدمها من آيات.

١٢٩٠-يفيد الابتداء بخلق الأرض قبل خلق السماء إشارة إلى فضل عموم ساكني الأرض وهم بنو آدم على عموم أهل السموات وهم الملائكة، فإن تهيئة الارض لساكنيها قبل تهيئة السماء لساكنيها دليل على فضل ساكني الأرض وإن تأخر خلقهم عن خلق الملائكة، وفي هذه المسألة خلاف مشهور بين أهل العلم، وسياق هذه الآية وما بعدها من خلق آدم وسجود الملائكة له يشهدان ويؤيدان ما ذكر، وفي هذا يظهر بوضوح دقة المناسبة، وروعة التناسق في كلام الله تعالى بين هذه الآية وما بعدها.

١٢٩١-تفيد أن من منة الله تعالى على الانسان تهيئة الأرض بما يسعد الإنسان ويؤمّن له معاشه ليتفرغ لعبادة ربه التي خلق من أجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ويدل هذا على عظمة الله سبحانه وإحاطته بما يصلح خلقه.

١٢٩٢- تفيد أن الله تعالى هو المتفرد بخلق كل الكائنات لا شريك له في ذلك، ففيها إثبات الربوبية خالصة لله سبحانه وتعالى.

١٢٩٣- تفيد أن الله تعالى قدم للخلق ما يلزمهم للاستقرار في الأرض واستعمارها ليتهيأ لهم طيب المعاش، فيلتفتوا إلى فيوض نعمائه التي امتن بها عليهم، وعظيم خلقه الذي سخره لمنفعتهم... ليأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية عن طريق عقولهم... بالإقناع والإمتاع.

١٢٩٤- تفيد قوله: ﴿لَكُم﴾ مزيد تكريم وفيه تلطف بالدعوة... ويشعر المدعو أن له تكريمًا خاصًا أكرمه به الخالق... ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

١٢٩٥- تفيد أن الله تعالى خلق جميع ما في الأرض لعبده، لئلا ينشغل به عما افترضه عليه.

١٢٩٦- تفيد أن الله تعالى خلق لعبده ما في الأرض جميعًا ليشهد منته ولطفه، ثم استوى إلى السماء ليشهد عظمته وقدرته.

١٢٩٧- تفيد دليلًا على أن الأصل في الأشياء التي على الأرض وفي داخلها الإباحة والطهارة، لأنها سيقت في معرض الامتنان، ويخرج من ذلك الخبائث، فإن تحريمها أيضا يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته منعنا من الخبائث تنزيها لنا. [قاله السعدي].

١٢٩٨- يفيد أهمية التدرج والأخذ به في إنجاز الأمور العظيمة والكبيرة، وبمقدور الله ﷻ خلق الأرض والسموات ودحو الأرض في لحظة، ومن باب التعليم لعباده كان الخلق على هذه الصورة والكيفية.

١٢٩٩- يفيد سياق هذه الآية مع ما بعدها أن الله ﷻ ابتدأ بخلق عظيم النعم قبل وجود أصحابها وإعطائها لهم، في إشارة إلى كرم الله تعالى وسعة وجوده وجزيل عطائه، وتكريمه لآدم وذريته، فما أعظمك يا إلهي وأكرمك، ويا خسارة من لا يقدرك حق قدرك.

١٣٠٠- تفيد أن من تودد إليك بنعم خلقها لك لا يليق بك أن تقابله بمعاص تتبغض بها إليه.

١٣٠١- تفيد العجب ممن سخر نفسه لخدمة الدنيا ولم يوازن بين دينه ودنياه وآخرته؛ وصدق ابن القيم عندما قال: عجبا للمرء يشتغل بالمضمون ويترك غير المضمون.

١٣٠٢- تفيد سعة ملك الله وعظمته.

١٣٠٣- تفيد أهمية التعرف على نعم الله ومن ثم شكرها.

١٣٠٤-تفيد منة الله على عباده بأن خلق لهم الارض وما فيها من خيرات..

١٣٠٥-يفيد الابتداء بخلق الأرض التي هي في السفل قبل السماء التي هي في العلو، إشارة وهداية للبنائين أن العمارة والبناء يبدأ بالأسفل قبل الأعلى، وبالأساس قبل السقف، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١ - ٣٢].

١٣٠٦- تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وقد فسرت بعض هذه المنافع التي أجملت في هذه الآية في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما تفيد أن السنة المطهرة فسرت وبينت ما في القرآن الكريم من إجمال وإطلاق وعموم.

١٣٠٧- يفيد ذكر [جميعا] إشارة إلى أن حاجة الناس في هذه الدنيا لا تقوم بشيء دون شيء، وإنما تقوم بكلية ما فِي الأرض حتى لو بطل منها شيء تداعى سائرها. [منقول بتصرف].

١٣٠٨- تفيد أن جميع ما في الأرض فيه النفع وإن لم تظهر للناس الحكمة من وجوده... حتى المخلوقات الضارة فيما يظهر؛ فإن لها نفعا في دورة الحياة...

ب] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ...﴾.

١٣٠٩- تفيد قمة البلاغة القرآنية، وروعة التناسب اللفظي، حيث قرن بين الاستواء والتسوية، فجاء السياق في قمة التناسب اللفظي والتناسق الموضوعي.

١٣١٠- تفيد استواء الله إلى السماء استواء يليق بجلاله وعظمته وكماله.

١٣١١- تفيد أن الله تعالى بإرادته وقدرته قصد إلى السماء فجعلها سبع سماوات مخلوقة محكمة.

١٣١٢- تفيد أن من خلق السماوات والأرض وهن أشد خلقا، لا يعجزه خلق الناس من العدم.

١٣١٣- تفيد أن ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ وردت في القرآن على ثلاث معان: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها: الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، وتارة تكون بمعنى "علا" كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وتارة تكون بمعنى "قصد" إذا عديت بـ "إلى" كما في هذه الآية، أي: لما خلق الله تعالى الأرض قصد الى خلق السماوات فسواهن سبع سماوات، ومما يؤكد الفرق بين [استوى إلى] و[استوى على]: أن المعداة بعلى كلها ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في السبع مواضع، والمعداة بإلى كلها ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ في الموضعين، هنا وفي فصلت. كما يدل على أن الاستواء إلى السماء غير الاستواء على العرش أن الاستواء الى السماء لخلقها، وأما الاستواء على العرش فكان بعد خلق السموات والأرض ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ...﴾ [الأعراف: ٥٤].

١٣١٤- تفيد أن عدد طباق السماوات سبع.

١٣١٥- تفيد بيان كمال خلق الله ﷻ للسموات، وتسويته لها.

١٣١٦- يفيد العدول عن الخلق إلى التسوية في السموات في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾إشارة إلى أن السموات لا تغير فيها بالنمو والذبول، والزيادة والنقصان، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[الملك:٣]، بخلاف الأرض التي قال الله فيها: ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِى ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآ﴾[الأنبياء: ٤٤].

ج] قوله تعالى:﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٣١٧- تفيد إثبات علم الله تعالى المحيط بكل شيء، والشامل لكل صغير وكبير، ما ظهر وما بطن، وأنه لا يخرج شيء عن علم الله تعالى، وقد أكد ذلك بمؤكدين بـ ﴿بِكُلِّ﴾وبتنكير ﴿شَىۡءٍ﴾الدال على العموم.

١٣١٨- يفيد إثبات علمه بعد ذكر خلقه للخلق دلالة على أن خلقه للمخلوقات أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته.

١٣١٩- تفيد وجوب مراقبة الله تعالى في السر والعلن والليل والنهار وفي الخلوة والجلوة.

١٣٢٠- تفيد أهمية التحرز والحذر من غضب الله في الأفعال والأقوال وما تخفي الصدور.

١٣٢١- تفيد تذكير العباد بالرجوع إلى الله ﷻ ليستعدوا لذلك بالإيمان والعمل الصالح.

١٣٢٢- تفيد إثبات ضعف وعجز الذين يستغاث بهم ويلجأ اليهم - من مشايخ المتصوفة وغيرهم - في رفع الضر وكشف الكربات، ويشهد له قوله تعالى:﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا...﴾[الرعد:١٦].

١٣٢٣- تفيد علو الله بذاته ومعيته لخلقه بصفاته، ومنها العلم.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:٣٠].

أ] قوله تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةًۖ ...﴾.

١٣٢٤- يفيد خروج الخطاب من الخطاب العام إلى الخطاب الخاص، وإضافة الرب إلى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام دون غيره من المخلوقات في قوله [إذا قال ربك] تنبيها على شرفه واختصاصه بخطابه، وإشارة لطيفة إلى أن الحبيب المصطفى له الحظ الأعظم والقسم الأوفر من جملة ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةًۖ﴾بل هو في الحقيقة أعظم خلفائه، ألا ترى إلى عموم رسالته ودعوته، وجعله أفضل الأنبياء وإمام المرسلين، وجعل آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه، فهو

المقدم فِي أرضه وسمائه، فصلوات ربي وسلامه عليه كل ما ذكره الذاكرون الأبرار، وغفل عن ذكره الغافلون.

١٣٢٥–تفيد أن الله شرف البشرية بالاستخلاف في الأرض وعليهم إقامة شرعه وتبليغ دينه، وحمل هداياته للبشرية.

١٣٢٦– تفيد تكريمًا وتشريفًا لآدم وذريته حيث ذكرهم الباري سبحانه في الملأ الأعلى قبل خلقهم... وفي هذا مزيد تلطف بالدعوة والتذكرة...

١٣٢٧– تفيد تشريفًا لبني آدم بجعله خليفة في الأرض، يقوم كل فرد فيها بدور الخليفة المسؤول عن إصلاحها، ومنع الفساد.

١٣٢٨– تفيد أنها أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة، قاله القرطبي.

١٣٢٩– تفيد أن من الحوار والجدال ما هو محمود.

١٣٣٠– تفيد أن الله ﷻ باهى بنا الملائكة فليتنا قدرنا الله حق قدره.

١٣٣١– تفيد عظمة الله تعالى ولطفه وقربه من عباده، فلو لم نسمع في هذا الحوار إلا لغة القرب بين العبد والرب لكفانا... يحدث عباده ويستمع إليهم ثم يجيبهم... ما أقربه وما ألطفه!.

١٣٣٢– تفيد أنه سبحانه وتعالى لم يحجبهم جلاله عن جماله! أتراه تجلَّى عليهم بكرمه فشهدوا حلمه فسألوه عن حكمته في خلقه فأجابهم؟ حقا لا تسعفني اللغة في وصف هذا المشهد.

١٣٣٣–تفيد إثبات القول لله ﷻ بحرف وصوت، وأنه يقول إذا شاء ومتى شاء وبما شاء، وكلامه سبحانه من صفاته الذاتية، ومن صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته وقدرته، وإثبات الكلام لله تعالى هو مذهب السلف الصالح، فقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] يؤخذ منه الحرف. وخطابه للملائكة يؤخذ منه الصوت.

١٣٣٤– تفيد إثبات القول لله على هذا الوجه من كماله سبحانه بل من أعظم صفات الكمال.

١٣٣٥– تفيد إثبات الأفعال لله ﷻ فهو يفعل ما شاء ومتى شاء وكيف شاء.

١٣٣٦– تفيد تأكيد مبدأ الحوار مهما كانت المستويات والفوارق. فهذا منهج أصيل في التربية وليس مجرد تكميل أو تجميل.

١٣٣٧– تفيد أن الله تعالى هو الذي يختار ويصطفي من عباده من يشاء.

١٣٣٨- تفيد أن خلافة بني آدم للأرض يجب أن تكون على الوجه الذي يرضي الله، ويحقق مقاصد الاستخلاف.

١٣٣٩- تفيد أن بني آدم يخلف بعضهم بعضا، قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[النمل: ٦٢].

١٣٤٠- تفيد أن ارتباط الإنسان والأرض.. لغة قرآنية.. ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.. لن نجد إنسانًا بلا وطن.. ولا وطنًا لم يَغْشه إنسان.

١٣٤١- تفيد وجود الملائكة ووجوب الايمان بهم.

١٣٤٢- تفيد أن الملائكة ذوو عقول؛ وبيان ذلك أن الله تعالى وجه إليهم الخطاب فأجابوه؛ ولا يمكن أن يوجه الخطاب إلا إلى من يعقله، ولا يمكن أن يجيب الخطاب إلا من يعقل الكلامَ، والجوابَ عليه.

١٣٤٣- تفيد أن الأرض جعلها الله تعالى لمن عرف قدر نفسه وكرامته عند خالقه فأطاعه وعمل بالمهمة التي أرادها الله له.

١٣٤٤- تفيد أن الإحسان إلى الأصل احسان إلى الفرع، وشرف الفرع بشرف الأصل.

١٣٤٥- تفيد أن الراجح عدم دلالة الآية على المشاورة، كما ذكره بعض العلماء، فالله ﷻ غني عن أن يستشير أحدا في أمر أبرمه وقضاه، ويشهد لذلك عدوله عن قوله: [إني سأجعل في الأرض] إلى قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

١٣٤٦- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق في إسناد القول إلى الرب دون غيره من أسماء الله الحسنى؛ لأنه لما كان السياق في ذكر إنعام الله تعالى على عباده بخلق ما فِي الأرض لهم، وكان فِي ذلك صلاح لأحوالهم ومعايشهم، ثم في ذكر جعلهم خليفة في الأرض، وكان في ذلك بقاء لنسلهم وجنسهم ناسب ذكر الرب الدال على أنه متفضل عليهم بأنواع النعم من قبل خلقهم وفي أثناء خلقهم وبعد خلقهم، فما أعظمك يا ربي منعما ومتفضلا.

١٣٤٧- يفيد العدول عن الخلق إلى الجعل في قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾دون [إني خالق في الأرض] أن الجعل أعم من الخالق، فإن الجعل هو الخلق وشيء آخر، وهو أن يخلقه موصوفًا بصفة الخلافة إذ ليس لكل مخلوق هذا الاختصاص كما قال تعالى:﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص: ٢٦] أي: خلقناك مستعدًا للخلافة فأعطيناكها. [منقول بتصرف وزيادة].

ب] قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ...﴾.

١٣٤٨- تفيد أن القرآن الكريم ليس كتاب تفصيل لكل جزئية صغيرة وكبيرة في القصص التي يوردها كما هو معلوم، بل إنه يختار في قصصه المواضع التي فيها الدلالات العظيمة والهدايات الجليلة، ولهذا فإن سياق هذه القصة واضح عليها الاحتباك والايجاز البديع كما هو شأن القرآن الكريم، حيث دلت جزئية ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا...﴾على أن الله ﷻ هو من أخبرهم بذلك، ولا حاجة إلى التكلف والإطالة بذكر طريقة وكيفية علم الملائكة بذلك من دون بينة واضحة، ولا دلالة باهرة، ولا حجة دامغة، والله أعلم.

١٣٤٩- تفيد أن إيراد الإشكال طلبًا للجواب وبيان الحكمة غير محذور، وإنما المحذور ما كان على وجه الاعتراض.

١٣٥٠- تفيد كراهة الملائكة للإفساد في الأرض.

١٣٥١- تفيد مع ما سبقها من آيات أن الذين يفسدون في الأرض أكثر ممن يصلحون فيها.

١٣٥٢- تفيد عدم الحكم على شخص ما بجريرة غيره.

١٣٥٣- تفيد أنه لا شيء أخطر على الإنسان من أن يحول الانطباع حكما قبل المعرفة الحقة، والتحقق قبل اصدار حكمه.

١٣٥٤- تفيد خطورة تعميم القياس غير المستوفي شروطه.

١٣٥٥- تفيد أن سفك الدماء من أكبر أنواع الفساد في الأرض.

١٣٥٦- تفيد أنه ينبغي على العبد أن لا يحكم على الآخرين بما يعلمه من ظاهرهم فربما لأحدهم خبيئة بينه وبين العليم الخبير.

١٣٥٧- تفيد أنه قد يكون المتلطخ ببعض المعاصي والسيئات مع انكسار وشعور بالتقصير أرفع قدرا وأعظم مكانة من مجتهد في الطاعة.

١٣٥٨- تفيد أصلا عظيما في قبول ما شرعه الله، والتسليم له، وعدم معارضته بمصالح متوهمة وافتراضات باردة وإيرادات مفتعلة.

١٣٥٩- يفيد تكرار الملائكة للفظة ﴿فِيهَا﴾لما في ذلك من إشارة خفية وتنبيه لطيف على أن ما كان محلا للعبادة وطاعة الله كيف يصير محلا للفساد؟.

١٣٦٠- تفيد أن المفسد مستعد للقتل وللخراب.

١٣٦١- يفيد تخصيص ذكر الفساد وسفك الدماء دلالة أن من أسوأ أعمال بني آدم الإفساد بالشرك والمعاصي وسفك الدماء.

١٣٦٢- تفيد أن المفسد أعتى الناس في مخالفة الأوامر الشرعية وأقربهم في إيقاع الإرادة الكونية.

١٣٦٣- تفيد أن الفتنة إذا نشأت فلا منتهى لحواراتها، لا صوت أقوى من صوت القنابل، ولا لون أميز من لون الدم، ولا رأي أنفذ من السيف... الفساد -وحده- من يحكم.

١٣٦٤- تفيد أن على العبد ألا يضيق صدره برؤية الدم وكثرة الفساد، فتلك هي الحياة من لم يستطع معرفة طبيعتها لا يمكنه العيش فيها طويلا!!.

١٣٦٥- تفيد أن المفسد لا يمكنه سماع أصوات المسبحين ولا يستطيع رؤية المصلين!!

١٣٦٦- تفيد أبغض خصال البشر إلى الله الإفساد في الأرض وسفك الدماء، فهلا ارعويت عنهما أيها العبد؟.

١٣٦٧- تفيد أن الملائكة لا تحب رؤية العصاة والمفسدين وسفكة الدماء، بل تلعنهم وتدعو عليهم.

ج] قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ...﴾.

١٣٦٨- تفيد قيام الملائكة بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ خير قيام.

١٣٦٩- تفيد مكانة الملائكة عند ربهم، وأنهم مقربون عنده، ولا يستكبرون عن عبادته، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

١٣٧٠- تفيد فضيلة التسبيح والتقديس لله تعالى، وأنهما من أحب الخصال إلى الله، فينبغي على العبد أن يلزمهما.

١٣٧١- تفيد أنه ينبغي على العبد أن يتخلى عن شهواته التي ركبت فيه، ويتخلق بأخلاق الملائكة.

١٣٧٢- تفيد بيان تعظيم الملائكة لربهم.

١٣٧٣- تفيد أن من بدا للناظرين صلاحه ليس مقياسًا لعلو مكانته عند الله تعالى.

١٣٧٤- تفيد أنه لا مانع من أن يصف الإنسان نفسه من باب الإخبار، وليس من باب الفخر وتزكية النفس.

١٣٧٥- تفيد أنه يجوز أن يمدح الشخص نفسه عند من له الكلمة والحكم إذا قصد الولاية، بشرط أن يأمن على نفسه الجور والحيف، ويعتقد أن في ذلك المصلحة الدينية والدنيوية، ويشهد لذلك قصة يوسف عليه السلام حين قال: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[يوسف: ٥٥].

١٣٧٦- تفيد أنه ينبغي لمن علم أو رأى أحدًا من الخلق مبتلى بارتكاب المحرمات والفواحش أن يحمد الله على نعمه حيث لم يجعله مثله، ويقدس الله من نسبة شيء من أفعال هذا المبتلى إليه، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف: ٢٨]، وفيما ذكر يظهر للمتأمل والمتدبر لكلام الله تعالى حكمة وفائدة قرن الملائكة بين الحمد والتقديس في هذا الموضع.

د] قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

١٣٧٧- تفيد إجابة مختصرة لما أوردوه من إشكالات ظهرت لهم، ولهذا ينبغي أن لا تكثر الكلام في وصف رأيك وبيان رجحانه وقوة مأخذه، فإن كثرة الكلام والمبالغة فيه تدل على الشعور بالضعف.

١٣٧٨- تفيد أنه ينبغي على العبد عند الخلاف أن يرد العلم إلى العليم الخبير.

١٣٧٩- تفيد أن على العبد أن يثق بحكمة الله في أفعاله... وإن ضاق عقله عن إدراكها، فيكون بما لا يعلمه مما لم يعلمه الله أوثق منه بما يعلمه!.

١٣٨٠- تفيد أنه ينبغي للعبد أن يتهم عقله إن حجب عن رؤية حكمة الله وحسن تدبيره في هذا الكون، حتى وإن رأى الحقائق رأي العين.

١٣٨١- تفيد أن الله عز وجل أرحم بخلقه من أنفسهم.. وأحكامه خير لهم مما يظنون.

١٣٨٢- يفيد عدم ذكر متعلق ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ دلالة على التعميم، وليذهب السامع عند ذلك كل مذهب، ويعترف بالعجز ويقرُّ بالقصر.

١٣٨٣- تفيد أنه ينبغي للعالم أو المفتي أن لا يوبخ الجاهل أو المستفتي إذا سأله عن مسألة يطلب فيها بيان وجه الحكمة، وألَّا ينتقص من قدره ولا من مكانته، بل يحاول أن يعلمه مما علمه الله.

١٣٨٤- يفيد العدول عن الجهل إلى عدم العلم في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ دون [أعلم ما تجهلون] إشارة إلى أن من العلوم والمعارف ما يسع المرء جهله، فلا يسمى جاهلا، بخلاف

عدم العلم فيما يجب وينبغي أن يعلمه المرء ففي هذه الحالة يسمى جهلا، ولهذا استعاذ نبي الله موسى عليه السلام أن يكون من الجاهلين، وقال تعالى في حق نبيه نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

١٣٨٥- تفيد أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله.

١٣٨٦- تفيد أن الملائكة وهم المقربون لا يملكون من علم الغيب والحكمة الخفية إلا ما علمهم سبحانه فكيف بمن دونهم.

قال تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

١٣٨٧- تفيد مناسبة لما قبلها فإنه لما استشكلت الملائكة الإرادة الإلهية أجابهم تعالى بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] ثم برهن على ذلك في هذه الآية ببيان عجزهم وقصور علمهم ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وهذا ملحظ ينبغي للمفتين والدعاة مراعاته والاعتناء به.

١٣٨٨-تفيد دقة مناسبة الآيات لما قبلها فإنها ما زالت الآيات تتعرض لذكر فيوض إنعامه سبحانه على بني آدم وعظيم منته بتكريمه لهم.. لتأخذ بأيديهم إلى الاستجابة له والاهتداء بهديه كل مأخذ

١٣٨٩- تفيد أن الله جل وعلا هو أول معلم للإنسان، وهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

١٣٩٠- تفيد إشارة إلى إحدى خصائص وفضائل أبينا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم وهو أن الله تعالى خصه بأن علمه الأسماء كلها. وقد ذكر النبي ﷺ هذه الخصائص فيما ذكره عن موسى عليه السلام في حديث المحاجة.

١٣٩١-تفيد دلالة على تفضيل آدم عليه السلام وشرفه على الملائكة.

١٣٩٢- تفيد بيان فضل العلم والعلماء، فإن الله تعالى قد أشهد الملائكة على فضل آدم من هذه الناحية، وقد قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

١٣٩٣-تفيد فضل العالم على العابد.

١٣٩٤-تفيد أن تعليم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها دلالة على قابلية الإنسان وحاجته للإكثار من المعارف والمعلومات.

١٣٩٥–تفيد أن الأصل في العلم إنما يكون بالتعلم، إلا الأنبياء فيفتح الله تعالى عليهم من فيوض رحمته لإبلاغ رسالات ربهم.

١٣٩٦– تفيد أن المراد بالعموم [العموم المخصوص] وهي أسماء من عرضوا عليهم.

١٣٩٧– تفيد دليلا لمن قال: إن مبدأ اللغة توقيفي، وأن ما نشأ بعد ذلك مبناه على الاصطلاح.

١٣٩٨– تفيد أن الحاكم كلما كان عالما كلما كان أحق بالخلافة والحكم.

١٣٩٩–تفيد أن العلم بالأسماء من أهم أنواع العلوم؛ بل هو مفتاح العلم بالمسميات.

١٤٠٠– تفيد أن تعليم الكلام يبدأ بتعليم الأسماء ثم تشتق منها الأفعال وتتكون الجمل... كما يبتدأ بتعليم الطفل، فيقال له على سبيل المثال: [باب، كرسي، أرض، رجل...] وهكذا. "مستفادة من الشيخ الشعراوي".

١٤٠١–تفيد أن علوم الوحي هي أشرف العلوم لأنها صادرة من الله سبحانه وتعالى.

١٤٠٢–تفيد حاجة الإنسان لمن يعلمه.

١٤٠٣–تفيد أن على العالم أو العابد ألا يغتر بعلمه، ولا عبادته، فإنه لا يستحق العبد المنازل العلى عند الله بكده وجده فقط، بل إنما ينال ما عند الله بسلامة القلوب.

١٤٠٤– تفيد التنبيه على الاختبار والسؤال كأداة للإقناع وترسيخ المعلومة لدى المتعلم.

١٤٠٥– تفيد أن الحكم المقرون بالدليل والبرهان أوقع في النفس وأدعى للإقناع من الغفلة من ذلك.

١٤٠٦– تفيد أن مرد التوفيق في علوم الشريعة وغيرها إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٨٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، قال ابن تيمية رحمه الله: [[كُلُّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا لَا بُدَّ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ، فَمَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، وَالدِّينُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ؛ وَهُوَ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَعَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُصَدِّقَ مُحَمَّدًا ﷺ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَيُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، تَصْدِيقًا عَامًّا، وَطَاعَةً عَامَّةً]]. "**مجموع الفتاوى [٢٨/ ٨٠]** "، وقال النووي رحمه الله: [[فِيهِ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِ؛ وَسَبَبُهُ: أَنَّهُ قَائِدٌ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى]]. " **شرح النووي على مسلم [٧/ ١٢٨]**".

١٤٠٧- تفيد دلالة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فالملائكة مع فضلهم وقربهم من الله تعالى وما آتاهم من القُدرات والإمكانات فهم لا يعلمون الغيب.

١٤٠٨-تفيد أن الله تعالى قد يمنّ على بعض عباده بعلم لا يعلمه الآخرون، بالرغم من عظيم منزلتهم؛ وبيان ذلك من الآية: أن الله علم آدم أسماء مسميات كانت حاضرة، والملائكة تجهل ذلك.

١٤٠٩- تفيد أن الإيمان بوجود الخالق ضرورة، من جهة تعليم لغة التخاطب، حيث إن الإنسان الأول الذي لم يسبقه أحد ليعلمه... لا بد أن يكون الذي علمه الذي خلقه.

١٤١٠- تفيد جواز امتحان الإنسان بما يدعي أنه مُجيد فيه.

١٤١١- تفيد أن في العلم الارتقاء والتميز عن الآخرين.

١٤١٢- تفيد بيان عجز المخلوق، ومدى نقص علمه، وعظمة الخالق، وكمال علمه الذي اتصف بمطلق العلم، فشتان ما بين علم الخالق وعلم المخلوق، كما بين ذات الخالق وذات المخلوق.

١٤١٣- تفيد جواز التحدي بالعبارات التي يكون فيها شيء من الشدة؛ لقوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

١٤١٤- تفيد الآية -والله أعلم - أهمية صفة الصدق؛ لأنها من الصفات الحميدة التي يتحلى بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأهميتها كبيرة في نشر رسالة الوحي بين الناس.

١٤١٥-تفيد أن على الداعية ألا يخشى كثرة المخالفين طالما سلاحه الحق واليقين.

١٤١٦- تفيد لفتة جميلة في سياق قصة آدم عليه السلام في هذه السورة، ففي أول مجيء لذكره تعلق اسمه بالعلم: ﴿وعلم آدم﴾ بما يدل على أهمية العلم ومنزلته في رفعة بني آدم.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

أ] قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾.

١٤١٧- تفيد أهمية أن يتقدم الثناء والتذلل لله على الاعتذار له.

١٤١٨- تفيد أن الملائكة تسبح الله تعالى وتنزهه قولا وعملا وليس ادعاء.

١٤١٩- تفيد فضيلة التسبيح لله، وقد قال يونس في بطن الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

١٤٢٠- تفيد شدة تعظيم الملائكة لله ﷻ حيث اعترفوا بكماله وتنزيهه عن الجهل ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تفيد أن من ديدن الملائكة سرعة الإذعان لله تعالى.

١٤٢١- تفيد أن من كان ديدنه التسبيح فهو لا ينفك عنه قبل الاختبار وبعد الاختبار.

١٤٢٢- تفيد أن الملائكة تتكلم.

١٤٢٣- تفيد أن المقربين هم أعرف الخلق بالله تعالى.

١٤٢٤- تفيد أنه ينبغي للعبد أن يتخير من الألفاظ أعجبها إلى الله وأحبها إليه.

١٤٢٥- تفيد أنه وإن رفعك الله إلى مقام المجالسة، ونظمك في سلك أهل المؤانسة، عليك ألا تنسى أنك عبد له، وأن هويتك سبب ذيالك القرب، فقف على حد الأدب.

ب] قوله تعالى: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾.

١٤٢٦- تفيد إعتراف الملائكة بأنهم لا علم لهم؛ واعترافهم بالفضل له سبحانه.

١٤٢٧- تفيد أن الملائكة لا يعلمون الغيب.

١٤٢٨- تفيد أن أكثر الناس تواضعا هم أهل العلم الذين عرفوا الله وقدروه حق قدره.

١٤٢٩- تفيد أن على الانسان أن يعرف قدر نفسه فلا يدعي علم مالم يعلم.

١٤٣٠- تفيد أن أقرب باب إلى رضا الله تعالى هو باب المسكنة إليه، وعلى العبد طرقه، وما أسرع ما فتح ذلك الباب!.

١٤٣١- تفيد أنك مهما بلغت من العلم عليك أن تستشعر أن ذلك من ربك لتزداد به عبودية وقربا

١٤٣٢- تفيد أهمية إعادة الأمور إلى نصابها، والفضل لأصحابه، والبراءة من الذات، وفي ذلك صرف للغرور والإعجاب بالنفس.

١٤٣٣- تفيد أن كل ما يقدره الله ويختاره فهو من حكمته، فعلى العبد أن يرضى به وإن خالف رأيه وهواه.

١٤٣٤- تفيد أنك اذا وجدت من هو أعلم منك عليك أن تسأل الله من فضله، وأن تدع عنك الحسد والبغض والكبر.

١٤٣٥- تفيد أهمية وفضل الأدب مع العالم، فإن المتعلم إذا لم يتأدب مع عالمه فما تعلم ولا علم.

١٤٣٦- تفيد أن الاعتراف بعدم العلم لا يعني النقص بل ذاك ترفع عن القول بلا علم، وهذه مرتبة قد لا يدركها كثير من الناس، خشية على مكانة أو حياء، فمن اليسير أن تدعي العلم وأنت لا تعلم، لكن من العسير أن تعترف بالجهل وأنت لا تعلم.

١٤٣٧- تفيد اعتراف العالم بحدود علمه أمام من هو أعلم منه، وأن ذلك لا ينقص من مكانته بل يزيده علما وتواضعا.

١٤٣٨- تفيد أن عدم التسليم لأمر الله وحكمه وقضائه كبيرة توجب التوبة والرجوع والاستغفار واظهار الفقر بين يدي الخالق.

١٤٣٩- يفيد فضيلة ذكر التلميذ لمعلمه بالأدب والاحترام والشكر.

١٤٤٠- تفيد أهمية نسبة العلم لأهله.

١٤٤١- تفيد أن خلق التواضع يصلح ما وقع من زلل، وهو من خلق الكرام.

١٤٤٢- تفيد أن العلم يجب أن يظهر سمته على صاحبه فيلبسه ثوب الوقار ويكسبه التواضع والصدق وحسن الخلق ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾،وقد اعتنى السلف الصالح بالسمت والأدب وحرصوا على إرسال أولادهم لتعلم الأدب وأخذ السمت وهذا ما يفتقده بعض طلبة العلم اليوم.

١٤٤٣- تفيد أن أخذ العلم من العلماء الصالحين يفيد الأدب، وهذا ما لا يتحصل عليه من كان كتابه فقط هو معلمه.

١٤٤٤- تفيد إقامة الحجة البينة على كذب مقالة كل من ادعى شيئا من علم الغيب من الكهنة والمنجمين.

١٤٤٥- تفيد الاعتراف بأن العلم كله مرجعه الى الله؛ فالله سبحانه هو وحده مصدر العلم والحكمة

١٤٤٦- يفيد نسبة العلم إلى الله أن العلم فضل الله يمن به على من يشاء من عباده، ولهذا جاء خطاب الملائكة مبتدأ بعد تنزيه الله تعالى بلا النافية لجنس العلم كله المقرونة بالاستثناء المفرغ الدال على الحصر؛ ليدل هذا التركيب بمجموعه على أن الله وحده هو المنعم على من يشاء بمواهب العلوم والفهوم.

ج] قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

١٤٤٧- تفيد فضل الثناء على الله بأسمائه الحسنى.

١٤٤٨- تفيد إثبات اسمي ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ لله تطابقا، وصفتي الحكمة والعلم تضمنا.

١٤٤٩- تفيد بيان علم الله المطلق وأن الخلق علمهم مصدره الخالق سبحانه.

١٤٥٠- تفيد جهل الملائكة للأسماء التي علمها الله لآدم.. ولكنها علمت أسماء ربها الحسنى.. وبها طلبت رضاه.. ولهذا فاحذر أن تكون ما تجهله من العلم هو العلم بأسمائه وصفاته.. لأنه هو العلم المنجي.

١٤٥١- تفيد أن الدين لا يؤخذ بالرأي، فمن كان مسبحا لا يسفك الدماء أولى بالإمامة من غيره، ولكن الحكيم العليم له حكمة لا يعلمها إلا هو، فهو يعطي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء.

١٤٥٢- تفيد أنك إذا وجدت شخصا اختاره الله لعمل فلا تظن أنك خيرا منه، ولو كان معك من المؤهلات أعلى منه، فما اختاره إلا لعلم وحكمة.

١٤٥٣- تفيد أنه إن فتح الله للعبد هذه الأربعة الأبواب فقد فتح له باب العلم وهي:

١]تنزيه الله عن كل نقص﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾.٢]إعلانك الافتقار إليه﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾

٣] نسبة الفضل إليه ﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾. ٤] نسبة العلم والحكمة إليه ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

١٤٥٤- تفيد الآية اعترافا بكماله ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾، واعترافا بجهلهم ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾، واعترافا بفضله ﴿إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾[البقرة:٣٣].

أ] قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾.

١٤٥٥- تفيد مع ما سبقها أن اختيار المسؤول ينبغي أن يكون بناء على علمه، وأن حسن إدارة المنظمات أو المجموعات واستثمارها يتوقف على العلم بأفرادها واستثمار طاقاتهم لأن الله ﷻ لما أراد لآدم عليه السلام الخلافة علمه الموجودات كلها وأسمائها ليكون الأقدر على إعمار الأرض وإصلاحها.

١٤٥٦-تفيد مع ما قبلها أن الله تعالى يعلم ما سيفعله الملائكة وما يقولونه ولكن مع ذلك اختبرهم.

١٤٥٧- تفيد أهمية مناداة الناس بأسمائهم، مهما تواضعت منازلهم ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ﴾.

١٤٥٨- يفيد نداء آدم بـ [يا] التي للبعيد دلالة على علو الله بذاته وقربه منا بعلمه وصفاته.

١٤٥٩- تفيد تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام بالعلم، وإظهار كرامته على الملائكة، بالخطاب والعلم.

١٤٦٠- تفيد أنه ما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى.

١٤٦١- تفيد بيان لطف الله تعالى في الرد على من جهل حكمته من جعل الإنسان خليفة في الأرض وهم الملائكة، وهذا السياق القرآني العجيب ينبغي أن يستفيد منه الدعاة في التلطف مع الجهلاء والمخالفين.

١٤٦٢- تفيد أن كلام الله تعالى مسموع متجدد حسب مشيئته تعالى، وفي هذا رد على القائلين بأنه المعنى النفسي فقط.

١٤٦٣- تفيد إثبات القول لله عز وجل، وأن كلامه بحرف وصوت كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

١٤٦٤- تفيد أن أول ما يؤسس عليه القائد هو العلم ببيئته وما حوله، وأهم ما يتميز به القائد عن غيره زيادة العلم.

١٤٦٥- تفيد أن أقرب الأبناء إلى أبيه أكثرهم علما؛ فكلما ازددت علما كنت أشبه بأبيك آدم.

١٤٦٦- تفيد أن من يحبك لن يدافع عنك في كل موقف حتى لا تبدو صغيرا، بل يجعلك تدافع أنت عن موقفك.

١٤٦٧- تفيد أن العلم والمعرفة هما مفتاح الأمن والأمان للمخلوقات، وأن الجهل والطغيان هما مفتاح الفساد والإفساد في الأرض، وفساد اليوم هو بسبب العلم المضاف إليه الطغيان [المادي].

ب] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾.

١٤٦٨- تفيد أن آدم ظهر فضله وفاق الملائكة بالعلم؛ ومن أراد أن يكون له شرف ومكانة عند الله فعليه بالعلم والعمل به.

١٤٦٩- يفيد عدم ذكر قوله: [فأنبأهم] قبل قوله: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾إشارة إلى أنه بادر، وأنبأ الملائكة.

١٤٧٠- تفيد أنه ينبغي للمبلغ تأكيد الخبر بالبرهان والدليل القاطع، فإن الله تعالى لما قال للملائكة ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:٣٠] بيَّن لهم ذلك بالبرهان القاطع ثم قال: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

١٤٧١- تفيد أن الأصل بآدم عليه السلام الطاعة والامتثال... بل إن في حرف الفاء إشارة لسرعة الاستجابة ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾.

١٤٧٢- تفيد أن الأسماء التي علمها آدم متضمنة للكشف عن صفات تلك المخلوقات؛ وهذا هو الأصل في التسمية أن تكون أقرب في الدلالة على المسمى.

١٤٧٣- تفيد أن على العبد أن لا يغتر بعلمه، وأن يفوض معرفة الأشياء إلى خالقه، ولا يعترض بلسانه، ولا بقلبه على ما يصنعه مولاه.

١٤٧٤-تفيد جواز تقرير المخاطب بما لا يمكنه دفعه.

١٤٧٥- تفيد أن من أهم ما ينبغي أن يعتني به أهل العلم مراعاة السرائر ومراعاة الظواهر.

١٤٧٦- تفيد أن السموات ذات عدد لقوله: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بينما أتت [الأرض] مفردة للجنس.

١٤٧٧- تفيد أن بالسرائر يصدق عملك، وبالظواهر يقتدي بك العامة، فلا تفريط في أي منهما وهذه العناية هي ثمرة هذا العلم.

١٤٧٨- تفيد التأكيد على سعة وعموم علم الله تعالى المحيط بالغيب والشهادة.

١٤٧٩- تفيد أن الله عز وجل هو عالم الغيب والشهادة، وهو العالم بما يظهره العبد وما يخفيه، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل بعد هذا من مفر منه إلا إليه؟.

١٤٨٠- تفيد أن الله سبحانه عالم ما في القلوب سواء أخفي أو أبدي.

١٤٨١- تفيد أن علم الغيب مختص بالله وحده فمن ادعى أن غير الله يعلم الغيب فهو كافر.

١٤٨٢- تفيد أنه يُستشهد على ما في عالم الغيب بما هو ماثل في عالم الشهادة.

١٤٨٣- تفيد أنه سبحانه وتعالى عرفهم نفسه بالعلم، وأنه أحاط علمًا بظاهرهم وباطنهم، وبغيب السماوات والأرض... فتعرف إليهم بصفة العلم، وعرفهم فضل نبيه بالعلم، وعجزهم عما آتاه آدم من العلم، وكفى بهذا شرفا للعلم. [قاله ابن القيم].

١٤٨٤- تفيد أن الملائكة لها إرادة في إظهار الامر وإخفائه ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾.

١٤٨٥- تفيد أن اختبارك من تحت يدك مع غيره مع علمك السابق هو إبراز لما تعرفه من حقيقة ليكون ما تريده أوقع... وهو شبيه بوضع الوعاء في رحل أخي يوسف.

١٤٨٦- تفيد أن من أراد سبحانه تعالى الإشادة بفضله وشرفه أظهر أحسن ما فيه، فآدم عليه السلام كان أفضل ما فيه هو علمه، ويوسف لما أراد إظهار فضله وشرفه أظهر علمه، وكان قد حبس لحسنه... فصورة العلم أبهى وأجمل من أي صورة أخرى!.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

أ] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾.

١٤٨٧- تفيد مناسبة ظاهرة وجلية لما سبقها، ففيها مزيد تكريم لآدم وذريته، وبيانا لشرف العلم وأهله.

١٤٨٨- تفيد مناسبة لما قبلها لأن تكرار الاختبار يظهر الداء الدفين، ففي الاختبار الأول نجح المخلصون، وفي تكراره برز العدو المبين.

١٤٨٩- تفيد الآية بيانًا لأوجه الشبه بين ما تقدم ذكره في الآيات من صفات المؤمن وصفات المنافقين، وما أشبه مجتمع الملائكة الطاهر مع وجود إبليس بينهم، بالمجتمع النبوي الطاهر مع وجود المنافقين بينهم، مع النظر في الفوارق الأخرى.

١٤٩٠-تفيد أن إبليس اللعين أطاع في أول أمره، فدخل في الأمر مع الملائكة الأبرار، ثم لما خبثت سريرته واستكبر وأبى كان إمامًا للكفرة الأشرار.

١٤٩١-تفيد بيان فضل آدم على الملائكة.

١٤٩٢-تفيد بيان طاعة الملائكة المطلقة واستجابتهم السريعة لأمر ربهم، بدلالة التعبير بالفاء.

١٤٩٣-تفيد أن الطاعة سبب للزلفى ورفع الدرجات.

١٤٩٤- تفيد أن السجود لغير الله إن كان بأمر الله فهو عبادة. فلله أن يحكم بما شاء. ولذلك لما امتنع إبليس عن هذا كان من الكافرين.

١٤٩٥-تفيد أن هذا الحدث التاريخي الفريد ينبغي لنا تذكره دائما لما يترتب عليه من المصالح، لأن "إذ" هنا متعلقة بمحذوف تقديره: واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم..

١٤٩٦- تفيد أن تارك الصلاة كافر.

١٤٩٧-تفيد تعظيما للمولى يجعل القلب يسجد لخالق آدم عليه السلام.

١٤٩٨- تفيد شدة الترابط والاقتران بين العلم والعمل.

١٤٩٩- تفيد أن بالعلم والطاعة سبق اللاحق السابق، وارتفع شأن المبتدئ على المتقدم.

١٥٠٠- تفيد إبراز مكانة وفضل العلم والعلماء.

١٥٠١- تفيد مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] أن الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود له مخبرا لهم باسمه في قوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾، وفي هذا إشارة إلى جواز تسمية المولود قبل أن يخلق.

١٥٠٢- يفيد ذكر الله تعالى قصة آدم عليه السلام بعدة عبارات ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾، ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠ - ٣١] وغير ذلك، ردًا قويًا ومفحمًا على من تقدم ذكرهم ممن تحداهم الله تعالى من أهل الريب والارتياب في القرآن الكريم، حيث يقول لهم: ها أنا أذكر لكم قصة واحدة بعدة عبارات وبأشكال مختلفة من الصياغات البلاغية، فهلا أتيتم أنتم يا من فقتم العالمين في الفصاحة والبيان بمثل هذه العبارات ولو بصورة من الصور البلاغية المقبولة لديكم؟.

ب] قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

١٥٠٣- تفيد أن إبليس جمع صفات الذل من إباء عن الأمر واستكبار وكفر.

١٥٠٤- تفيد أن الكبر أم الكبائر وباب المصائب.

١٥٠٥-تفيد أن الاستكبار داء العصاة، وأن التواضع سمة الصالحين.

١٥٠٦-تفيد أن الاستعلاء والكبر أكبر معوقات السمو والرفعة الأخلاقية.

١٥٠٧-تفيد أنه عند تكريمك يستبين لك المحبون من المبغضين.

١٥٠٨- تفيد التحذير من معصية الله تعالى.

١٥٠٩-تفيد التنفير من آفة الكبر، وأنها صفة المطرود من رحمة الله.

١٥١٠-تفيد أن الاستكبار أول سبب للامتناع عن قبول الحق.

١٥١١-تفيد أهمية الحرص على طهارة السريرة.

١٥١٢-تفيد أن الأمر الإلهي إذا صدر ينبغي أن يقابل بالسمع والطاعة حتى ولو خفيت علينا علته، فإن إعمال الرأي، واللجوء إلى التنطع، والاغترار بالذات من أعظم أسباب الضلال.

١٥١٣–تفيد أن من وفقه الله تعالى ولازم الطاعات عليه أن لا يغتر بذلك، ولكن يسأل الله حسن الخاتمة...

١٥١٤–تفيد أن عدم استجابته الأمر في حضرة الآمر ليس فيه مجال للاعتذار عنه، أو التأويل لرده، ولذا حكم بكفره، فرد الامر على الآمر غير معصيته، والله أعلم.

١٥١٥– تفيد أنه إذا لم تسجد روح العبد لن يرتفع رأسه.

١٥١٦–تفيد أن السجود تكريم... والأمر عبودية؛ لا تعتذر عن أمر ربك بحظوظ نفسك بحظوظ الناس.

١٥١٧–تفيد أن على العبد أن لا يتميز عن غيره من عباد الله تعالى في مواطن العبادات والطاعات، وليحرص على أن يكون معهم قلبا وقالبا.

١٥١٨– تفيد أن على البشر أن يعتبروا بعدم سجود إبليس لأبيهم، وألا يطيعوا الشيطان اللعين، ورحم الله ابن القيم حين قال: « إنما أبعدنا إبليس لأنه لم يسجد لك وأنت في صلب أبيك.. فوا عجبا كيف صالحته وتركتنا».

١٥١٩–تفيد أنه وإن لم يكن هناك كافرون إلا أن إبليس لما فعل الكفر استحق حكمه ووبال من جاء بعده ممن شابهه، وقيل: كان في علم الله تعالى أنه سيكفر ؛ لأن الكافر حقيقة والمؤمن حقيقة هو الذي قد علم الله منه الموافاة.

١٥٢٠–تفيد أن إبليس أنموذج العقوق؛ فإبليس يعرفه الذين تطبعوا بأخلاقه من الذرية... إبليس يسجل موقفه هنا.. بإمكانك أن تسجل موقفك مع الساجدين.

١٥٢١– تفيد أن الدخول في سلك الصالحين والمكث معهم وبينهم لا يعني الأمن من مكر الله تعالى وحلول عقوبته على العبد المخالف، فاحذر عبد الله من هذا الأمر فهو جد خطير.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥].

أ] قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

١٥٢٢– تفيد مناسبة لما سبقها، فهي ما زالت في سياق الحديث عن تكريم آدم وذريته.

١٥٢٣- تفيد مع ما قبلها أن على العبد أن لا يتحطم نفسيا إذا تكبر عليه أحد أو تنقص جنسه وفصله وحتى لونه، فما دام على يقين بأن الله معه فإنه لا يضره شيء بعد ذلك، بل إن النعم والمكارم الإلهية ستنهال عليه من كل مكان، وسيكون حاله أحسن من حال من تكبر عليه.

١٥٢٤-يفيد التعبير بقوله: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾تنبيها على الخروج ; لأن السكنى تكون إلى مدة ثم تنقطع، فدخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول إقامة، وفي هذا دليل لمن قال: إن من أسكن رجلا مسكنا له إنه لا يملكه بالسكنى، وأن له أن يخرجه إذا انقضت مدة الإسكان.

١٥٢٥-تفيد بيان ما أنعم الله به على آدم وزوجه وفتح جميع أبواب الجنة لهما ليستمتعوا حيث شاءوا إلا ما نهاهم عنه من الشجرة.

١٥٢٦- تفيد إثبات القول لله عز وجل.

١٥٢٧-تفيد وجود لذة في سماع آدم اسمه من مولاه.. ومناداته إياه على الملأ فوق ما رآه من نعيم الجنة.. ولعمري! أين دفء السكن.. أو لذة الطعام؟ من نشوة [أَوَسمَّاك لي؟].

١٥٢٨- تفيد بيان منة الله على آدم وحواء بسكنى الجنة.

١٥٢٩-تفيد أهمية الابتداء بالترغيب قبل الترهيب.

١٥٣٠- تفيد أن النكاح سنة قديمة منذ خلق آدم إلى قيام الساعة.

١٥٣١- تفيد أن الله ﷻ يحكم بما شاء، فقد أباح أن يتزوج آدم ممن خلقها من ضلعه.

١٥٣٢- تفيد أن المسكن والمآكل، ويدخل المشرب ضمنا والملبس من أهم مقومات الحياة.

١٥٣٣-تفيد إشارة إلى أن السكن يتحقق للرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

١٥٣٤-تفيد أن السكن منحة من الله تعالى، حتى دخول الجنة لا يمنحك [بذاته] السكن حتى يأذن الله به، والسكن كذلك شعور يخلقه الله في قلب الإنسان، لا تصنعه القصور أو الدور أو الأموال أو البساتين.

١٥٣٥-تفيد عظمة هذه الكلمة ﴿ٱسۡكُنۡ﴾فهي تفيد الراحة النفسية والجسدية والطمأنينة والسكينة.

١٥٣٦- تفيد بيان اهتمام الإسلام بتكوين الأسرة القائمة على التزام الحدود الربانية، حيث يكون معها السكن النفسي ورغد العيش.

١٥٣٧- تفيد أن السكن شرف لا يستحقه إبليس؛ وابن آدم طبع على حب مسكنه الأول؛ وإبليس أيس من العودة إليه.

١٥٣٨- تفيد أن إبليس منشغل بك؛ فالحاسد لا يمكنه الاستقرار والسكن؛ وآدم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - وزوجه وذريته في سكن وطمأنينة.

١٥٣٩- تفيد أن لفظ "السكن" لم يأت مع إبليس لا قبل السجود ولا بعده لأن السكن لا يتوفر مع المضطرب نفسيا وعقليا.

١٥٤٠- تفيد إشارة لقوامة الرجل على المرأة في بيت الزوجية.

١٥٤١- تفيد أن السكينة والاستقرار يتحققان بالطاعة.

١٥٤٢-يفيد عدم ذكر الاولاد في قوله: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾دون[وأولادك] دلالة قوية لمن قال: إن أهل الجنة لا يولد لهم أولاد في الجنة.

١٥٤٣- يفيد عدم ذكر الأولاد أيضا إشارة إلى أنه سيكون من أولاده من لا يستحق سكنى الجنة.

١٥٤٤- تفيد أن الزوجات والأبناء المؤمنين في الدنيا يتبعون الزوج المؤمن في الجنة كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾[الطور: ٢١]

١٥٤٥- تفيد ان الله رزق آدم نعمة الزوجة قبل الطعام واللباس.

١٥٤٦- تفيد أن الجنة التي سكنوا فيها كان فيها تكليف ونهي.

١٥٤٧-تفيد أنه ينبغي عدم ذكر أسماء الزوجات ما دام لا توجد حاجة تدعو إلى ذلك، وفي الأوصاف مندوحة عن الأسماء، وطباع الناس تختلف في قبول هذا الأمر وعدم قبوله، والاقتداء بما في كتاب الله تعالى في هذا الشأن مطلوب.

١٥٤٨- تفيد أن التواصل مع النساء يكون بمعرفة قائمهم.

١٥٤٩- تفيد أن الزوجة نعم القرابة الوحيد الذي عرفه الإنسان في الجنة من أول يوم.

١٥٥٠- تفيد أن تمام النعيم اجتماع الزوجين في الجنة.

١٥٥١- تفيد أن آدم لم يأخذ من خارج الجنة شيئا سوى الزوجة، فدل أن كمال النعيم بها.

١٥٥٢- تفيد أن لذة الديار بسكانها، والطمأنة بالرفيق قبل الدار.

١٥٥٣- تفيد أن أول دار سكنها الإنسان الجنة، كل القصور بعدها لا تنسيه الوطن.

١٥٥٤-تفيد أن "الجنة" كلها لبشرين فقط، يا لسعة العطية من الكريم تعالى.

١٥٥٥- تفيد أن " السكن " في القرآن ورد لثلاثة أشياء فقط: للمرأة والمنزل والليل.. فما أعظم ذلك الوصف إذا تم أمن المرء بسكنه وامرأته وليله.. لقد عاش هنيئا، وأكل رغيدا، ونام قريرا. كما تفيد أن أمر المرأة والمنزل والليل قائم على الستر، فالمرأة تحتاج إلى الستر في نفسها، وهي تستر ما في منزلها. والمنزل يستر ما بداخله، وأما الليل وما أدراك ما الليل فأمره كله قائم على الستر كما تفيد أن المنزل خلوة للمرء لحاجة عائلته، والمرأة خلوة لحاجة نفسه، والليل خلوة لمناجاة ربه، والله أعلم.

١٥٥٦- تفيد أن الجنة التي سكنها آدم ﵇ وزوجه حواء لم تكن فيها زوجات من الحور العين، وإلا لكان الخطاب بصيغة الجمع.

١٥٥٧- تفيد أن مكان إقامة الزوجة هو في سكن زوجها؛ بدلالة توجه الأمر المفرد إلى آدم، وهذا مما يمكن أن يستدل به من لا يرى بزواج المسيار الذي تستقل به المرأة بسكن لوحدها عن الزوج، وقد قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[الطلاق: ٦].

١٥٥٨- تفيد دلالة لمن قال إن الجنة التي سكنها آدم غير الجنات التي أعدت للمتقين في الآخرة، بدلالة الافراد في الجنة، وبدلالة الافراد في زوجك، وبدلالة وجود التكليف فيها.

١٥٥٩- تفيد أهمية الاهتمام بالأمن النفسي قبل الأمن الغذائي، وقد جاء مصرحا في دعاء إبراهيم ﵇ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾[البقرة: ١٢٦].

ب] قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

١٥٦٠- تفيد أن الطعام من أولى احتياجات الإنسان.

١٥٦١- تفيد أن العبد بتوحيده وطاعته يبلغ أعلى المنازل ويحيى حياة الرغد.

١٥٦٢- تفيد أن نعيم الجنة دائم غير محدد ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ فالتعميم في المكان يقتضي التعميم في الزمان.

١٥٦٣-تفيد أن الأمر في ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ للإباحة بدليل ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾. والأصل فيه أنه للطلب ولكن صرف بدليل.

١٥٦٤- تفيد هداية خفية لمن يحبون الانبساط مع زوجاتهم والخروج للأكل معهم في المطاعم والأماكن الجميلة، وفي ذلك إدخال للسرور إلى قلب الزوجة، وهذا داخل أيضا تحت قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

١٥٦٥- تفيد أن مشيئة الله أن تسكن وتأكل وتعيش رغيدا لتعبده، ومشيئتك أن تأكل كما أمرك الله، وتطيع ربك، أو أن تخرج من هذه الجنة... هذا الثمن.

١٥٦٦- تفيد لفظة ﴿رَغَدًا﴾ أن البخيل لن يأكل ويعرف الرغد.

١٥٦٧- تفيد أن البلد الذي لا يستطيع فيه المرء التحرك والتصرف بحرية حيث يشاء إنما هو مكان إقامة جبرية، وفي هذا تظهر الحكمة العظيمة والدلالة اللطيفة من قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

١٥٦٨- تفيد أن طعام أهل الجنة مشاع لا ملك لأحد فيه، أعده الله لجميع عباد الله المؤمنين.

ج] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٥٦٩- تفيد أن الأمر والنهي لله، وأن على العبد أن يمتثل لذلك، من دون سؤال لعلة وحكمة الأمر والنهي، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

١٥٧٠- تفيد فضيلة آدم وزوجه حيث لم يعترضا على الله بل ولم يحاولا استفسار حكمة جعل شجرة واحدة في الجنة محرمة عليهم، بل قالا سمعا وطاعة لربنا.

١٥٧١- تفيد أن ما لا يريده مولاك لا تقترب منه.. يوشك أن تألفه..فتميل إليه.. وتحبه.. فتأتيه.. فتظلم نفسك..

١٥٧٢- تفيد أن الابتلاء في الترك والمنع قليل جدا بالنسبة للمسموح والمباح.

١٥٧٣-تفيد أن تشريع الحلال والحرام بدأ مع تحديد مكان حياة الانسان الاول.

١٥٧٤-تفيد نهي العبد عن شيء تتعلق نفسه به ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ امتحان من الله ﷻ ولأنه لولا أن النفس تتعلق بها ما احتيج إلى النهي عن قربانها.

١٥٧٥- تفيد النهي عن قربان الشجرة المراد به النهي عن الأكل للمبالغة في التحذير.

١٥٧٦-يفيد عدم ذكر ماهية الشجرة أن ذلك عِلم إذا عُلم لم ينفع العالم به علمه.. وإن جهله جاهل لم يضره جهله به، وأن سكوت القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك سكوت الصحابة وصرف نظرهم عن سؤال النبي ﷺ عنها دليل على أنه لا نفع ولا خير لنا في معرفتها، ولو كان خيرا معرفتها لذكره القرآن، ولسبقنا إلى معرفته الصحابة، أفلا يسعنا ما وسعهم.

١٥٧٧- تفيد أن فعل الأسباب مطلب شرعي.

١٥٧٨- تفيد أن كل عداوة كانت في ذرية آدم وبلاء ومكروه وتكون إلى قيام الساعة، وفي النار يوم القيامة سببها الذنوب ومعصية الرب تعالى.

١٥٧٩- تفيد أن المعصية فتنة خطيرة بالنسبة للقدوة، فإذا وقع فيها سوّغ لمن بعده أن يقعوا فيها.

١٥٨٠- تفيد أن المعصية نذير شؤم وسبب للخسارة ونزول البلاء.

١٥٨١- تفيد أن المعصية تزين للناس بمسماها وصورتها.

١٥٨٢- تفيد أن أعظم الظلم مخالفة المنعم.. أول العيش لك -ابن آدم- في الجنة.. والتفريط فيها ظلم عظيم.. عد إلى طاعتك لتعود إلى جنتك.

١٥٨٣- تفيد أن الخروج عن الطاعة ظلم للنفس بإخراجها من أسباب التكريم وتعريضها للعقاب.

١٥٨٤- تفيد أن المعصية تهوي بصاحبها من مراتب المكرمين إلى دركات الظالمين.

١٥٨٥- تفيد أن معصية الله عز وجل ظلم للنفس وعدوان عليها.

١٥٨٦- تفيد أنه لا ينبغي الاستهانة بشيء من الذنوب، فحسبك في ذلك عظم من عصيت ولم تقدره حق قدره، فأين هذا الذنب وهو الأكل من الشجرة من ذنوب بعض بني آدم اليوم وهم لا يرون ذلك ظلما ولا ذنبا يستوجب التوبة.

١٥٨٧- تفيد صحة مقولة: لا تتشوف إلى قليل ما منعك.. ففي كثير ما أغناك ما يكفيك.

١٥٨٨- تفيد ان من اتقى القرب من المحرمات فقد استبرأ لدينه وامتثل لأمر ربه، وأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، كما ثبت في الحديث.

١٥٨٩-تفيد منهجا تربويا للمربين والمعلمين أنه ينبغي لهم عند نهيهم الطلاب عن أمر أو فعل أن يتبعوه بذكر وبيان عقوبة من لم يمتثل لذلك ليكون ردعا له ولغيره عن ارتكاب ذلك المحظور، وقد أعذر من أنذر.

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة:٣٦].

أ] قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.

١٥٩٠- تفيد مناسبة لما قبلها فالآية ما زالت في سياق التكريم والرعاية وغاية اللطف في الدعوة التذكير والتوجيه، ولهذا عبر بالزلة تحذيرا لآدم عليه السلام.

١٥٩١-تفيد مع ما قبلها أن العالم قد يقع في الخطأ وقد يصدر منه الخطأ والزلل.

١٥٩٢- تفيد أن الشيطان هو أحد أهم أسباب الوقوع في المعاصي، وأن على العبد الحذر من الوقوع في الزلل الذي يمليه الشيطان.

١٥٩٣- تفيد أن آدم عليه السلام قد أكل الشجرة للخلود والملك الذي لا يبلى، ولكنه عوقب بالهبوط والسكن في حياة فانية، ولهذا فمن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

١٥٩٤- يفيد عدم ذكر كيفية وسوسة إبليس لآدم وحواء في الجنة حتى أكلا من الشجرة أن ذلك علم إذا عُلِم لم ينفع العالم به علمه.. وإن جهله جاهل لم يضره جهله به، وأن سكوت القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذلك سكوت الصحابة وصرف نظرهم عن سؤال النبي ﷺ عن تلك الكيفية دليل على أنه لا نفع ولا خير لنا في معرفته، ولو كان خيرا معرفته لذكره القرآن، ولسبقنا إلى معرفته الصحابة، أفلا يسعنا ما وسعهم.

١٥٩٥- تفيد لطف الله بآدم إذ جعل خطأه بسبب إزلال الشيطان وليس بقصد المخالفة، ولهذا عبر بالزلة التي تشير إلى انحراف القدم بلا شعور ولا قصد.

١٥٩٦- تفيد أنك قد تفقد كل صور النعيم بالمعصية، لكن احذر أن لا تُحدث لها توبة فتخسر الدنيا والآخرة.

١٥٩٧-تفيد أن الشيطان قد يوقعك بالمعصية إغراء بها من غير قصد منك في المخالفة.

١٥٩٨- تفيد أن زلة واحدة بغفلة أو شهوة قد تسقطك من مقامك.

١٥٩٩- تفيد أن المعصية تحط من قدر صاحبها.

١٦٠٠- تفيد الآية بمفهوم المخالفة أن الطاعة واتباع طريق المؤمنين مجلبة للعزة وأن المعصية واتباع خطوات الشيطان مجلبة للزلة.

١٦٠١- تفيد أهمية الاتعاظ بدروس السابقين، والاعتبار بقصص الغابرين.

١٦٠٢- تفيد التحذير من الاغترار بمن يدعي النصح ورعاية المصلحة.

١٦٠٣-تفيد أن على من كان في محل القدوة أو من دعاة الخير أن يحذر أشد الحذر من الوقوع في الزلل والخطأ، فيكون سببا في فتنة الأتباع ومن يدعوهم.

١٦٠٤- تفيد أن حكمة خلق آدم ليكون خليفة في الأرض، وكانت الجنة أولى محطاته، ثم أنزل الارض بسببٍ... ثم يرجع إليها.

١٦٠٥- تفيد دقة لفظ "الهبوط" فهو ليس كلفظ "النزول" من حيث انخلاع النفس وسرعة التحول؛ فكأنما المعصية بمجرد مخالفة الأمر الرباني تهبط بمرتكبها من درجة عالية إلى هوة سحيقة.

١٦٠٦-تفيد أن كل ما آل إلى غيرك مما تملك يؤكد لك أن حقيقة ملكك السابق صورية - وهذا واقع الحياة الدنيا - وفرق كبير بين الملك الحقيقي المطلق وبين الملك الصوري المحدود.

١٦٠٧- تفيد عظمة ودقة مدلول قوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[البقرة:٣٦] فكم اختزنت من أوصاف للجنة لا تكاد تحيط بها ألفاظك... كما لا تحيط بمعانيها أفكارك.. أما لو أزحت الستارة عنها؛ لرأيت خلفها جنة أودع فيها [ما لا يخطر على قلب بشر].

١٦٠٨- تفيد أنه ما وضع القرآن حجاب الألفاظ الساتر ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾على معاني الجنة الفاتنة ليخفي منها حسنها.. بل لتتصور – خاليًا - ذاك الجمال.. لعمر الله! قد فتنتني بحجابها..
فكيف لو تزينت لخطابها؟.

١٦٠٩- تفيد أن على العبد أن يتحسر ويحزن على الخير الذي يفوته ويخسره بسبب اتباعه لخطوات الشيطان، وبيان ذلك: أن الله عز وجل لم يكتف بذكر إخراجهما من الجنة فقط؛ بل أضاف إلى ذلك إشارة إلى ما كانا فيه من النعيم العظيم الذي لا يمكن أن يوصف، وفي هذه الإضافة ما لا يمكن وصفه من الوقع الشديد على النفس، واستدعاء التحسر والندم على ما حصل وفات.

١٦١٠- يفيد أن قوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ يوحي بأنهما كانا يتقلبان في النعيم من رأسيهما إلى أخمص قدميهما، وأي نعيم ذلك النعيم الذي كانا فيه، لقد ضرب القرآن الكريم صفحا عن ذكر هذا النعيم لتذهب النفس كل مذهب، ويتحسر قلب من ذاق هذا النعيم أيما حسرة، ولئلا تزداد حسرتهم أشار إلى ذلك دون تفصيل.

ب] قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

١٦١١- تفيد أن من الأصول المهمة في التربية والإصلاح: معرفة الأعداء، واستحضار عداوتهم دائما؛ بل إن وجود الأعداء مطلب لبناء الحضارات والسعي لعمارة الأرض، وهذا يبين وجها من وجوه الحكمة من أمر الله للملائكة بالسجود لآدم عندما خلقه ونفخ فيه من روحه. فظهرت عداوة الشيطان، وأعلم الله كليمه آدم عليه السلام وزوجه أن الشيطان لهما عدو. قال الطاهر ابن عاشور - رحمه الله -: « وَقَوْلُهُ هُنَا: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي تَرْبِيَةِ الْعَامَّةِ، وَلِأَجْلِهِ كَانَ قَادَةُ الْأُمَمِ يَذْكُرُونَ لَهُمْ سَوَابِقَ عَدَاوَاتِ مُنَافِسِيهِمْ وَمَنْ غَلَبَهُمْ فِي الْحُرُوبِ لِيَكُونَ ذَلِكَ بَاعِثًا عَلَى أَخْذِ الثَّأْرِ ».

١٦١٢- تفيد تقرير العداوة مع أعداء الله بزعامة العدو الأول: الشيطان.

١٦١٣- تفيد أن من الأزواج والأولاد من يحمل صفة العداوة للزوج والأب والأم، وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

١٦١٤- تفيد أن الأرض ليست دار القرار، فلا يركن إليها بنو آدم.

١٦١٥- تفيد أن متاع الدنيا متاع قليل ومؤقت من اشتراه بالآخرة فقد خسر وخاب.

١٦١٦- تفيد التحذير من مكايد الشيطان، والتأكيد أن الشيطان عدو للإنسان.

١٦١٧- تفيد تحذيرا لك يا ابن آدم! خرج أبوك من الجنة بمعصية.. أتطمع بالعودة إليها وقد ملأت حملك بالأوزار؟.

١٦١٨- تفيد أن الطريق بيّن والغاية واضحة، ومن مزيد رعاية الله تعالى جعل للمؤمنين قائدا وهاديا يرشدنا لبلوغ الغاية المرجوة.

١٦١٩- تفيد أن الطريق إلى مرضاة الله فيه من الابتلاءات التي تكشف صدق القصد وحسن التوجه

١٦٢٠- تفيد أن الذي يخضع لنظام ويحتكم لشرع لا يمكن أن يلتقي بالفكر أو ينسجم بالمنطق مع من تمرد على الحكم وانخلع من قيد الشرع.

١٦٢١-تفيد دوام الاستعداد لما بعد الحين وإشغال الفكر بما يجب أن يعد الإنسان لما بعده.

١٦٢٢- تفيد سرعة انتهاء لذائذ الدنيا... إلى حين..

١٦٢٣- تفيد أن ترك العمل بالأسباب سوء أدب مع الله.

١٦٢٤- تفيد أنه قد يدرك الإنسان شيئا من الاستقرار في الدنيا.. لكنه استقرار نسبي.

١٦٢٥- تفيد بيان فتح باب الخروج من الجنة... لكنه سرعان ما شرع باب العودة إليها.. إنه بعد [حين].. فترقبه! إن كل آت قريب...

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

أ] قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾.

** قرأ ابن كثير المكي: بنصب آدم ورفع كلمات. وقرأ الباقون: برفع آدم ونصب كلمات، وذكر العلماء أنه يقال: ما تلقاك فقد تلقيته، وما تلقيته فقد تلقاك.

١٦٢٦- تفيد أن على العبد أن يتعرض لربه بكلمات التوبة الخالصة فهي مفتاح باب التوبة عنده.

١٦٢٧-تفيد رحمة الله تعالى ورأفته بعبده، حيث يعصيه ويلقي عليه كلمات التوبة ويعلمه إياها.

١٦٢٨-تفيد أن كلمات قليلة تمحو ذنب عمر برمته.

١٦٢٩-تفيد أن توبة آدم أنقذت مستقبل البشرية جمعاء، وكلماته غيرت مستقبل العالم.

١٦٣٠-يفيد إخفاء الكلمات ههنا كما أخفيت في قوله عن إبراهيم ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[البقرة: ١٢٤]، ليبعث في النفوس الرغبة في معرفتها لنيل توبة الله.

١٦٣١- تفيد أن رغم المعصية التي ارتكبها آدم عليه السلام إلا أن تكريمه ظاهر، والمنان يتلطف به ويرعاه ويحفظ له منزلته الكريمة... فيصفه بالمتلقّي: أي الذي يأخذ الأمر بالرغبة والإقبال والحرص والندم على ما فات...

١٦٣٢- تفيد أن على كل مذنب - وهو أعرف بذنبه - أن يختار الكلمات التي تناسب مقامه.

١٦٣٣- تفيد أن الله ﷻ هو الذي يوفق من شاء للتوبة قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

١٦٣٤- تفيد أنه لا يدهشك هول المصائب عن محاولة التغيير، أكبر مصيبة هي الخروج من الجنة، لكن آدم لم يستسلم لهولها.

١٦٣٥- تفيد أن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، وقد قيل: أن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] أي: علمه ربه الاعتراف بالذنب والانكسار اليه والإنابة والاستغفار.

١٦٣٦- تفيد الحث على تدبر القرآن واستخراج هداياته لأن الكلمات ذكرت في موضع آخر.

١٦٣٧- تفيد أن باب التوبة مفتوح، وأن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل »، ولا يحول بين العبد والتوبة شيء، وأن التوبة تجب ما قبلها.

١٦٣٨- تفيد أنك عند وقوع المعصية عليك المبادرة بالتوبة واستحضار اسم ربك وصفته في توبتك، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

١٦٣٩- تفيد أن زوجة آدم مخاطبة ومعنية في هذا التلقي، لأنها فرع، والفرع يتبع الأصل ويستوعبه.

١٦٤٠- تفيد بإشارة خفية إلى أن المرأة تابعة للرجل في الحكم، وعليها أن تفعل ما يفعله الرجل من الأحكام الشرعية.

١٦٤١- تفيد بإشارة خفية إلى أن النبي والرسول عليهما تبليغ ما أنزل إليهما من ربهما، فإن آدم عليه السلام تلقى الكلمات وبلغه لزوجه حواء، قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ على من قال إنها الكلمات المتلقاة.

١٦٤٢- تفيد بإشارة خفية إلى أن النبي والرسول لا يكونان إلا من الرجال، فإن الأكل من الشجرة والهبوط إلى الأرض اشترك فيه آدم وحواء، ولكن انفرد آدم بتلقي الكلمات.

١٦٤٣- تفيد وجوب سرعة التوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي.

١٦٤٤- تفيد أنك بعد الزلة ستسمع صوتا يهتف في داخلك يؤنبك ويقرعك فعليك أن تنصت له.

١٦٤٥- تفيد قوله ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾ مزيد من الرعاية والعطف واللطف.

١٦٤٦- تفيد أن بعد المعصية لا تنقطع كل العطايا.

١٦٤٧- تفيد أن قصة وجودنا قصة توبة.

١٦٤٨- تفيد فتح آفاق عريضة لأهل المعاصي، وأن رحمة الله سبقت غضبه.

١٦٤٩- تفيد أهمية الكلمة وأثرها في الوعظ والتذكير والدعوة إلى الله.

١٦٥٠- تفيد بيان قسمين من أقسام التوحيد، وهما: الربوبية ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾ والثاني: الأسماء والصفات ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٦٥١- تفيد أنك إذا رجعت إلى الله سيلهمك الله كلمات لم تكن في حروفك، وأن كل تائب إلى الله يتنزل عليه من الكلمات ما يناسبه.

١٦٥٢- تفيد أن البشارات إذا تهادت لم تكن صوتا فقط.

١٦٥٣- تفيد أن الله إذا أبلغك طريق التوبة.. فتأكد أنك قلتها... وثق أنه قبلها لأنه لن يدعوك ليطردك: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٦٥٤- تفيد سرعة توبة الله تعالى على العبد التائب إليه، ففي عدم ذكر قوله: [فقالها] أو [فتاب إليه] دليل على هذه السرعة، فكأن مجرد التلقي كانت كافية. وفي هذا ترغيب وتشويق للتوبة إلى الله، فما أعظم دلالات القرآن الكريم وما الطف هداياته وفوائده، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

١٦٥٥- تفيد أن من شابه أباه في الذنب وزلة القدم، فليشابه أباه في التوبة والندم، فمن يشابه أبه فما ظلم.

١٦٥٦- تفيد بإشارة خفية إلى أن على الرجل أن يقي أهله مواطن الردى والمهلكة، وأن عليه واجب النصح والإرشاد لهم، فتوجه التلقي إلى آدم إشارة خفية إلى هذا الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

١٦٥٧- تفيد أن مقام التوبة أعلى المقامات للأنبياء فمن دونهم، ولذا كان النبي ﷺ دائم التوبة والاستغفار.

ب] قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٦٥٨- تفيد أن الله ﷻ يتعرض لعباده بالتوبة لكونه التواب.

١٦٥٩- تفيد إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى، هما التواب والرحيم.

١٦٦٠-تفيد محبة الله تعالى التوبة من العبد، ابتلى ادم فتاب عليه لمحبته للتوبة من عباده وهو الملهم له

١٦٦١- يفيد التأكيد بـ [إن] و[ضمير الفصل] و [الألف واللام] في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالرغم من معرفة آدم بأن ربه تواب رحيم، تشويقًا وحثًّا للعصاة والمذنبين من ذريته المتقاعسين والمترددين والشاكين في قبول توبتهم، فجيء لهم بهذه المؤكدات حثًّا لهم على الرجوع إلى الله وطلب التوبة والرحمة منه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

أ] قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ...﴾.

١٦٦٢- تفيد مناسبة لما قبلها فهي في سياق التكريم والعناية، فبرغم المعصية إلا أن باب الإنابة مفتوح.

١٦٦٣-تفيد مع ما قبلها أن التوبة لا تغير القدر المكتوب، وإنما تطفئ غضب الرب، وتستدعي لطف الله فيما جرت به المقادير.

١٦٦٤- تفيد مع ما قبلها أن في الأرض التي أهبط إليها آدم وحواء جنة من لم يدخلها لم يدخل الجنة الأخرى، ومن لم يذق من ثمارها لم يذق من ثمار الجنة الأخرى، إنها [اتباع هدى الله].

١٦٦٥-تفيد إثبات صفة الكلام لله.

١٦٦٦-تفيد أن الجنة في السماء، وفيه دليل على أن الجنة التي أهبط منها آدم وحواء عليهما السلام هي جنة عالية وليست جنة في الأرض؛ لأن الهبوط لا يكون إلا من أعلى.

١٦٦٧-تفيد مع ما قبلها أن نتيجة المعصية الهبوط والنزول إلى السفل.

١٦٦٨- تفيد مع ما قبلها بيان شؤم المعصية، وأنها تجر وتهبط بصاحبها الى السفل.

١٦٦٩-تفيد التأكيد بالأسلوب البلاغي البديع الفصيح [جميعا] فهو توكيد معنوي.

١٦٧٠-تفيد أن الشيء إذا كان هامًا فينبغي أن يؤكد، والتوكيد من الأساليب العربية الفصيحة.

١٦٧١– تفيد أن عظمة الله تعالى تتجلى في تنفيذ حكم الإبعاد، كما تتجلى في فتح باب الرجاء لمن عاد.

١٦٧٢–تفيد أن الذي حث على المعصية ودعا إليها ومن أطاعه في ذلك ينالهم العذاب جميعا.

١٦٧٣–تفيد أن الطريق الوحيد الذي فيه نجاتك هو ما استوثقت أنه من عند الله تعالى.

١٦٧٤–تفيد أن الهدى لا يكون إلا من الله، وسمي الهادي ﷺ لانه يهدي الناس بهدى الله تعالى.

١٦٧٥–تفيد أنه لا ينبغي أن يسأل الهدى إلا من الله ﷻ؛ لأنه هو الذي يأتي به.

١٦٧٦–تفيد أن الكريم سبحانه يبين طريق الهدى وييسر سبيلها.

١٦٧٧–تفيد رحمة الله تعالى بعباده حيث لم يتركهم دون هدى وبيان عبر تاريخ المسيرة الإنسانية.

١٦٧٨– تفيد أن من مهمة البشرية تحري هدى الله وتلمسه والبحث عنه والتشبث به، وثواب هذه المهمة الأمن الاجتماعي والهداية النفسية ورغد العيش وسكينة النفس وفرح الروح فلنسعد بهذه الوظيفة ولننعم بذلك العطاء.

١٦٧٩–تفيد مناسبة لما قبلها فسياق السورة مبني على تلقي أوامر الله وهديه وشرعه التي هي من مستلزمات الاستخلاف في الأرض.

١٦٨٠–تفيد أن العبد قد يصير بعد التوبة خيرا من قبل الوقوع في المعصية.

١٦٨١–تفيد أن الله لا يؤاخذ البشر بما يقترفونه من الضلال إلا بعد أن يرسل إليهم من يهديهم.

١٦٨٢– يفيد تنكير ﴿هُدًى﴾إلى شمول أنواع الهدايات التي أنزلها الله تعالى مع آدم وزوجه. وأهمها: الهداية التي هي بمعنى التوفيق والمعونة، والهداية التي هي بمعنى الدلالة والإرشاد.

ب] قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

١٦٨٣– تفيد أن السياق في هذه الآيات المباركة سياق تكريم وعناية وتلطف فناسب أن تأتي [تبع] بالتخفيف، أما في سياق التكليف وبيان خطر الشيطان وكيده والتأكيد على الحذر من كيده الأنسب اتّبع.

١٦٨٤–تفيد أن من اتبع هدى الله فإنه آمن من بين يديه، ومن خلفه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا

﴿يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]. فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى أحدث الحزن، وإن كان منتظرًا أحدث الخوف، فنفاهما عمن اتبع هداه وإذا انتفيا حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة.

١٦٨٥–تفيد أن القرآن يسلي العبد في مصابه فيحمله على الصبر والتسليم ورجاء الثواب العظيم فلا يجعل للمصيبة أثر على قلبه فيقوى بذلك في مواجهة المصائب والحوادث.

١٦٨٦– تفيد أن من تعبد لله بغير ما شرع فهو على غير هدى؛ فيكون ضالًا كما شهدت بذلك السنة؛ فقد كان النبي ﷺ في خطبة الجمعة يقول: "وشر الأمور محدثاتها؛ وكل محدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة.

١٦٨٧– تفيد أن اتباع الكتاب والسنة فيه الفوز والأمن من الخوف والحزن.

١٦٨٨– تفيد أن ما ثبت أنه من عند الله ففيه الهدى، وما سوى ذلك فعين الردى.

١٦٨٩– تفيد أن الانقياد المطلق للوحي هو الفوز المحقق.

١٦٩٠– تفيد أن سبيل النجاة هو اتباع الهدى من الله.

١٦٩١– تفيد أن الطمأنينة والسكينة تصاحب من اتبع الكتاب والسنة والقلق والضجر والكآبة تصاحب من أعرض عنهما.

١٦٩٢– تفيد أن السعادة الحقيقية بذهاب الخوف والحزن ولا يتم إلا باتباع هدى الله.

١٦٩٣– تفيد أن الهم والحزن من نتائج الكفر بالله ومعصيته.

١٦٩٤–تفيد أن من لم يتبع القرآن سوف يكون الخوف والحزن ملازم له في الدنيا والآخرة، وهو مفهوم المخالفة لما نصت عليه الآية.

١٦٩٥– تفيد أن من حكمة الله وعدله إعزاز وإسعاد من أطاعه، وإذلال وإشقاء من عصاه، حتى يظل متجللا بحسرة المعصية وندامة الذنب متجرعا مرارة الضنك وبؤس الشقاء.

١٦٩٦– تفيد الحث على اتباع الهدى ببيان الثمرة المترتبة على ذلك.

١٦٩٧– تفيد كذب ودجل من قال: ألقاه في اليم مكتوفا وقال له.... فإن الله عز وجل أهبط آدم وزوجه حواء عليهما السلام إلى الأرض، وآتاهما ما يتسلحان ويهتديان به من هداية عامة وخاصة.

فائدة: ذكر ابن الزُّبير الغرناطيّ: أنَّ لكل واحد من صيغة [تبع] [اتبع] تمايزًا عن الآخر؛ لأنَّ صيغة تبع ثلاثي هو الأصل، وصيغة اتبع مزيد هو الفرع، وما فيه من زيادة في المبنى يستلزم زيادة في المعنى، فإذا اشتركت الصِّيغتان في دلالتهما على الاتباع، فإنَّ تبع تدلّ على الاتِّباع الَّذي لا تكلُّفَ فيه ولا مشقة، وأمَّا اتبع فإنَّ هذه البنية افتعل تنبيء عن تكلُّف ومشقة، وتحميل للنَّفس طاقة أخرى.

وقد بين ابن الزُّبير سياق القصَّة في السُّورتين فقال:

- سورة البقرة لم يُذكر فيها من كيد إبليس كما ذكر في سورة طه فلم يرد في البقرة من كيد إبليس إلاَّ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾[البقرة: ٣٦] من غير تفصيل وبيان لهذا الإضلال والإغواء، فكانت المناسبة الدَّلالية لمبنى تبع التي تعني مجرد الاتباع من غير تعمل، ولا تكلَّفَ، ولا مشقَّة.

- وأمَّا في سورة طه فكان التَّفصيل، حيث ذكر كيفية الإغواء في قول الله عزَّ وجلَّ ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾[طه: ١٢٠] وذكر فيها قوة كيد اللَّعين واستحكام قبضته وحيلته حتى احتنك كثيرًا من البشر وأخلهم عن المستقيم؛ ومن ثم أصبح تمييز الحق لا يكون إلاَّ بتعمُّل ومشقَّة؛ لذا ناسب اتبع وجاء كلّ على ما يناسب معنى ونظمًا وإيجازًا، وإطالة مراعاة لسياق الحال في الآيات محل القصَّة القرآنية.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٣٩].

١٦٩٨- تفيد قمة البلاغة القرآنية، إذ كان التقسيم يقتضي مع ما سبقها أن من اتبع الهدى لا خوف ولا حزن يلحقه، وهو صاحب الجنة، ومن كذب يلحقه الخوف والحزن، وهو صاحب النار، فكأنه حذف من الجملة الأولى شيء أثبت نظيره في الجملة الثانية، ومن الثانية شيء أثبت نظيره في الجملة الأولى.

١٦٩٩-يفيد العدول عن قوله: [ومن لم يتبع هداي] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[البقرة: ٣٩] إشارة خفية إلى إخراج من لم تبلغه الدعوة، ولم يكن من المكلفين من هذا الخطاب، لأن هؤلاء يدخلون تحت من لم يتبع الهدى، ولكنهم ليسوا من أصحاب النار كما ثبتت به النصوص.

١٧٠٠- تفيد بيان أن القرآن الكريم مثاني، حيث قابل بين أهل الهدى وأهل الضلالة، وأهل الإيمان وأهل الكفر.

١٧٠١- تفيد بيان انقسام الخلق من الهدى إلى أهل السعادة وأهل الشقاوة؛ فأهل الشقاوة مآلهم النار العظيمة الهائلة.

١٧٠٢- تفيد نذارة للمكذبين الكافرين، وبيان عاقبتهم.

١٧٠٣- تفيد أن الكذب صفة لازمة للكافرين لا تنفك عنهم.

١٧٠٤- تفيد أن جزاء الكفر- الذي هو أعظم الذنوب - النار المخيفة التي أعدها الله تعالى لمن تلبس بهذا الذنب العظيم، فمات عليه ولم يتب منه قبل موته.

١٧٠٥- تفيد المكث الدائم الأبدي للكفار المكذبين بآيات الله.

١٧٠٦- تفيد التنديد الشديد لمن جمع بين الكفر والتكذيب.

١٧٠٧- يفيد الجمع بين قوله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ﴾ أن المراد بالكفر: الشرك، فخرج من ذلك كفر النّعم والمعاصي فإن صاحبهما لا يخلد في النار.

١٧٠٨- تفيد أن الكافر إذا كان كفره مخرجا من الملة فهو خالد في النار، وإن كان كفره غير مخرج فليس بخالد فيها.

١٧٠٩- تفيد أن الكافر والمكذب بآيات الله منحط القدر.

١٧١٠- تفيد إثبات وجود النار مع اختلاف وصفها عن نار الدنيا.

١٧١١- تفيد التحذير من التكذيب بشيء من تعاليم الدين.

١٧١٢- تفيد أن النار لا تفنى.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

١٧١٣- تفيد مناسبة لما تقدمها من آيات، فما زال السياق في عبودية الله تعالى، وذلك من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] فناسب أن ينادى هؤلاء اليهود بجدهم الذي كان مشتهرا بعبادة الله وطاعته استنزالا لطائر عنادهم وحثًّا لهم على العبادة والطاعة كجدهم [إسرائيل] أي: [عبد الله].

١٧١٤- تفيد أن عبادة الأجداد وطاعتهم لربهم تنفع الأبناء والأحفاد وتتنزل عليهم النعم الإلهية، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

١٧١٥–تفيد أن الله تعالى يوجه الخطاب للمخاطب إما لكونه أوعى من غيره؛ وإما لكونه أولى أن يمتثل؛ وهنا وجّهه لبني إسرائيل؛ لأنهم أولى أن يمتثلوا؛ لأن عندهم من العلم برسالة النبي عليه الصلاة والسلام، وأنها حق، ما ليس عند غيرهم.

١٧١٦– تفيد أن تذكير العبد بنعمة الله عليه من أعظم المداخل إلى القلوب في الدعوة إلى الله، وأدعى لقبول العبد الحق، وأقوم للحجة عليه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]؛ وهي من وسائل الدعوة إلى الله؛ لأنه أدعى لمحبة الله ﷻ؛ ومحبة الله تحمل العبد على أن يقوم بطاعته.

١٧١٧– تفيد أنه ينبغي أن يكون أبناء الأنبياء والدعاة قدوة لغيرهم.

١٧١٨–تفيد منزلة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إذ ناداهم باسمه، وأطلق عليهم لقبه، ولا مانع أن تسمى القبيلة بلقب جدها الأعلى.

١٧١٩– تفيد أن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن؛ لأن إسرائيل معناه عبد الله كما ذكر كثير من المفسرين، وقد صح في الحديث بأن أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن.

١٧٢٠– تفيد جواز مناداة الناس بألقابهم إذا لم يكونوا يكرهونها.

١٧٢١– تفيد أنه ينبغي تأليف المخالفين بندائهم باسمهم المحبب إلى نفوسهم وما يرغبهم للقبول.

١٧٢٢– تفيد منهجا دعويا حيث ينبغي لكل داعية أن يتمثله ويعمل به، فيتلطف بالمدعوين ويتودد إليهم بما يحبون ثم يدعوهم إلى سبيل الخير.

١٧٢٣– تفيد فضل بني اسرائيل في زمانهم.

١٧٢٤– تفيد أن بني إسرائيل قد يغيرون مواقفهم واعتقاداتهم بسبب دعوتهم إلى الدين الحق.

١٧٢٥– تفيد وجوب شكر النعم؛ لأن الأمر بذكر النعمة هنا مراد منه لازمه وهو شكرها.

١٧٢٦– تفيد دليلا علي أن نسيان النعم سبب لكفرها، وأن شكرها سبب لدوامها.

١٧٢٧– تفيد كثرة غفلة العباد عن نعم الله والقيام بحقها لذا جاء التذكير بها.

١٧٢٨– تفيد بيان قلة الشاكرين لآلاء الله ونعمه، وقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]

١٧٢٩– تفيد وجوب التفكر في نعم الله تعالى حتى يتأتى شكرها.

١٧٣٠– تفيد أن تذكر النعم عبادة تعبدنا الله بها.

١٧٣١- تفيد أن المفرد المضاف يدل على العموم فقوله: ﴿نِعۡمَتِيَ﴾أي: نعمي.

١٧٣٢- تفيد كمال غنى الله عن سائر خلقه، فهو المنعم وغيره الآخذ.

١٧٣٣- تفيد عظيم منة الله تعالى في إنعامه على بني إسرائيل؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾.

١٧٣٤- تفيد أن هذه الأمة مأمورة بما أمرت به بنو إسرائيل بتذكر نعم الله عز وجل عليها وشكرها، وصرف هذه النعم فيما يرضيه سبحانه.

١٧٣٥- تفيد أهمية التذكير بآلاء الله ونعمه، فعسى أن تكون هنالك قلوب تعقل أو آذان تسمع أو قلوب تعي.

١٧٣٦- تفيد أن تذكير الحاسد بنعم الله عليه عظة له، وصرف له عن الحسد الناشىء عن الاشتغال بنعم الغير، وهذا تعريض بهم أنهم حاسدون للعرب فيما أوتوا من الكتاب والحكمة ببعثة محمد عليه السلام، وانتقال النبوة من بني إسرائيل إلى العرب، وإنما ذكروا بذلك؛ لأن للنفس غفلة عما هو قائم بها، وإنما تشتغل بأحوال غيرها.

١٧٣٧- تفيد أن النعم يجب أن تذكر بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه.

١٧٣٨- تفيد أن الله هو المنعم بكل النعم على عباده قديمها وحديثها صغيرها، وكبيرها، فهو المتفضل عليهم سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل: ٥٣].

١٧٣٩-تفيد مع قوله تعالى في آية أخرى من هذه السورة وهي قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢] فضل أمة محمد ﷺ على بني إسرائيل وغيرهم، فإن الله ﷻ أمر بني إسرائيل بذكر نعمه، وأمر هذه الأمة بذكره هو سبحانه وتعالى، وفرق بين أن تذكر النعمة لتذكرك بالمنعم، وبين أن تذكر المنعم مباشرة.

١٧٤٠-تفيد أن زيادة النعم من الله لفرد أو أمة تقابلها زيادة تبعات في القيام بحقها.

١٧٤١-تفيد أن توحيد الربوبية هو المدخل في الدعوة لتوحيد الألوهية، فتذكر النعم من توحيد الربوبية والوفاء بالعهد من توحيد الألوهية -والله أعلم-.

١٧٤٢- تفيد أن النعم التي لا تؤدي إلى شكر المنعم والوفاء بعهوده إنما هي استدراج للمنعم عليه، فعليه الحذر.

١٧٤٣- تفيد وجوب الوفاء بالعهود.

١٧٤٤-تفيد أن من وفى لله بعهده وفى الله له؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]؛ بل إن الله أكرم من عبده، حيث يجزيه الحسنة بعشر أمثالها.

١٧٤٥- تفيد أن ما عند الله لا ينال كماله إلا بطاعته ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾

١٧٤٦- تفيد أن تذكر نعم الله، وتذكر العهد الذي بيننا وبين الله، وتذكر عظمته وجلاله من أعظم أسباب إصلاح القلوب.

١٧٤٧-تفيد وجوب إخلاص الرهبة لله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

١٧٤٨-تفيد أن الرهبة عبادة؛ لأن الله تعالى أمر بها، وأمر بإخلاصها.

١٧٤٩-تفيد وجوب إخلاص جميع العبادات لله وحده.

١٧٥٠- تفيد أن السبب الحامل على الوفاء بعهد الله، وهو الرهبة منه تعالى، وخشيته وحده، فإن مَنْ خشِيَه أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه.

١٧٥١-تفيد أن عدم قيام بني إسرائيل بواجب الشكر سببه خلو قلوبهم من منزلة الرهبة.

١٧٥٢-تفيد أن من موانع نصرة الحق الخوف من غير الله، ولذا لما كان من موانع بني إسرائيل لنصرة الحق خوف بعضهم من بعض لما بين الرؤساء والمرؤوسين من المنافع المشتركة؛ ولذا عقب الأمر بالوفاء بالعهد بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾.

١٧٥٣-تفيد أهمية الجمع في الدعوة بين الترغيب والترهيب فقد ذكرهم بالنعم ترغيبا، ثم قال لهم ترهيبا: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾

١٧٥٤-تفيد دقة ألفاظ القرآن الكريم فهناك فرق بين الرهبة والخوف والخشية، فالرهبة هي الخوف والفزع المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل. قال ابن القيم: وأما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه. وأما الخشية فهي خوف مقرون بمعرفة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] قال ابن القيم: خشيته تعالى مقرونة بمعرفته وعلى قدر المعرفة تكون الخشية.

١٧٥٥-يفيد تذييل الآية بقوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾إشارة إلى أن النعم قد تزول وتتحول إلى نقم وعذاب إذا لم تذكر فتشكر، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

أ] قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ ...﴾.

١٧٥٦- تفيد التلطف بالدعوة فتبرز مناسبتها للآية التي سبقتها... حيث يدعوهم سبحانه من خلال ما عندهم من التنزيل، وفي ذلك تكريم لهم حينما يذكر لهم أن الذي يُدعون للإيمان به إنما هو مصدق لما هو عندهم، وهذا يجعلهم يشعرون بمسؤولية خاصة تجاه هذا التنزيل، فهم الأقرب إليه والأولى به.

١٧٥٧- تفيد أن الإيمان هو الأساس، وعليه يقوم البناء، والتقوى حماية لهذا البناء، تقيه من كل ما يفسده ويهدمه.

١٧٥٨- تفيد أن الإيمان رأس الأمر وعموده، وأول ما يبدأ به، وأول ما يدعى إليه، وهو أعظم حسنه

١٧٥٩- تفيد أن التصديق فرع عن الإيمان.

١٧٦٠- تفيد وجوب الإيمان بالكتب السماوية.

١٧٦١- تفيد أن الأمر بالإيمان بالكتاب المنزل يقتضي الإيمان بالمنزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

١٧٦٢- تفيد أن من لم يؤمن من أهل الكتاب بالنبي ﷺ فهو كافر.

١٧٦٣- تفيد أن القرآن الكريم مصدق ومهيمن لما تقدم من كتب سماوية سابقة.

١٧٦٤- تفيد أن الأنبياء دينهم واحد، وإن اختلفوا في فروع الشرائع.

١٧٦٥- تفيد بيانًا للحجة الداعية لإيمانهم به، والعلة الحاملة لهم على القبول، فقال: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ أي: موافقا لما لديهم.

١٧٦٦- تفيد أن بني إسرائيل هم أولى الناس بالإيمان بالقرآن، وأن عليهم أن يؤمنوا بالقرآن الذي جاء به محمد ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾أي: مصدقًا لما ذُكر في التوراة، والإنجيل من أوصاف محمد ﷺ وشرعه، لا مخالفًا ولا مناقضًا، لأنه جاء بما جاء به المرسلون، ولهذا فأنتم أولى من آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم. وأيضا فإن في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به عاد ذلك عليكم بتكذيب ما معكم.

١٧٦٧-تفيد أن الكتب السماوية يصدق بعضها بعض، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨]، وقال أيضا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

١٧٦٨- تفيد أن القرآن الكريم بالرغم من كونه معجزا إعجاز لغويا وبلاغيا، فإنه جمع إلى ذلك الإعجاز المعنوي فهو مصدق لما تقدمه من كتب، وفي هذا ما يتناسب مع ما تقدمه من آية التحدي.

١٧٦٩-تفيد أن كتب أهل الكتاب لم تكن في ذلك الزمان قد حرفت بالكامل.

١٧٧٠- تفيد أن القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية؛ وأن على بني إسرائيل أن يؤمنوا به.

١٧٧١- تفيد أن ما يشرعه الله من شرائع فهي كاملة، وليست على غرار ما يشرعه البشر من قوانين وتشريعات يعتريها النقص، وأن علم البشر مهما وصل فهو ناقص.

١٧٧٢- تفيد بيان عظم المعصية إذا صدرت من العالم.

١٧٧٣- تفيد إثبات صفة العلو لله ﷻ.

١٧٧٤- تفيد أن الكافر مخاطب بأصول الإسلام، وهذا مجمع عليه، وأما الفروع ففيها تفصيل.

١٧٧٥- تفيد بإشارة خفية إلى بيان منهج دعوي ينبغي على العلماء والدعاة السير عليه، وهو دعوة غير المسلمين إلى الإسلام والإيمان عن طريق إثبات أن ما معهم من حقائق جديدة قد أثبتها القرآن الكريم وذكرها من قديم الزمان؛ ليذعنوا ويعترفوا بأن القرآن الكريم مصدق لما معهم فيؤمنوا به، وهذا منهج ينبغي أن يكون له رواده من أهل العلم وهو ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

١٧٧٦- يفيد التعبير بقوله: ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾إشارة إلى أنه ينبغي على علماء بني إسرائيل تكرار النظر والمراجعة في كتابهم الذي يكون معهم ولا يكاد يفارقهم، وفي ذلك حث لهم للوقوف على الدلائل المؤدية إلى العلم بكونه مصدقا لها.

١٧٧٧- تفيد خطورة الابتداء بما يكون منافيا أو مخالفا لما جاء به الأنبياء، وهذا ما كان يحذره الأئمة وخاصة الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ب] **قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ...﴾.

١٧٧٨- تفيد النهي عن المسارعة إلى الباطل والضلال.

١٧٧٩- تفيد أن الأولية تكون بحسب سياقها، أي: لا تكونوا أول من يكفر به من أهل الكتاب.

١٧٨٠- تفيد خطورة أن يكون أهل العلم أول المخطئين للطريق الحق.

١٧٨١- يفيد النهي عن أن يكونوا أول كافر به إشارة خفية إلى أنهم سوف يتحملون وزر من يتبعهم ويقتدي بهم في ذلك، قال تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥]، وفي هذا قد تظهر للمتأمل بعض الحكم من ذكر الأولية في هذا الموضع.

١٧٨٢- تفيد أن الكافر بالحق عن علم يستحق الذم بوصف الأولية في الكفر، وإن كان متأخرا في زمن كفره، إذ من المعلوم أن قريشا هم أول الكافرين زمانا، وذلك لأنه سيسخِّر ما عنده من العلم لإبطال الحق بما يجعل السابقين له زمانا أتباعا له ومستندين إلى أقواله، وهذا ظاهر في استناد قريش على بعض أقوال اليهود.

١٧٨٣- تفيد تنفير العالِم من جحود الحق حتى لا يُذم بوصفه بالأولية في الباطل.

١٧٨٤- تفيد أنه ينبغي على العبد أن يكون أول المستجيبين لأمر ربه ليكون إماما يقتدى به، ولا يكون أول المعرضين فيبوء بإثم من تبعه.

١٧٨٥- تفيد أن ما حرم أوله حرم أوسطه وآخره، فحرمة أن يكونوا أول كافر به إشارة إلى أنه لا يجوز لهم ذلك لا أولا ولا وسطا ولا آخرا، فما حرم عليهم أوله حرم عليهم أوسطه وآخره.

١٧٨٦- تفيد أن العالم إذا لم يكن أول العاملين بعلمه فلا يكن أول المخالفين له.

١٧٨٧- تفيد أنه ينبغي على العلماء أن يكونوا أول العاملين بالكتاب والسنة.

١٧٨٨- يفيد إضافة الآيات إلى لفظ الجلالة التشريف والتعظيم.

١٧٨٩- تفيد أن الكافر بكتاب سماوي واحد كافر بكل الكتب السماوية الأخرى. ومن هذه الهداية تظهر للمتدبر والمتأمل للآية فائدة تنوع الأقوال التفسيرية فيما يعود عليه الضمير في قوله: ﴿كَافِرٍ بِهِۦ﴾.

١٧٩٠- تفيد التحذير من الكفر بالله وكتابه ورسوله، لأنه لما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾أي: بالرسول والقرآن.

١٧٩١- تفيد عظم مسؤولية أهل العلم، وأن عليهم أن يكونوا قدوة صالحة وحسنة للآخرين.

١٧٩٢-يفيد التحذير من أن تكون مفتاحًا للشر بردك الحق.

١٧٩٣- تفيد تنبيها على أن من أوتي علما لا ينبغي له أن يتأخر عن خير، ولا أن يسبق إلى سوء؛ فتأخره يتنافى مع علمه، وسبقه إلى السوء يجعله قدوة في الشر وداعيا إلى المنكر، فينبغي لأهل العلم أن يكونوا قدوة حسنة للناس، لا قدوة سيئة.

ج] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا ...﴾.

١٧٩٤- تفيد أن من يشتري بآيات الله ثمنا قليلا ففيه شبه من اليهود.

١٧٩٥- تفيد أن اليهود يحبون الحياة الدنيا، ولهذا فهم لا يتورعون في بيعهم وشرائهم فيشترون بآيات الله ثمنا قليلا، ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾[البقرة: ٧٩].

١٧٩٦- تفيد أن ما حرم قليله فكثيره أيضا حرام، فحرمة الشراء بالثمن القليل يدل بقياس أولى على حرمة الشراء بالثمن الكثير.

١٧٩٧- تفيد أن كل ذاهب قليل؛ فمتاع الدنيا مهما كثر قليل؛ لأنه ذاهب زائل.

١٧٩٨- تفيد هذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول من فعل فعلهم فمن أخذ رشوة على تغيير حق أو إبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه.

١٧٩٩- تفيد أن المانع من الإيمان، هو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية.

١٨٠٠- تفيد حقارة الدنيا، وأن العاقل يزهد في حطامها الفاني؛ فقد سئل الحسن البصري، عن قوله تعالى: ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾قال: الثمن القليل الدنيا بحذافيرها.

١٨٠١- تفيد غبن اليهود في صفقتهم إذ استبدلوا نفيسا بخسيس، وقد عظمت الآيات بأمرين: الجمع والإضافة إلى ضمير الجلالة، وحقر العوض بتحقيرين: التنكير والوصف بالقلة.

١٨٠٢- تفيد أن طلب العلم يجب أن يخلص فيه النية والقصد فلا يكون للدنيا فيقع الشبه باليهود.

١٨٠٣- تفيد أن الدنيا وما فيها قليل، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧].

١٨٠٤- تفيد بيانا لما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الاعتزاز بإيمانه، وعدم التفريط فيه مهما كانت المغريات.

١٨٠٥- تفيد أن التوراة مقسمة على آيات.

١٨٠٦- يفيد تنكير ﴿ثَمَنٗا﴾إشارة إلى تحقير وتقليل أي ثمن يمكن أن تشترى به الآيات مهما كان غاليًا.

١٨٠٧- تفيد التحذير من استعمال آيات الله في غير ما أنزلت لأجله.

١٨٠٨- تفيد دلالة على حرمة طلب العلم لأجل الدنيا، ويشهد له قوله ﷺ: من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة.

١٨٠٩- تفيد الأمر بالإيمان وهو سبب لتحقيق الأمر الثاني وهو: التقوى، وهي سبب الفوز والفلاح، والنهي الأول هو النهي عن الكفر، وأن يكون المرء رأسًا فيه، والنهي الثاني هو النهي عن استبدال الإيمان والقرآن بعرض من الدنيا، مهما عظم فإنه في مقابل ذلك قليل.

١٨١٠- تفيد دلالة لمن قال بعدم جواز أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله تعالى، ولكن الأدلة لا تسعفهم، والسياق ههنا لبنى إسرائيل.

د] قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾.

١٨١١- تفيد وجوب تقوى الله على أي حال.

١٨١٢- تفيد الحث على تقوى الله تعالى، وأنها تكون لله لا لغيره.

١٨١٣- تفيد وجوب تعظيم آيات الله تعالى.

١٨١٤- تفيد أن تقوى الله تعالى خير معين على السلوك القويم، وعدم الوقوع في منهيات شرعية.

١٨١٥- تفيد أن من اتقى الله ﷻ فقد ربح في بيعه وشرائه وأفلح وأنجح، وأتته الدنيا راغمة، وفي هذا قد يتبين للمتأمل والمتدبر المناسبة اللطيفة في ذكر التقوى ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾عقب قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٥ - ٦٦].

١٨١٦- تفيد أن بالإيمان والتقوى تنال ولاية الله ﷻ، وقد أمرهم في هذه الآية الكريمة بالإيمان والتقوى، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

١٨١٧- تفيد دقة المناسبة وروعة التناسق فبعد أن نهاهم عن الضلال نهاهم عن الإضلال.

١٨١٨- تفيد تصويرًا عجيبًا لواقعنا اليوم... فكم من البشر يلبسون الباطل ثوب الحق، ويظهرونه بصورة الحق، ويجزمون أنه هو الحق، فيلبسوا على الناس دينهم... وعليه فإنهم يخفون الحق وهم يعلمون أنه الحق... فلهؤلاء جاء هذا النهي الشديد الذي يحمل في طياته أشد الوعيد.

١٨١٩- تفيد أن لبس الحق بالباطل ترويج للباطل في صورة الحق، وهو أشد من قول ونشر الباطل فقط، وما أكثره في عصرنا الحاضر، وخاصة ما نشاهده في القنوات الإعلامية المختلفة والتي يشاهدها القاصي والداني، والصغير والكبير.

١٨٢٠- تفيد بيان عدد من سنن الله تعالى في الصراع بين الحق والباطل.

١٨٢١- تفيد أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره، ويحرم عليه كتمانه، وقد دلت النصوص الشرعية الكثيرة على ذلك.

١٨٢٢-تفيد تحذيرا شديدا لأهل العلم من كتمان الحق، وأنها إحدى خصال اليهود التي استحقوا بها الذم والاستبدال، ويتأكد هذا في حق الأئمة الأعلام الذين تصدر عنهم الأمة.

١٨٢٣- تفيد الآية لزوم العمل بما أنزل الله في كتابه واجتناب ما نهى عنه فيه. وتفيد أن كل ما حكم الشرع بصحته من اعتقاد أو قول أو عمل أو غيره من فعل وترك فلا يصح بوجه نفيه.

١٨٢٤- تفيد أن كثرة الادعاء على الحق يوجب لزاما أن يكون مقيدا بالكتاب والسنة وعلى فهم سلف الأمة.

١٨٢٥- تفيد هداية لكيفية معرفة بعض سبل أهل الضلال في إغواء الناس، وهو لبس الحق بالباطل وهذه طريقة أهل البدع صاغرا عن صاغر، وقديما وحديثا.

١٨٢٦- تفيد أن المقصر في بيان الحق وسكوته عنه، أو قوله بالباطل قد قصر في أصل عظيم من أصول النجاة في الدنيا والآخرة.

١٨٢٧- تفيد التلازم بين كتم الحق ولبس الحق بالباطل.

١٨٢٨- تفيد أن من أخطأ الحق وضل عنه شبيه بالنصارى، وأن من علم الحق فاستكبر واتبع هواه شبيه باليهود.

١٨٢٩- تفيد أن اليهود مشهورون بتفصيل ملابس الباطل وخياطته من قديم الدهر وحديثه.

١٨٣٠- تفيد ضرورة البعد عن الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل فيما يتعلق بالله تعالى ودينه والتقيد بالألفاظ الشرعية الدالة على الحق أكمل بيان.

١٨٣١- تفيد أن التلاعب بالمصطلحات وحملها على غير محاملها الشرعية واللغوية من لبس الحق بالباطل.

١٨٣٢- تفيد أن سنة المبطلين أنهم لا يعرضون الباطل صرفا، ولكنهم يلبسونه بالحق ليروج ويستشري.

١٨٣٣- تفيد أن الحق في السنة الكونية هو الباقي، وأن الباطل متى تبين واتضح زهق؛ فهو ضعيف إذا برز

١٨٣٤- تفيد أن على دعاة الحق كشف تلبيس الملبسين المبطلين ليتبين الباطل لطلابه بلا التباس، فإذا ما تحقق ذلك فقد حان النصر والتمكين.

١٨٣٥- تفيد التوبيخ بعدم المداهنة للباطل، وإخفاء الحق، وتوجيه اللوم الى الساكتين عن الحق، والتاركين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٨٣٦- تفيد أن شدة التباس الحق بالباطل يوقع الناس في الفتنة، ويمنع تمايز أهل الحق عن أهل الباطل، فيتأخر النصر، وأن القضاء على الفتنة مرهون بفك هذا الالتباس.

١٨٣٧- تفيد أن القائمين على هذا التلبيس هم من أهل العلم والهوى، عرفوا الحق وتركوا اتباعه واتبعوا الباطل، وموهوا عليه ليغروا الناس ويخدعوهم.

١٨٣٨- تفيد أنه ليس من منهجية أهل العلم الصالحين التلبيس على الناس، أو كتمان العلم.

١٨٣٩- تفيد أن العلم إما أن يفيد الحق أو الباطل فينبغي التثبت والاجتهاد لبلوغ الحق.

١٨٤٠- تفيد أن الأصل في العلم النافع هو الوضوح والبيان والحجة الظاهرة.

١٨٤١- تفيد أن الخطورة الكبرى ليست فيمن يدعو للباطل وحده، وإنما الخطورة فيمن يلبس الحق بالباطل ليروج لباطله حتى يقبله الناس.

١٨٤٢- تفيد أهمية كشف الشبه وردها حتى يقبل الحق ويرد الباطل.

١٨٤٣- تفيد النهي عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المطلوب من أهل الكتب والعلم تمييز الحق، وإظهار الحق ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته؛ ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

١٨٤٤- تفيد أن على الداعية أن يجلي الباطل ويزلزله، ويجلي الحق ويظهره عاملا بقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

١٨٤٥- تفيد وجوب إظهار الحق للناس والعمل على تبليغه للناس بكل السبل والوسائل ومن تقاعد عن ذلك مع القدرة فهو آثم.

١٨٤٦- تفيد أنه ليس هناك إلا حق وباطل؛ وإذا تأملت القرآن والسنة وجدت الأمر كذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢]، والتلبيس هو سبب ضلال الناس، ولذا حذر الله تعالى عنه هنا.

١٨٤٧- تفيد أنه متى حصل التلبيس والجهل لزم من أهل العلم البيان والتعليم.

١٨٤٨-تفيد بياناً لما يبذله أهل الباطل في صرف الناس عن الحق، فعلى أهل الحق ألا يدخروا جهدا في بيان حقهم.

١٨٤٩- تفيد أن تلبيس الحقائق وتزييفها وكتمها منهج أهل الباطل في كل أمة وعصر.

١٨٥٠- تفيد أن الحق إن غاب في مكان تمكن في مكان آخر.

١٨٥١- تفيد أن جهاد الخاصة - وهم العلماء - تبيين الحق وكشف الباطل، « ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ».

١٨٥٢- تفيد أن زوال الباطل مرهون بكشفه وتعريته وتخليته من التباس بالحق الذي يعطيه شيئا من التمويه على العامة.

١٨٥٣- تفيد أن كتمان الحق فيه إتاحة المجال للباطل في أن يروج وينتشر، لأن كتمانهم للحق إشارة إلى بغضهم وتضايقهم من الحق، ويدل بدلالة المفهوم أنهم يحبون الباطل وانتشاره، وان لم يكونوا هم من ينشره، ولهذا عدل عن قوله: [وتقولوا الباطل] إلى قوله: ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾أي: واجهوا الباطل ببيان الحق لا بكتمانه.

١٨٥٤- تفيد التحذير من الانعزال عن حياة الناس، بل لا بد من مناصحتهم، والصدع بالحق أمامهم، وإنكار ما يظهر من المنكرات.

١٨٥٥- تفيد أن أكثر أنواع الضلال والإضلال الذي أدخل في الإسلام هو من قبيل لبس الحق بالباطل، وقد بدأها اليهود من عهد المصطفى ﷺ، ولا زالوا على ذلك إلى يومنا هذا، وهم قدوة سيئة لكل من أتى بعدهم، وفعل مثل فعلتهم.

١٨٥٦- تفيد التنفير من النفاق والمجاملات الكاذبة التي اصطنعها بعض الوعاظ، يعظون وينصحون ويزعمون أن هذا من حسن المعاملة ومن الدعوة إلى الحق، وما كان هذا منهما قط؛ وإنما هو ضرب من التلبيس والضعف والحرص على عرض الحياة الدنيا.

١٨٥٧- يفيد ذكر الحق مصرحًا باسمه مرتين وذكر الباطل مرة وسطًا بين الحقين إشارة خفية إلى أن الباطل لا يغلب الحق، بل ولا يصمد أمام الحق، ولا يعدو أن يكون محصورا بين حق متقدم وحق متأخر، فمهما صال الباطل وجال فإنه إلى زوال، والعاقبة الحسنى للحق ولأهل الحق، قال تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[الإسراء: ٨١].

١٨٥٨- تفيد أن الإقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا أفحش من الإقدام عليه عند الجهل بكونه ضارًا.

١٨٥٩- تفيد أن من يعلم ليس كمن لا يعلم.

١٨٦٠- تفيد أن من أهل الباطل والمروجين له من هو عارف ببطلانه.

١٨٦١- تفيد أن كفر اليهود كان عن عناد، لأنهم كانوا يعلمون أن محمدا ﷺ حق.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣].

أ] قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾.

١٨٦٢- تفيد بيان جملة من الأوامر التكليفية التي تحقق الرابطة الحقيقية مع الله تبارك وتعالى، ومع خلقه.

١٨٦٣-تفيد دعوة إثبات الحقوق لأصحابها: حق الله، وحق العباد.

١٨٦٤-تفيد أن إقامة الشيء باعتماده على أصوله وباكتمال صورته، فإقامة الصلاة على أركانها، وأدائها على أكمل صورة كما كان يصليها النبي الأسوة ﷺ.

١٨٦٥-تفيد أن في الإقامة معنى زائدا على معنى الأداء، وهو أداؤها على الوجه الأكمل من استحضار قلبٍ وحرص على واجباتها وسننها.

١٨٦٦- تفيد أن في إيتاء الزكاة معنى زائدا على معنى الأداء، ففي الإيتاء معنى العطاء، وهذا تأكيد على أن الزكاة حق للفقير، فالمزكي يعطي الفقير حقه الذي عليه له.

١٨٦٧- تفيد دلالة لمن قال: إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

١٨٦٨- تفيد ردًا على القرآنيين الذين يقولون: نكتفي بالقران فقط، وقد جاءت كيفية إقامة الصلاة موضحة في الأحاديث النبوية، وكذلك نصاب الزكاة وكيفية توزيعها.

١٨٦٩- تفيد أن الصلاة أمرها عظيم، حيث ذكرت في هذه الآية مرة بكمالها، ومرة بركن من أركانها.

١٨٧٠-تفيد بيان ضلال وكفر من فرق بين الصلاة والزكاة، وقد قاتل أبو بكر الصديق ﭬ من فرق بين الصلاة والزكاة، وقال: « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ».

١٨٧١-تفيد أن القرآن الكريم كثيرا ما يجمع بين هذين الركنين من أركان الإسلام، فالصلاة حق الله على العبد بعد التوحيد، والزكاة حق الله على العبد للعبيد.

١٨٧٢-تفيد أن الصلاة والزكاة عبادات مشروعة في أصولها قبل الإسلام، والأدلة على ذلك كثيرة بما يدل على أهميتها، واطراد أثرها في إصلاح النفوس وتزكيتها.

١٨٧٣- تفيد أن من أصول الإسلام أنه يراعي الفقراء والمحتاجين ويهتم لشؤونهم، حيث جعلهم سببا لطهرة أموال الأغنياء ونمائها، فما أعظم هذا الدين.

١٨٧٤-تفيد أن المجتمع الذي لا ينظر فيه إلى أحوال الفقراء والمساكين، وتراعى فيه مصالحهم، فليس بمجتمع مسلم، ولن يرتفع شأن هذا المجتمع إلا بمراعاة حق الله وحق الضعفاء والمساكين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم».

١٨٧٥-يفيد تسمية هذا الحق في المال زكاة إشارة إلى تطهير المال؛ لأن الزكاة طهارة، وإلى تطهير النفس من الشح والبخل.

١٨٧٦-تفيد أن زكاة المال نماء وزيادة للمال، لأن زكى الشيء بمعنى: نما وزاد.

ب] قوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

١٨٧٧- تفيد أن إقامة الصلاة قد تكون في الجماعة، وقد تكون منفردا، وأما قوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ فإنها تشير إلى الصلاة مع الجماعة.

١٨٧٨- تفيد المعية بيانًا لأهمية الجماعة وحثًا على الالتزام بجماعة المسلمين والحذر من الفرقة والاختلاف، سواء وحدة الشرائع والشعائر، ووحدة الصف في الصلاة.

١٨٧٩- تفيد هذه الآية مع الأدلة الأخرى وجوب صلاة الجماعة، وذلك للآتي:

- أن فيه تأسيس معنى جديد، والتأسيس أولى من التأكيد.
- أن إقامة الصلاة يشمل الركوع والسجود وكل ما يتعلق بها، وليس الركوع هو الأهم في الصلاة حتى يخصص بالذكر؛ لكنه الأهم في الجماعة لأنه الذي تدرك به الركعة في صلاة الجماعة.
- أن الأصل في المعية المصاحبة، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بقرينة السياق أو المعنى، وخروجه فيما ذكر من آيات دل عليه السياق.
- أن كمال إقامة الصلاة يتحقق بصلاتها في الجماعة.
- أن القول بأن صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع قول لا تسنده الأدلة؛ بل قامت الأدلة على مشروعية السجود والركوع في الأديان السابقة.
- أن هذا القول فيه بيان وإيضاح لوجه من وجوه المناسبات في الفصل بين إقامة الصلاة وبين الركوع بفاصل الزكاة، وذلك حتى لا يتوهم المتوهم انه أراد تأكيد إقامة الصلاة ففصل بينهما بفاصل الزكاة فأعطى معنى جديدا للركوع.
- كما أن فيه بيان وجه آخر من وجوه المناسبات وهو: أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ركنان من أركان الإسلام، بخلاف صلاة الجماعة التي أشير إليها في خاتمة الآية، فقدم في الآية الأركان وأخر الواجب.

١٨٨٠- تفيد إرشادا إلى الاجتماع على العمل الصالح، وأنه السبب الأساس لتحقيق الخيرية الجماعية، مما يفي بتقوية الأواصر في الأمة، والقيام شأنها.

١٨٨١- تفيد أهمية اختيار الشريك الصالح في الأعمال الصالحة.

١٨٨٢- تفيد أهمية تحويل عمل الخير من عمل فردي إلى عمل جماعي وهو ما يضمن قوة الخير واستدامته، وكذلك عكسه وهو عزل الشر ومنع تحوله إلى عمل جماعي، ما يضمن بقاءه ضعيفا محصورا.

١٨٨٣-يفيد الأمر بالركوع بعد الأمر بالزكاة إشارة إلى أهمية الخضوع والانقياد لأوامر الله تعالى عند إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] أي: وهم خاضعون لربهم، متذللون له بالطاعة، خاضعون له بالانقياد لأمره، ومطيعين لما أمرهم به من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وهذه المناسبة اللطيفة التي أشرت إليها مستنبطة بالجمع بين هذه الآية وبين دلالة الآية الكريمة السابقة، فكلتاهما ذكرتا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم الركوع.

قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

١٨٨٤- تفيد بيانا وشرحا لما ذكر في سورة الفاتحة من تسمية اليهود بالمغضوب عليهم، وهذا من نماذج فعل علماء اليهود: مخالفة الفعل للقول، والعمل بخلاف العلم.

١٨٨٥-تفيد التحذير من الوقوع فيما حذرت منه الآية من أمر الناس بالبر ودعوتهم إليه مع ترك ما يدعوهم إليه.

١٨٨٦-تفيد تحذيرا لعلماء هذه الأمة من أن يسلكوا سبيل الأحبار والرهبان.

١٨٨٧- تفيد أن من استهان بالأوامر الربانية فقد ارتكب ما ارتكبه أهل الكتاب.

١٨٨٨-تفيد الإنكار والتوبيخ لمن ترك العمل بالخير والبر الذي يأمر به في قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾فالهمزةُ للإنكارِ والتوبيخِ أو للتَّعجُّبِ مِنْ حالِهم، وليس التوبيخ متوجها إلى كونهم كانوا يأمرون الناس بالبر؛ لأنه فعل محمود، وإنما التوبيخ متوجه إلى كونهم تركوا العمل بما يرشدون إليه سواهم، عالمين به.

١٨٨٩-تفيد الحث على أعمال البر، والأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير، والمحافظة على ذلك.

١٨٩٠- تفيد أن الأمر بالبر ههنا دون الإشارة إلى المعروف فيه إشارة إلى أن المعروف يعرفه الناس وتدركه العقول، والبر مسلك دقيق لا يدرك كنهه جميع الناس، ولذا عظَّم شأن النفس في وجوب النظر إليها وعدم تركها أمرًا ونهيًا.

١٨٩١- تفيد أن الدعوة إلى الخير تستهدف كل الناس.

١٨٩٢-تفيد إطلاق اسم البر على كل فضيلة يدعو إليها الشرع، ويشمل ذلك الدعوة إلى فعل المأمور وترك المحذور.

١٨٩٣- تفيد أن الداعية يدعو الناس إلى الخير الذي عاشه وطبقه على نفسه.

١٨٩٤-تفيد قاعدة: أن الاصلاح ينبغي أن يبدأ من المرء نفسه ثم الآخرين.

١٨٩٥- تفيد أن من أراد أن يمتثل أمره ويبجل رأيه فليبدأ بنفسه.

١٨٩٦- تفيد أن عمل الداعية والعالم قوامه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بدعوته وعلمه.

١٨٩٧-تفيد أن الأقربين أولى بالمعروف.

١٨٩٨-تفيد أن على الداعية أن يجاهد نفسه لكي يوافق فعله قوله، ويقودها إلى طريق الخير، حتى لا يلحقه الوعيد الشديد.

١٨٩٩-تفيد أن الداعية مرجعه الوحي، ويتأدب بأدبه، ويتزكى به.

١٩٠٠- تفيد بيان خطر القول بلا عمل، والأمر بالمعروف، وعدم العمل به، وفي حديث أسامة بن زيد عن النبي ﷺ في الذي يلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه».

١٩٠١- تفيد فائدة مسلكية وهي: أن الناس تبع لعلمائهم، فإذا بذلوا المعروف، وأحسنوا إلى الخلق تبعهم الناس، فكانوا أسوة صالحة لغيرهم، وإذا هم فسدوا كانوا فتنة للناس.

١٩٠٢-تفيد أن اليهود ليسوا على هدي التوراة فإن التوراة تأمرهم بالبر وهم أبعد الناس عنه.

١٩٠٣- تفيد أن النسيان غالبا ما يأتي في القرآن الكريم بمعنى الترك.

١٩٠٤-تفيد أن نسيان النفس يكون أغرب وأفظع وأشنع إذا كان معه أمران يقلعانه، وهما: أمر الناس بالبر، وتلاوة الكتاب، لأن من شأن ذلك أن يذكره مخالفة حاله لما يتلوه.

١٩٠٥- تفيد أن السيئة قبيحة وشنيعة وكونها من عالم أشد قبحًا وشناعة، فإن العالم إذا خالف فهو أسوأ حالًا من الجاهل؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾؛ وهذا أمر فُطر الناس عليه.

١٩٠٦-يفيد مجيء التوبيخ لمن هذا صنيعه باستفهامين، دليلًا على أن هذا الصنيع تستنكره الفطر السليمة، ولا يقارفه إلا من سفه نفسه، وفقد عقله.

١٩٠٧-تفيد أن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

١٩٠٨-تفيد أن بعض المرضى يعالجون غيرهم، وهم في حاجة إلى من يعالجهم.

١٩٠٩-تفيد أن الأصل في الداعية أن يكون ظاهره موافقا لباطنه.

١٩١٠- تفيد التعريض بالمنافقين، وأكبر سماتهم وخصائصهم وهو أنهم يقولون ما لايفعلون. وأن هذه الخصلة مستوردة من بني إسرائيل.

١٩١١- تفيد أن الداعية ليس له إلا أن يأمر الناس ويحثهم على فعل البر، لا أن يجبرهم ويغصبهم على فعل البر، بخلاف نفسه، فإنه يأمرها بفعل البر ويجبرها عليه، ولعل مما ذكر قد تتضح بعض وجوه المناسبة في عدم تقييد النسيان بشيء، بحيث لم يقل: [وتنسون أمر انفسكم] فإن النفس لا تؤمر فقط بل وتجبر وتحمل على فعل البر.

١٩١٢- تفيد أن معرفة المقصود بالكتاب في القرآن الكريم يتبين من خلال معرفة السياق الذي ورد فيه، وههنا ورد في سياق بني إسرائيل، فدل على أنه كتابهم التوراة.

١٩١٣-يفيد العدول عن التصريح باسم كتابهم إلى قوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾هداية ودلالة على أن القضية المذكورة ليست محصورة ومخصوصة باليهود فقط، ولا يتوهم متوهم ذلك، بل يشمل كل من لديه كتاب من الكتب السماوية، وخاصة أمة القرآن الكريم، على قول المثل: إياك أعني واسمعي يا جارة.

١٩١٤-تفيد عدم صحة القول بأن الداعية والمصلح لا يدعو ولا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا إذا كان خاليا من المعاصي والذنوب، بل الصحيح من أقوال العلماء أن له أن يأمر وينهى بالرغم من وقوعه في الذنب مع الحرص على إصلاح نفسه وعلاج خلله.

١٩١٥- تفيد أن على الداعية أن يحرص على العمل بما يأمر وينهى، حتى يكون قدوة صالحة، فالدعاة والمصلحون بهم الناس يقتدون، وبهم في الدين يطعنون.

١٩١٦–تفيد دلالة على المنهج الرباني في عدم المؤاخذة إلا بعد قيام الحجة، فإن الله تعالى خص هذه الطائفة بهذا الذم، لأن حجة الله ثابتة وقائمة في حقهم.

١٩١٧–تفيد أنه ليس كل من قال يعقل ما قال.

١٩١٨–تفيد أن العمل إذا كان خلاف العلم فهذا دليل على عدم احترام المرء لعقله.

١٩١٩–تفيد أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم أعقل الأمة إذا انضم إليه العمل.

١٩٢٠– تفيد أن أهل العقل والعلم والفهم هم الذي يتبعون الوحي ويطبقونه في حياتهم ويدعون الناس إليه

١٩٢١– تفيد أن عدم العمل بالعلم دليل على خفة العقل.

١٩٢٢– تفيد أن من يسمون بالعقلانيين أكثر الناس جعجعة ولا طحن لهم، كما أن من يسمون بالمفكرين أكثر الناس تنظيرا، وأقلهم تطبيقا؛ لذلك هم أسعد الناس بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

١٩٢٣– تفيد أن أعقل الخلق أشدهم تقوى، وأكثرهم ورعا، وأحسنهم عملا.

١٩٢٤– تفيد أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصًا إذا كان عالمِا بذلك، قد قامت عليه الحجة.

١٩٢٥– تفيد أن أسمى الناس عقلًا الذي يعقل ما ينفعه من الخير في الدنيا والآخرة، ويعقل ما يضره في الدنيا والآخرة، فيعمل على الإتيان بما ينفعه، ويعمل على اجتناب ما يضره.

١٩٢٦– تفيد أن هذه الآية ونظائرها: تلجم لسانك، وتكف يدك، وتمنع رجلك، إذا كنت تتلو الكتاب وفيك قلب يعقل!.

قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:٤٥-٤٦].

١٩٢٧– تفيد دقة المناسبة وروعة التناسق بين هذه الآية وبين ما سبقها من آيات، فإنه سبحانه وتعالى لما أمرهم بترك الضلال والإضلال والتزام الشرائع، وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من فوات محبوبهم وذهاب مطلوبهم دلهم على هذا العلاج العجيب، وهو الاستعانة بالصبر والصلاة، وهذا

العلاج هو أعظم علاج إلهي عرفته البشرية، مفيد لكل من كثرت عليه المصائب والمحن والنكبات، وشقَّت عليه تكاليف الشريعة وأعباء الأمانة، فما أعظمه من علاج لمن التزمه.

١٩٢٨-تفيد دقة المناسبة وروعة التناسق مع ما تقدم من قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾، لأن في هذه الآية بيانا لمنهج دعوي لمن يتصدون لأمر الناس بفعل البر والخير، وذلك أن على الداعية أن يدل الناس المدعوين على ما يعينهم على فعل ما يقوله، ويأمر به من أعمال البر والخير، ولعل بهذه الهداية قد تتضح لأحبتي الكرام بعض وجوه المناسبة لمجيء هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾.

١٩٢٩-تفيد مناسبة لما قبلها؛ لأن من أهم ما يستعان بالصبر والصلاة عليه: فعل ما يأمر به الداعية من البر والخير، لأن الآمر بالمعروف يحتاج إلى ما يعينه على امتثال ما يأمر الناس به، لكثرة أنواع البر من جهة، ولأن وقت الآمر بالمعروف ومعلم الناس الخير ضيق من جهة أخرى، وعليه؛ فأحوج الناس إلى الصبر والصلاة هو أتباع الأنبياء من الدعاة والمصلحين.

١٩٣٠-تفيد أن الأمر بالمعروف والداعي إلى البر، يلزمه إعانة وتسلية، وأن خير عون وأفضل زاد للداعية أن يتحصن بإقامة الصلاة ويتسلى بالصبر، والمعنى: استعينوا على البر وأعمال البر لما فيها من المشقة بالصبر عليها، وعما يصرف عنها من الموانع والصوارف والمشاغل، واستعينوا على الصبر بالصلاة وإقامتها لما فيها من الصلة بالله المعين، ثم بين أن هذه الاستعانة شاقة في نفسها فتحتاج الى الصبر على الطاعة بجميع ضروبها الا على الخاشعين؛ لأنها قرة أعينهم لأنهم موقنون معتقدون أنهم ملاقوا ربهم راجعون اليه فلذا هان كل شيء أمام هذا اللقاء ولأجله...

أ) **قوله تعالى:** ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

١٩٣١-تفيد أن الاستعانة جامعة لأنواع العبادات النفسية والبدنية.

١٩٣٢-تفيد أن الله عز وجل يبتلي ويعين ويوجهك لوسائل العون، فتأمل لطفه ورحمته.

١٩٣٣-تفيد أنك مهما كنت قويا في هذه الحياة فإنك محتاج إلى ما يعينك على تحمل وأداء أعمالك الروحية والجسدية.

١٩٣٤-تفيد فضيلة الصبر والحث على التزامه في سائر الأمور، لأن به العون على مكابدة الأمور وتخطي الصخور، والفوز بالمطلوب.

١٩٣٥- تفيد أن في الصبر احتمال الأذى، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، ومخالفة الهوى، وترك الاشر والبطر، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ – ١١].

١٩٣٦- تفيد أن الصبر له بشارة عاجلة في الدنيا... لكن البشرى العظمى عند لقاء الكريم الذي يعطي على الصبر ما لا يعطي على سواه.

١٩٣٧-تفيد فضيلة الصبر بأنواعه الثلاثة: صبر لله – صبر بالله – وصبر مع الله. وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الأنواع الثلاثة قد جمعت في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

١٩٣٨-تفيد أن من فضل الصبر وصف الله تعالى نفسه به كما في حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله تعالى، إنهم ليدعون له ولدا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم». أخرجه البخاري.

١٩٣٩- تفيد إرشاد الله عز وجل عباده إلى الاستعانة بالصبر والصلاة اللذين فيهما الفلاح.

١٩٤٠-تفيد أن الاستعانة بالصبر والصلاة لا تكون إلا عن طريق الاستعانة بالله.

١٩٤١- تفيد أن طلب الاستعانة ممن لا يملك العون دلالة على سفه في العقل وضلال في الدين.

١٩٤٢- تفيد وجوب بذل الأسباب المعينة على بلوغ الهدف، من دون انتظار الإعانة الإلهية انتظار العاجزين، فإعانة الله تعالى للعبد تكون بالشروع فيما افترض عليه من الصلاة والصوم والمجاهدة والصبر، فيستعين بالصبر والصلاة على المداومة على البر؛ ويستعين على الصلاة نفسها بالخشوع، وتذكر الآخرة.

١٩٤٣- تفيد أهمية العمل الجماعي، فخطاب الآية جماعية، فأمتنا أمة الشهود الحضاري، ولا شهود ولا حضارة بجهود فردية مهما تميزت، فلست وحيدًا في جهادك... فاستعن ومن حولك من عباد الله بالصلاة والقرب من الله... اثبتوا...واذكروا...

١٩٤٤-تفيد أنه كلما زادت المسؤوليات، وكثرت التكاليف زادت الحاجة للاستعانة بالصبر الجميل والصلاة الخاشعة.

١٩٤٥- تفيد تنبيها للعلاقة بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فبدأت بالصبر، وختمت بالخشوع، وهما من أعظم أعمال القلوب، وبينهما الصلاة الجامعة بين أعمال القلوب والجوارح.

١٩٤٦- تفيد أن أعمال القلوب يقوى بعضها بعضا؛ فالاستعانة والصبر تزيد اليقين، وقوة اليقين تسهل التحلي بهما.

١٩٤٧- تفيد أن الاستعانة المطلوبة تكون أيضا فيما زاد على الفرائض والواجبات سواء في الصبر أو الصلاة، فكلما احتاج الإنسان معينا استعان بالصلاة التي تحتاج صبرا في المداومة عليها، وعدم نسيانها، وهو ما يشهد له فعل النبي ﷺ الذي إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وبما أن أحداث الحياة وغِيَرِها كثيرة في اليوم والليلة احتاج إلى إعانة من الله للرجوع إليه واعتماد القلب كله عليه تعالى.

١٩٤٨-تفيد أن أعظم ما يستعين به العبد في تخطي الصعاب في حياته، وهو الاستعانة بهذين الأمرين: الصبر والصلاة.

١٩٤٩-تفيد أن الاستعانة بالصبر والصلاة تكون على فعل كل خير، واجتناب كل شر، وهي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آكد.

١٩٥٠- تفيد أنه ما حذف المستعان عليه تخففًا من ذكره... ولكنه الإيماء إلى ضمان كفاية الصبر والصلاة على مشقات الحياة، وأنه ما من خطب إلا ويستعان عليه بالصبر والصلاة.

١٩٥١- تفيد أن في عدم تكرار العامل دلالة على جواز الاستعانة بأحدهما منفردا أو الاثنين معًا.

١٩٥٢-تفيد أن كل ما تعجز عن تغييره من المنكرات عالجه بالصبر، واستعن على ذلك بالدعاء، وتذكر أن الله غالب على أمره.

١٩٥٣-تفيد أن بالصبر..تدع ما سواه.. وبالصلاة.. تتصل به وحده.. وبالاستعانة بهما تهون عليك متاعب الدنيا... فهل تجد في نفسك ألطف وأخف وأعذب من وقوفك على أسباب توفيقك؟.

١٩٥٤- تفيد أن من صبر على الطاعات... وما أكثر ما اقترن الصبر بها...! يوشك أن يلتذ بها فلا يكاد يصبر عنها، والصبر يحسن في المواطن كلها، إلا عليك فإنه مذموم... وأنى لمن ذاق

طعم المناجاة..وحلاوة اللقاء... وأنس المجالسة... وطيب المؤانسة.. أن تكبر عليه الصلاة... أو يصبر عن صلته بسيده طرفة عين..

١٩٥٥- تفيد أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وبيان ذلك: أن تقديم الصبر على الصلاة فيه إشارة -كما قيل- فِي تقديم إزالة ما لا ينبغي بالصبر، على حصول ما ينبغي بالصلاة.[منقول بتصرف وزيادة].

١٩٥٦- يفيد تقديم الصبر على الصلاة لحاجة الصلاة إلى المكرمات.

١٩٥٧-تفيد أن الصلاة تحتاج للصبر وهي في نفس الوقت معينة عليه.

١٩٥٨- تفيد أن الصلاة والصبر عليها وعلى إقامتها يلزمها مجاهدة، وفيها ثقل على النفس إلا أنها فيها تيسير وإعانة لمن أحسنها وأتمها بالخشوع.

١٩٥٩- تفيد مناسبة في اقتران الصبر بالصلاة فيمن قال إن المراد بالصبر ههنا هو: الصوم، ولهذا قيل لرمضان شهر الصبر، فجاء الصوم والصلاة في الآية متناسبا في أن الصيام يمنع من الشهوات ويزهد في الدنيا، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويخشع فيها، ويقرأ فيها القرآن الذي يذكر الآخرة.

١٩٦٠-يفيد الجمع بين الصلاة والصبر، أن بينهما تناسبا بالعاقبة، فالصبر: عاقبته أحلى من العسل في الدنيا والآخرة. وفي الصلاة: رزق في الدنيا، وحسن عاقبة في الآخرة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢].

١٩٦١-تفيد أن الصلاة ههنا تدور بين الصلاة الشرعية وبين الصلاة اللغوية [الدعاء]، ولكن فعل النبي ﷺ يرجح المعنى الشرعي. فكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

١٩٦٢-تفيد أن تعريف الصلاة ههنا للعهد، أي الصلاة التي عرفتها الشريعة للعباد وهي: أرحنا بها يا بلال، وليست صلاة: أرحنا منها يا فلان.

١٩٦٣- تفيد عظم أمر الصلاة والمحافظة عليها، وفضيلتها؛ ولذا خصها بالذكر من بين سائر العبادات تنويها بذكرها، وبين أنها مما يستعان بها على الأمور، وشؤون الحياة، فتذكر أن صلاتك سر نجاحك.

١٩٦٤- تفيد أن الصلاة سلوى للمبتلى متى خشع القلب، ولهذا من حزبه أمر فليهرع إلى الصلاة بخشوع.

١٩٦٥-تفيد أن الصلاة.. بوصلة القلب!

١٩٦٦- تفيد أن الصلاة فريضة، والصبر قيمة، والأولى زاد للترقي في داخل النفس، والثانية للتأهل لتحمل ما يأتي من خارج النفس، ففيها ضمان وأمان نفسي وحسي.

١٩٦٧- تفيد أن الصلاة كتاب يدلك على أفضل الطرق عند مسيرك ورجوعك إلى الله.

١٩٦٨- تفيد أن الصلاة تعين على تحمل المشاق خصوصا في الدعوة إلى الله تعالى، وتحمل أذى الخلق، ولذلك فرض الله قيام الليل في أول الإسلام، فالدعاة خصوصا يحتاجون إلى كثرة الصلاة وخصوصا قيام الليل.

١٩٦٩-تفيد أن يقين المسلم بأن الصلاة معينة له على تحمل الأمانة، والقيام بالواجبات يجعله يحرص عليها غاية الحرص، ويجتهد في إتقانها غاية الإتقان.

١٩٧٠-تفيد الصلة القوية بين الصلاة والتوفيق، فما رأيت موفقًا مباركًا من العلماء والصالحين والدعاة المصلحين إلا وجدت الصلاة أكثر ما كان حاضرا في حياته، ومن هنا تعرف سر كثرة وطول صلاته عليه الصلاة السلام فهي ذكر وشكر ودعاء وصلةوطمأنينة...

١٩٧١- تفيد قمة البلاغة القرآنية، وحسن اختيار ألفاظه، حيث اختار لفظة [الكبيرة] دون [الثقيلة] أو [الشاقة] في إشارة إلى أنه لا يقوم بفعلها وأدائها إلا أصحاب النفوس الكبيرة، والهمم العالية التي تتحمل الصعاب والمشاق، وفي هذا هداية للدعاة والمربين والمعلمين إلى الاهتمام بحسن اختيار الألفاظ المشجعة للنفوس، والمحفزة للهمم، دون الألفاظ المحبطة والمثبطة كالصعب والثقيل والشاق.

١٩٧٢- تفيد وجوب الخشوع في الصلاة.

١٩٧٣-تفيد أنك إذا وجدت قلبك مترددا في قبول الحق، أو متعلقا بشهوة تمنعك من الحق، فاستعن بالصلاة خاشعا.

١٩٧٤- تفيد أن الصلاة بلا خشوع: حركات بلا روح، فإذا طلبت الإعانة -وهي عمل قلبي- لفعل أو ترك يجمع بينهما فعليك بالصلاة، وروحها بالخشوع.

١٩٧٥- تفيد أن العون المشهود للخاشع هو قربه من الله، وابتعاده عن مصابرة أمور الدنيا، بالتسلي بالدنيا إلى صبره عن الدنيا كلها بفراره إلى ربه مصابرا على الخشوع، وصابرا على طاعة الله وعن معصية الله وعلى أقدار الله فيجد قرة عينه في الصلاة.

١٩٧٦-تفيد ذم غير الخاشعين في الصلاة، وقد جاء في كتاب الله عز وجل أن من كبر عليه ما يحبه الله فيه شبه بالكفار حيث قال تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى: ١٣].

١٩٧٧- تفيد أن الخاشع الحق من نظر بعين بصيرته فانكشفت له حقيقة المعاني بأن: (الصلاة نور) وأن (الصبر ضياء) فلم يثقلا عليه، بل استعان بهما.. واستنار..

١٩٧٨-تفيد أن الأعمال الصالحة شاقة على غير الخاشعين المخبتين المتطامنة قلوبهم وجوارحهم لله تعالى، ولا سيما الصلاة.

١٩٧٩-تفيد أن من أدرك أن صلاته من أهم وسائل فلاحه في الدنيا، وسعادته في الآخرة أداها بنشاط وسرور، وأقبل عليها كلما حل وقتها بهمة وإخلاص.

١٩٨٠- تفيد أن الذي أنت واقف بين يديه عنده خزائن كل ما تريده من أمور الدنيا والآخرة، ولذا لما عرفوا عظمة من يقفون بين يديه في الصلاة خشعوا في صلاتهم، وجعلوها زادهم في حياتهم، ولذا قال الرسول عليه السلام: «جعلت قرة عيني في الصلاة ».

١٩٨١- تفيد أن من ترك الخشوع عصى ربه وثقلت وكبرت عليه الطاعة.

١٩٨٢- تفيد أن الخشوع يزيد من تعلق القلب بالصلاة.

١٩٨٣-تفيد أن الصلاة الكاملة المستوفية لشروطها وأركانها وواجباتها وسننها كبيرة وشاقة على النفوس إلا على الخاشعين.

١٩٨٤-تفيد أن ارتباط صفة الخشوع وتعلقها بعمود الإسلام وبذروة سنامه، إشارة إلى أنه لا يوفق للوصول إلى الذروة بجدارة إلا من حافظ على العمود ورعاه حق الرعاية، ولا يكون ذلك إلا للمتصفين بهذه الصفة العظيمة.

ب) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

١٩٨٥-تفيد أن أعظم معين على الصبر والصلاة اليقين بلقاء الله والرجوع إليه.

١٩٨٦-تفيد إثبات رؤية الله تعالى وملاقاته والرجوع إليه في الآخرة.

١٩٨٧-تفيد أن الخاشعين هم الذين يعلمون ويوقنون أنهم راجعون إلى الله بعد الموت فيجزيهم بأعمالهم.

١٩٨٨-تفيد أن من صفات الخاشعين اليقين الجازم بملاقاة الله تعالى بعد الموت، ورجوعهم إليه ومجازاتهم.

١٩٨٩-تفيد أن هناك عدة مقومات لتحقيق الخشوع، ومن أعظمها استحضار اليوم الآخر ولقاء الله.

١٩٩٠- تفيد أن من مستلزمات الايقان بالرجوع إلى الله الخوف منه ومراقبته والحياء منه سبحانه.

١٩٩١-تفيد أن منطلق الإتقان لجميع الأعمال، هو اليقين بلقاء الله، والرجوع إليه.

١٩٩٢-تفيد أن اليقين مراتب فمن خشع قلبه زاد يقينه وأنس بالطاعة.

١٩٩٣-تفيد خلاصة صفات أهل الصدق والإيمان: الصفة التي تجعلك تنجح في المهام الصعاب هي اليقين بلقاء الله.

١٩٩٤-تفيد أن الثبات أمام الأعداء، والتغلب عليهم مع كثرة عددهم لا يحسنه إلا الذين يظنون أنهم ملاقوا الله، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

١٩٩٥- تفيد أن الخشوع يتأتى باليقين بحتمية لقاء الله تعالى والإيمان بأننا إليه راجعون، لذلك لن يصل المصلي إلى هذه المنزلة أو الهيئة إلا من صلى صلاة مودع.

١٩٩٦-تفيد صلة الخشوع وعلاقته بالبعث والعود إلى الله، قال تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣].

١٩٩٧- تفيد أن الصلاة بخشوع تقرب إلى الله، قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]، والصبر فيه تعلق ورجاء لما عند الله، ومجاهدة النفس في تحقيق الصبر والخشوع في الصلاة لا يقوى عليه إلا من تيقن أنه ملاق ثمرة ذلك بلقاء محبوبه، عندها يتلذذ بالصبر والصلاة ويلمس فيهما العون.

١٩٩٨-تفيد أنه متى ما استحضر المؤمن لقاء ربه حافظ على صلاته، وصبر على طاعة ربه، وصبر عن معصيته، وصبر على أقداره.

١٩٩٩-تفيد أنك في صلاتك لن تدرك الخشوع إذا كان ظنك بالله كاذبا!

٢٠٠٠- تفيد أن اليقين بلقاء الله تعالى هو الذي يخفف على العبد العبادات، ويوجب لهم التسلي في المصيبات، وينفس عنهم الكربات، ويزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه.

٢٠٠١- يفيد استعمال الظن بدل اليقين إشارة إلى هضم النفس والتواضع.

٢٠٠٢- يفيد التعبير بالظن فِي هذا الموضع الذي قال فيه المفسرون أن المراد به: اليقين، إشارة إلى فتح باب الأمل للمذنبين والعاصين، الذين ليس لهم قدرة على الوصول إلى مرتبة اليقين بملاقاة الله تعالى؛ فلو قال: [الذين يوقنون أنهم ملاقوا ربهم] لخرج هؤلاء من دلالة هذه اللفظة.

٢٠٠٣-يفيد التعبير بالظن دون اليقين إشارة إلى أن مجرد الظن كاف في أن يجعلك تلتزم بشرع الله تعالى، وتحتاط للقاء الله تعالى، فما بالك إذا كنت متيقنا، وقد ضرب الشيخ الشعراوي مثلا في هذا – ولله المثل الأعلى- حيث قال: هب أنك سائر فِي طريق، وجاء شخص يخبرك أن هذا الطريق فيه لصوص وقطاع طرق، فمجرد هذا الكلام يجعلك لا تمشي فِي هذا الطريق إلا إذا كنت مسلحا ومعك شخص أو اثنان، فأنت تفعل ذلك للاحتياط. إذن فمجرد الظن دفعنا للاحتياط.

٢٠٠٤- يفيد استخدام كلمة الظن التي بمعنى اليقين فيما يرجوه المؤمن في لقاء ربه من ثواب، إشارة إلى خوفهم من تغير أحوالهم وما يختم لهم به، وهكذا يكون المؤمن دائمًا بين الخوف والرجاء، هذا على من فسر الظن هنا بمعنى الاعتقاد الراجح، فيرى أن لقاء الخاشعين لله معناه توقعهم لقاء ثوابه –والله اعلم-.

٢٠٠٥- يفيد التعبير بصيغة اسم الفاعل، والمضاف والمضاف إليه دون قوله: [يلاقون ربهم]، إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم إلى أن كل أوصاف هؤلاء ليست بشيء دون هذا الوصف، وكأنهم خلقوا لهذا الوصف وأنهم جديرون بالاتصاف به.

٢٠٠٦-يفيد استعمال لفظ الرب إشارة إلى الرعاية والعناية التي سوف يتميز بها الذين يستيقنون ملاقاة ربهم.

٢٠٠٧-يفيد استعمال الملاقاة دون غيرها إلى أن هؤلاء الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم يحبون ملاقاة ربهم، وأن الله عز وجل يحب ملاقاتهم، فكأن التلاقي كان من جهتين.

٢٠٠٨-تفيد أن من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.. ومن أيقن بالخلف، جاد بالعطية..

٢٠٠٩- تفيد أن المصلي يلاقي ربه في الصلاة.

٢٠١٠–تفيد أنه ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل الصلاة في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة، والوقوف بين يدي الرحمن.

٢٠١١– يفيد في الرجوع إليه سبحانه إشارة لليوم الآخر وما أعد الله لعباده فيه من جزاء...

٢٠١٢– تفيد بيان مرتبة من مراتب العبادة وهو عبادة الله تعالى حبًا فيه، وشوقا له، وليس طمعا في جزائه، أو خوفا من عقابه فقط، ولهذا فإن الذي يقوم في صلاته حبًا لملاقاة ربه ومناجاته ليس مثل الذي يقوم لصلاته خوفًا من عقابه أو طمعًا في ثوابه فقط، وإشارة لهذا المعنى لم يقل في الآية: يظنون أنهم ملاقوا جزاء من ربهم. وهذه مرتبة الإحسان وهي مرتبة عزيزة شريفة، وهي أن تعبد الله كأنك تراه.

٢٠١٣– تفيد وجود الحاجة إلى مزيد تأمل وتدبر في كلمة الملاقاة، هل هي الوقوف بين يديه في الصلاة؟ بحيث يستشعر هؤلاء هذا المعنى وهم واقفون في الصلاة، فيعبدونه كأنهم يرونه؛ ولذا تلذذوا بالصلاة وكانت قرة أعينهم وكانت قلوبهم خاشعة، أم هي الملاقاة بمعنى الرؤية في الآخرة، والذي يجعل المعنى الأول حاضرا كلمة الظن، وما جاء بعده في قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، والذي يظهر– والعلم عند الله – أن حمل الملاقاة ههنا على الصلاة فيه من الفوائد ما يلي:

أولا: أن فيه تأسيس معنى جديد، لأن الملاقاة في الآخرة مفهومة من خلال ذكر الرجوع إليه، والتأسيس خير من التأكيد.

ثانيا: ورود الملاقاة بصيغة ودلالة اسم الفاعل [ملاقوا] ومعلوم أن هذه الدلالة تجمع شقين: شق يفيد الحدوث، وشق آخر يفيد الثبوت سواء أكان ثبوتا استمراريا لا يمكن انفكاكه، وسواء أكان ثبوتا استمراريا من غير تخلل أو بتخلل، بخلاف صيغة المضارع، أو غيرها من الصيغ الأخرى التي لا تفيد ذلك، وفي هذا ما يشير إلى أن الملاقاة ههنا الصلاة، والتي يقف فيه العبد بين ربه متذللا متضرعا خاشعا منيبا إليه، كل خمس مرات في اليوم على الأقل، وهذه العبادة ثابتة ومستمرة في حياة العبد كله.

ثالثا: أن الأمر بالتصريح بالاستعانة بالصبر والصلاة دون الاستعانة بالله صراحة، إشارة لما تضمنته الصلاة من الصلة بين العبد وربه، والتي هي أعظم استعانة بالله، ولهذا جاء في آية أخرى هذا المعنى مصرحا: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾[الأعراف: ١٢٨]، وأعظم استعانة بالله أن تكون واقفًا بين يديه في الصلاة لملاقاته ومناجاته بتذلل وخشوع، ولهذا شرعت صلاة

الاستخارة التي هي في الدرجة الأولى استعانة بالله على أمور الحياة.

رابعا: أن في اختيار لفظة الظن دون اليقين ما يشير إلى ذلك، كما تقدم توضيحه فيما سبق.

خامسا: تفيد أن من ظن أنه يلاقي ربه ويقف بين يديه في صلاته تيقن أنه لا محالة سيقف بين يديه في الآخرة، وسيلاقيه حقيقة.

سادسا: أن استشعار العبد أنه يقف بين يدي ربه في صلاته ما يزيد من خشوعه في صلاته وهذا هو المفيد للسياق حيث جاء في سياق ذكر الخشوع في الصلاة: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

سابعا: أن في اختيار لفظة الملاقاة دون غيرها في هذا السياق إشارة إلى أن الله ﷻ تلقاء وجه المصلي كما ورد في هذا الحديث، ولهذا لا يشرع الالتفات للعبد في الصلاة حتى لا يقطع هذا اللقاء بينه وبين ربه.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

٢٠١٤- تفيد دقة المناسبة وروعة التناسق مع ما تقدم في الآيتين السابقتين من قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ وبيان ذلك: أن أسلاف وأجداد بني إسرائيل ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه مما ذكر في هذه الآية من كثرة النعم ومزيد الفضل إلا بعد الاستعانة بالله وبالصبر بجميع أنواعه، قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فما أعظم هدايات القرآن الكريم، وما أروع التناسب والتناسق بين آياته وموضوعاته.

٢٠١٥- تفيد أن تكرار هذه الآية يدل على أهمية تذكر نعم الله عز وجل وشكره باستمرار.

٢٠١٦- يفيد تكرار النداء لبني إسرائيل بسياقات مختلفة: فالأول: بالتذكير بالعهد، والثاني: بالتذكير بتفضيلهم على العالمين، إلزاما لهم وتأكيدا على قبولهم رسالة النبي ﷺ.وفي هذا هداية للدعاة والمربين والمعلمين بالعناية بتغيير الأساليب وتكرارها مع التركيز على جوانب الإقناع والإلزام.

٢٠١٧- تفيد اصطفاء الله تعالى لبني إسرائيل في عهدهم.

٢٠١٨- تفيد أن الله ﷻ ذكرهم بثلاثة أشياء توجب الشكر عليهم:

١) كونهم أبناء هذا النبي الكريم إسرائيل عليه السلام

٢) كثرة نعم الله ﷻ عليهم!

٣) وتفضيلهم على عالمي زمانهم.

٢٠١٩–تفيد نسبتهم إلى إسرائيل تذكيرهم بأنهم من بيت علم وفضل فليكونوا امتدادا لذاك الفضل.

٢٠٢٠–تفيد أن نداؤهم وخطابهم ببني إسرائيل من جملة تشريف الله تعالى لهم وامتنانه عليهم.

٢٠٢١– تفيد أن الله ﷻ يتودد إلى عباده ويدعوهم بألطف الأسماء وأحبها إليهم... ليحبوه وينقادوا له الودود.

٢٠٢٢–تفيد أن نداء الإنسان باسمه أو لقبه أو نسبه في الموعظة أدب قرآني.. وفيه التشويق لمن كان أبوه صالحًا أن يلحق بأبيه.

٢٠٢٣– تفيد أن معرفة الإنسان بأبيه وقبيلته موجب أن يعرف بها الطريق إلى الله تعالى وشهود فضله

٢٠٢٤–تفيد أن نسب الإنسان وقبيلته –لا شيء– في الإسلام إذا خالف أمر الله "ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه".

٢٠٢٥–تفيد أن التحدث بنعم الله ﷻ مطلوب على كل حال.

٢٠٢٦–تفيد أن استحضار النعم الإلهية وتذكر المنن الربانية من أكبر محركات القلوب الحية في سيرها إلى الله تعالى، وفي ذلك بعثا لأسباب المحبة في القلوب.

٢٠٢٧– يفيد تذكير بني إسرائيل بنعم آبائهم صدق ما جاء به محمد ﷺ وما أخبر به القرآن الكريم.

٢٠٢٨–تفيد أن اتباع محمدا ﷺ واجب على بني اسرائيل وغيرهم، وهذا من شكر نعمة الله عليهم.

٢٠٢٩– تفيد أن تذكر النعم السالفة مطمع في النعم الآتية، وفي هذا ما يمنع من إظهار مخالفة المنعم.

٢٠٣٠–تفيد أن كثرة نعم الله على العبد توجب عظم المسؤولية وكبر وقبح المعصية، فذكرهم الله ﷻ هذه النعم ليحذرهم من مخالفة أوامره من الايمان بمحمد ﷺ والقرآن الكريم.

٢٠٣١– يفيد تذكيرهم بالنعم مرة أخرى مع بيان تفضيل الله لهم دلالة على الحث على الاتسام بما يناسب تلك النعمة ويستبقي ذلك الفضل.

٢٠٣٢- تفيد أن المن من الله فضيلة وكرامة ومكانة وقرب، بعكس المن من الناس فهو خلاف ذلك كله.

٢٠٣٣- تفيد أن تذكر النعم الكثيرة توجب الحياء من إظهار مخالفة المنعم.

٢٠٣٤- تفيد أن من أغدق عليك بنعمائه استحق اعترافك له بالفضل.

٢٠٣٥- تفيد أن ترجمة الحب والاعتراف بالفضل للخالق إنما يكون بالخضوع له وطاعته بما يحب.

٢٠٣٦- تفيد أن ذكر النعم تمجيد للمنعم، وتكريم للمنعم عليه، وعظة له ولمن يبلغهم خبر ذلك.

٢٠٣٧- تفيد أنه ما من نعمة أو فضل إلا وهو من عند الله، من فقه ذلك عالج نفسه فلم يستكبر عن عبادة الله.

٢٠٣٨- تفيد أن الإنسان في حياته قد يعرض له شيء من النسيان لنعم الله فأوجب الله النصيحة بين الناس ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ لعل غافلا يتنبه وناسيا يتذكر.

٢٠٣٩-تفيد أنني كلما هممت بمعصية نادتني ياء الإضافة هذه... فاستحييت أن أستعمل ما أنعم الله به عليَّ فيما حرمه...

٢٠٤٠- تفيد تحذيرا لمن أنعم الله عليه بأن من أعطى وتفضل لا يعجزه أن يقبض ويذل.

٢٠٤١- تفيد أن اللطيف سبحانه يسبق أوامره باللطف ليأخذ بأيدي العباد للعبادة والطاعة بالرفق واللين.

٢٠٤٢- تفيد أن نعم الله وفضله على بني إسرائيل -خاصة- وعلى العباد كثيرة وظاهرة، ولذا جاء لفظ الجمع في ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ وذكر النعمة مفردا، فاسم الجنس لكثرة النعم وتفرد المنعم.

٢٠٤٣- تفيد أن عبيد النعم كثيرون، وعبيد المنعم قليلون، فكن عبد المنعم.. لا تكن عبد النعمة.. فقد خوطبت بقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾[البقرة:١٥٢]، وخوطبوا بقوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾.

٢٠٤٤-تفيد أن الذي يفضل ويرفع الأفراد والشعوب والأمم هو الله تعالى.

٢٠٤٥-تفيد أن التفضيل كما يكون للأفراد يكون للشعوب والأمم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٢٠٤٦–تفيد أن التفضيل يكون بما للأفراد والأمم من خصائص.

٢٠٤٧– تفيد أن التفضيل بعلم أو مال أو وظيفة أو غيرها نعمة تستوجب الشكر لله تعالى.

٢٠٤٨–تفيد أن تفضيل الله ﷻ لأي أحد بعلم أو مال أو جاه، فهو نعمة كبرى دل عليه التخصيص.

٢٠٤٩–تفيد وجود درجات في التفاضل بين الناس.

٢٠٥٠– تفيد بيان الحكمة من دعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ »، فربما يسقط الإنسان من أفضل العالمين إلى أذل الأذلين.

٢٠٥١– تفيد أن تفضيل بني إسرائيل في زمانهم على غيرهم في وقت موسى عليه السلام، وهذه منة أخرى عليهم منه سبحانه، أما اليوم فلا يستحقون ذلك لأنهم ليسوا من عباده الصالحين.

٢٠٥٢– تفيد أن عليك تذكر نعم الله وفضله، فالذي فضل بني إسرائيل قد شرفك وفضلك عليهم بما أعطاك من نبي وشريعة.

٢٠٥٣–تفيد أن تفضيل الله لك... ليس بسابقة منك تدل بها عليه.. أو تفخر بها على عبيده.. بل هو محض فضل من الله يمتن به عليك... وتؤدي به شكر نعمه..

٢٠٥٤–تفيد أن الفضائل على الآباء تعود على الخلف بحسن السمعة.

٢٠٥٥– تفيد أن نعم الله تعالى وفضله إذا كثرتا على العبد الملتزم بشرع الله تعالى دلت على فضل العبد ومقامه عند ربه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

٢٠٥٦– تفيد أن من فضلك على غيرك وجب عليك أن ترد له الجميل كما أكرمك.

٢٠٥٧– يفيد مجيء الخطاب لهم بذكر النعمة عليهم من باب الالزام، فحقهم أن يشكروها لا أن يكفروها ففيه تعريض بهم وبمسلكهم وبمن يكون مثلهم، وأنه فضلهم على عالمي زمانهم حيث كثر فيهم الأنبياء والملوك والعلماء والأحبار، فحقهم الاقتداء بهم، لا أن يتنكبوا طريقهم لأنه على قدر النعمة يكون الشكر لتدوم.. ففيها من التعريض ما لا يخفى.

٢٠٥٨– تفيد من اللطائف أن الله سبحانه وتعالى أشهد بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الخ، وأشهد المسلمين فضل نفسه فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] فشتان من مشهوده فضل ربه، ومن مشهوده فضل نفسه.

٢٠٥٩– تفيد أن النعمة على الآباء نعمة على الأبناء، إذ لولاها لم يبق نسلهم.

٢٠٦٠- تفيد أن الأبناء إذا علموا أن آباءهم إنما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والإعراض عن الكفر والجحود، رغبوا فِي هذه الطريقة لأن الابن مجبول على اتباع الأب "من أشبه أباه فما ظلم".

٢٠٦١- تفيد أن تذكر النعمة يدل على شكر المنعم ويؤدي ذلك لزيادتها والتنعم بها وعدم التذكر يؤدي الي جحودها وزوالها.

٢٠٦٢- تفيد أن التفضيل من وجه لا يستلزم التفضيل من جميع الوجوه، فإنه قد يكون للمفضول ما ليس للفاضل، وعلى هذا فإن الآية الكريمة لا تدل على تفضيل بني إسرائيل على هذه الأمة المحمدية، وبهذه القاعدة الاستنباطية يمكن القول: إنه لا حاجة إلى أن يقدر ههنا: عالمي زمانهم.

٢٠٦٣- تفيد أن ما يجمل في القرآن يبين في موضع آخر لأن النعمة ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦].

٢٠٦٤- تفيد أنك يا من فضلت بكونك من ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] اذكر المنعم عليك.. فقد أمرت بـ ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ ولا تكن كمن فضل على عوالم زمانه، ذكر النعمة وتعلق بها... وخوطب بـ ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾.

٢٠٦٥- تفيد شهود بني إسرائيل تفضيل الله لهم فكان حق ذلك الشكر لا الإعجاب.. وفرح المسلمون بفضل الله عليهم ورحمته.. وكان حق ذلك الثناء عليه لا النسيان، فإما فضلك وتفضل عليك.. فاشكره وأثن عليه!.

٢٠٦٦- تفيد أن الاصطفاء يدوم بدوام الشكر، وينزع منك بالكفر، وإن كنت سليل النبيين المصطفين.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨].

٢٠٦٧- تفيد مناسبة لما قبلها فبعد أن أمرهم الله بما يوجب محبته تعالى من تذكر نعمه عليهم وتفضيله لهم حذرهم وخوفهم بيوم القيامة وما فيه من أهوال. فمحبة الله هي أعظم محركات القلوب إلى الله، ويليها الخوف من عذابه، وفي الآيتين مشروعية الجمع بين الطريقين.

٢٠٦٨- تفيد مناسبة لما قبلها: فبعد جملة التوجيهات والدعوة بأرق أسلوب وألطف عبارة... جاء التحذير من يوم يرجع فيه الخلق إلى الله، هذا اليوم هو يوم الجزاء يُثاب فيه المحسن ويُعاقب فيه المسيء، ولهذا فإنه الموجه لأعمال العباد، والضابط لحركتهم تجاه الخير والشر.

٢٠٦٩-تفيد مناسبة لما قبلها: فلا تحملنك نعمة تفضيل الله إياك على التقصير في حقه.. بل اجعلها دافعًا لك إلى مزيد من التقوى والخوف والإنابة..

٢٠٧٠- تفيد وجود تشابه بينها وبين قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣] مع الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾، والفرق بينهما: أن الآية التي نحن بصددها اليوم تتكلم عن النفس الشافعة لا النفس الطالبة للشفاعة إذا أرادت أن تشفع في ذلك اليوم لا يقبل منها شفاعة، ولا يؤخذ منها عدل. وأما شبيهتها فإنها في حق النفس التي تطلب الشفاعة المستشفعة فصاحبها يحاول بكل السبل ليفدي نفسه بأي ثمن، وينجو من العذاب، فإذا أفلس طلب الشفاعة ممن ترجى شفاعته في ذلك اليوم، فهذا لا يقبل منه عدل ولا تنفعه شفاعة. والله اعلم.

٢٠٧١- تفيد أن الوعظ بهذا اليوم قد ورد كثيرا، بل إن آخر ما نزل من القرآن إنما كان في التذكير والوعظ بهذا ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال الله ﷻ أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، قال ابن القيم رحمه الله: « وهذا كله تكذيب لأطماع المشركين الباطلة: أن ما تعلقوا به من دون الله من قرابة، أو صهر، أو نكاح أو صحبة ينفعهم يوم القيامة، أو يجيرهم من عذاب الله، أو يشفع لهم عند الله. وهذا أصل ضلال بني آدم، وشركهم، وهو الشرك الذي لا يغفره الله. وهو الذي بعث الله جميع رسله وأنزل جميع كتبه بإبطاله، ومحاربة أهله، ومعاداتهم».

٢٠٧٢- تفيد تنبيها إلى حاجة النفس البشرية إلى الوعظ والتخويف، وفي هذا رد على بعض المنتسبين إلى العلم الذين يأنفون من الوعظ، ويزدرون الواعظين، وما علموا أن القرآن كله موعظة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، والرسول ﷺ كان يتخلل أصحابه بالموعظة مع أن إيمانهم كالجبال. بل ويطلبون ذلك منه ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

٢٠٧٣- تفيد بيان رحمة الله بعباده، حيث نبههم أن وسائل غمط الناس، وتلبيس الحق بالباطل التي يفعلونها في الدنيا لا جدوى لها في موازين الآخرة.

٢٠٧٤-تفيد أن الحكم يوم القيامة لله وحده، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره جل وعلا.

٢٠٧٥-تفيد أن التنكير في هذه الآية له شأن، فهو للعموم في قوله: ﴿يُقۡبَلُ﴾، ﴿شَيۡـٔٗا﴾، ﴿شَفَٰعَةٞ﴾، ﴿عَدۡلٞ﴾، وهذا من أسباب الرهبة؛ أي: لا نفس شافعة، ولا مشفوع لها، ولا فدية من أي نوع كان، وأما تنكير يومًا فللتعظيم، وقد ورد موصوفًا بقوله: ﴿لَّا تَجۡزِي...﴾. فتنكير للتعظيم، وتنكير للتعميم.

٢٠٧٦- يفيد الأمر بالتقوى؛ لأن وجود التقوى مدعاة لاكتساب الصالحات، ظنا بالله، وعملا يقرب إليه.

٢٠٧٧-تفيد أن الأمر بالتقوى يأتي أحيانا بالأمر بتقوى اليوم كما في هذه الآية.

٢٠٧٨- تفيد أهمية تذكير العباد دائمًا بالرجوع إلى الله ﷻ، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨]، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦].

٢٠٧٩-تفيد أن الأمر باتقاء ذلك اليوم يقتضي الأمر باتقاء مالكه، وفي هذا ما يتناسب مع ما ذكر في قوله تعالى في أول الفاتحة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

٢٠٨٠- تفيد إشعارا بلطف الله تعالى وحثه لعباده بالتوبة والرجوع إليه وتقواه حتى لا تؤذيهم تلك الأهوال، وليكون تقواهم حاجزًا بينهم وبين جهنم.. وليكونوا على ذكر منها وخشية لها... حتى تحدث تلك الخشية ذلك الأمان يوم العرض...

٢٠٨١- تفيد أنه بالرغم من عموم دلالة هذه الآية الكريمة إلا أن ورودها في سياق بني إسرائيل تعريض بهم لكونهم معجبين بتفضيلهم على العالمين، ويعتقدون أنهم أبناء الله واحباؤه وأنهم سلالة

الأنبياء، فأشار إليهم في هذه الآية إلى أنهم مثل غيرهم من الناس في ذلك اليوم، ولا تنفعهم سوى أعمالهم، وأن عليهم أن يتركوا هذه العقيدة الباطلة.

٢٠٨٢-تفيد أن أعظم وسيلة لوعظ المعرضين تذكيرهم بيوم العرض على الله وانقطاع الأسباب الدنيوية التي تنفعهم في النصرة والشفاعة.

٢٠٨٣- تفيد نذارة وبشارة وتسلية، فالنذارة لمن جعل يومه الذي يعيش هو الأهم، فاجتهد بكل سبيل: أحقا كان أم باطلا؛ ليجزي نفسه ويرفع نفسه ويكرمها ولو على حساب الآخرين وظلمهم. وبشارة لمن جعل همه ذاك اليوم الموعود فعمل له، وأعد للجزاء فيه، وجاهد نفسه ولم يتبعها هواها، وصرفها عن كل ما لا يحل. وتسلية لمن ظُلم ولم يحصل على ما يستحقه، أن في ذلك اليوم يجازى من ظلمه ومن اعتدى عليه وعلى حقوقه، وكيف أنه لا يجد ما يدفع به عن نفسه، كما كان في الدنيا وهو يتعالى ويظلم ويبطش بسلطانه أو قوته، ولا ما يشفع له كما كان في الدنيا يشفع له جاهه.

٢٠٨٤- تفيد تحذيرا عن المعاصي وترغيبا في تلافي الإنسان ما يكون منه من المعصية بالتوبة؛ لأنه إذا تصور أنه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا خلاص له إلا بالطاعة والعبادة، فإذا كان لا يأمن كل ساعة من التقصير فِي العبادة، صار حذرا خائفا في كل حال.

٢٠٨٥-تفيد أن الشفاعة لا تنفع يوم القيامة إلا من يستحق أن يشفع له.

٢٠٨٦-تفيد أن العيش في أوهام الشفاعات - بمفهوم أهل الشرك والضلال- لمن يؤمنون بالبعث واحدة من أسباب الضلال والانحراف والتقصير وعدم الاجتهاد عند جميع أهل الأديان.

٢٠٨٧-تفيد أن يوم القيامة ليس فيه فداء.

٢٠٨٨-تفيد أن المعتزلة تمسكوا بهذه الآية على إنكار الشفاعة مطلقا، والأدلة من الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من أهل العلم بخلاف مذهبهم.

٢٠٨٩- تفيد التحذير من يوم القيامة وما فيه من أهوال وعظائم.

٢٠٩٠- تفيد أن يوم القيامة يوم لا ينفع إلا العمل الصالح مع رحمة الله.

٢٠٩١- تفيد أن الركون إلى القرابات والنسب والحسب لا ينفع يوم القيامة.

٢٠٩٢- تفيد أن غالب المعتدين والظالمين يعتمدون على الشفاعة والمناصرين.

٢٠٩٣-تفيد أن تقواك أساس ميزان الوفاء والتوفية لك يوم القيامة.. عدلا أو فضلا.

٢٠٩٤–تفيد أنه لا مفر من الله إلا إليه.. كن إليه راغبا، وراجعا منتظرا ومشتاقا... لا مأخوذا إليه مرغما بغير اختيارك.

٢٠٩٥–تفيد أن عملك القلبي إذا كان سيئا فهو من كسب يدك، فلا تظنن بالله أو شريعته أو بأحد من خلقه إلا خيرا.

٢٠٩٦–تفيد أن النصرة يوم القيامة لأولياء الرحمن.

٢٠٩٧–تفيد أنه لما كانت أسباب النجاة للمرء بأحد ثلاث: إما شفاعة من فوقه في العلم والفضل، وإما نصرة من فوقه في الأيد والقوة، وإما فكاك من يده لنفسه إذ من هو مثله لا يغني وأحرى من هو دونه، استوفى الخطاب جميع الوجوه الثلاثة ليسد على ذي النفس المستمسك بنفاسته جميع الوجوه الثلاثة من الشفاعة والفدية والنصرة. [منقول عن البقاعي].

فائدة: قال السعدي –رحمه الله تعالى–: «فقوله: ﴿يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ هذا في تحصيل المنافع، ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع. ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن تعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته».

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [البقرة:٤٩].

٢٠٩٨–تفيد مناسبة لما سبقها: حيث ما زالت الآيات مستمرة في مقام امتنان الله على ما أنعم به على بني إسرائيل، وهو يذكرهم في هذه الآية بإنجائه لهم من سفك فرعون وعصابته، الذين كانوا يقتلون الرجال، ويستحون النساء، وفي ذلك نوع كبير من الإذلال، وذلك بإهانة الأعراض، وإضاعة الأنساب، وذلك أعظم ابتلاء، فنجاهم سبحانه من شر فرعون وعصابته، ونبههم لهذه النعمة العظيمة عليهم.

أ) **قوله تعالى**: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ...﴾.

٢٠٩٩–تفيد تذكيرا لنعم الله المتعلقة على بني إسرائيل آباء وأبناء.

٢١٠٠- تفيد أن جميل صنائع الله بك، أفعاله وأيامه، دروس عقيدة.. احفرها في جدار ذاكرتك، لا تنسها...

٢١٠١- تفيد بيان سلوك سنة الله في محاربة المفسدين والصبر على الأذى، وأن العاقبة للمتقين.

٢١٠٢- تفيد بشارة لأهل الابتلاء بقرب الفرج من الله.

٢١٠٣-تفيد أن صرف العدو نعمة عظمى.

٢١٠٤- تفيد أنه لا نجاة للمستضعفين إلا بالاعتصام بالله ﷻ.

٢١٠٥- تفيد أنه لولا الآل والأعوان لما قامت للطغاة قائمة، فهم المباشرون للظلم، ولذلك استحقوا العذاب ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

٢١٠٦- تفيد أن اليهود لا يستطيعون النجاة ولا إنقاذ أنفسهم وأهليهم إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

٢١٠٧- تفيد أن آل فرعون وهم أعوانه كانوا يفوقون فرعون نفسه في عملية التعذيب، وقتل أبناء بني إسرائيل، وفي هذا إشارة خفية إلى أن ملكه كان قائما بالحواشي المطبلين والأعوان المزمرين، فلولا هؤلاء لسقط الطغاة؛ فقاتل الله أعوان الظالمين.

٢١٠٨- يفيد نسبة التعذيب والقتل إلى آل فرعون مع أنهم مؤتمرون بأمر فرعون إشارة إلى أن من أمره ظالم بتعذيب أحد وقتله فعذبه وقتله أنه المأخوذ به والضامن له لا الآمر، فالمباشر مأخوذ بفعله، ولذا نسب الله تعالى الفعل إلى آل فرعون وهم إنما كانوا يفعلون بأمره وسلطانه لتوليهم ذلك بأنفسهم، قال الطبري: ويقتضي أن من أمره ظالم بقتل أحد فقتله المأمور فهو المأخوذ به.

٢١٠٩- تفيد خطورة الجريمة إذا اشترك فيها المجرمون، وتعاونوا عليها، وبئس البطانة هم.

٢١١٠- تفيد أن آل فرعون: جند فرعون، وزراء فرعون، وأنصار فرعون، هم شركاؤه في الإثم، شركاؤه في العقاب.. فلا تك عونًا للظالم ولا بشطر كلمة..

٢١١١- تفيد أن آل فرعون كانوا يقودون الشعب المستضعف بالمنة مرة، وبالتخويف مرة، وبالتهجير والتشريد والتقتيل مرات.

٢١١٢- تفيد أن سياسة تركيع الشعوب المستضعفة وإذلالها، والتسلط على أولياء الله، هي سياسة فرعونية.

٢١١٣-تفيد أن الطغاة لا يروقهم سوى سوم من يعادونهم سوء العذاب.. وأن الله سيذيقهم، ومن والاهم أشد العذاب.

٢١١٤-تفيد أن بني إسرائيل كانوا في نهاية الذل.. لكنهم على الحق.. وعدوهم في غاية الجبروت.. لكنه على الباطل.. لذا انقلب المحق غالبًا، والمبطل مغلوبا..

٢١١٥- تفيد أن عموم الظلم قبيح ومنهي عنه، ولكن ظلم المستضعفين أشد وأقبح.

٢١١٦-يفيد عظم العذاب الذي عاناه بنو إسرائيل حيث ذكر مرتين: مرة بالتصريح بكلمة سوء، ومرة بالتضعيف: يذبح؛ يقتل.

٢١١٧- تفيد أنهم صبروا.. فنجاهم.. وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، فابحث عن الخبايا في زوايا البلايا!.

٢١١٨- تفيد أنه مهما طال ليل الظالمين فالفرج قريب.

٢١١٩- تفيد أن المستضعفين ينتصرون بغير وسائل الطغاة.. وانتصاراتهم مدوية تفرح أهل الأرض.

٢١٢٠- تفيد بيانا لنوع من أنواع بيان القرآن بالقرآن الكريم؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بينه بقوله بعده: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٢١٢١- تفيد أن نجاة بني إسرائيل كان يوم عاشوراء المحرم، لما في البخاري وغيره من أن النبي عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة مهاجرًا وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك، فقالوا: يوم صالح، أنجى الله تعالى فيه بني إسرائيل. فصامه رسول الله عليه السلام وأمر بصيامه وقال: «نحن أحق بموسى منهم».

٢١٢٢- تفيد أن نجاة الأمم من أيدي الطغاة الظالمين واحدة من آيات الله العظيمة في أرضه التي تحتاج لتدبر ونظر.

٢١٢٣- تفيد أن كل متبع لمحمد عليه الصلاة والسلام هو يدخل في آله فهي شاملة لكل من ينتسبون إليه؛ فقد قال تعالى: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: قومه وأتباعه وأهل دينه، وكذلك آل الرسول ﷺ من هو على دينه وملته في عصره وسائر الأعصار سواء كان نسيبا له أو لم يكن، ومن لم يكن على دينه وملته فليس من آله ولا أهله وإن كان نسيبه وقريبه.

٢١٢٤- تفيد أن الظلم كان سمتا لفرعون ومن شاكله، فنسب إليه في زمانه وفي كل زمان.

٢١٢٥- تفيد أن أنَّات الضعفاء ومأساة الفقراء يصنعها المترفون ولا يراها الطغاة.

ب] قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ...﴾.

٢١٢٦- تفيد بيان الحقد الدفين من آل فرعون لبني إسرائيل.

٢١٢٧-تفيد أن من أخبث أنواع إذلال الأمم قتل أبنآئها.

٢١٢٨- تفيد أن الذبح من أشنع أنواع القتل، وهو من المثلة، وقد قال النبي ﷺ: « إذا قتلتم فاحسنوا القتلة ».

٢١٢٩- تفيد بيان الهوان والذل الذي كان يعيشه بنو إسرائيل، والذي ارتضوه لأنفسهم ولأهلهم وأولادهم مما لا مثيل له في التاريخ، فكانت تذبح فلذات أكبادهم ويقتلون أمامهم، فلم يكن لهم أي حراك لرفع الظلم والعدوان عنهم وعن أولادهم، فاستسلموا للقهر والذل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نفوسهم الجبانة، وقلوبهم المنخلعة من الخوف من عدوهم، وحتى بعد أن نجاهم الله من هذا الظلم بقوا على حالتهم الأولى فعوقبوا بالتيه، وما نراه في عصرنا الحاضر من خوفهم من الطفل الفلسطيني الأعزل ليس إلا مثالا حيا لهذا الجبن والخوف والهلع.

٢١٣٠- تفيد أن الأبناء هم من يحملون همَّ ومسؤولية إنقاذ الأمة والقبيلة من بطش أعدائهم ومنتهكي أعراضهم، فقتلهم هو قتل لكل طموحات وآمال الأمة والقبيلة، ولهذا كانت الأمم تهتم بأبنائها ليحملوا أمجادهم ويحاربوا بهم أعداءهم، ويرفعوا بهم رأس قبيلتهم وأمتهم.

٢١٣١- تفيد أن من أعظم البلاء وأجل المصائب أن يذبح أمامك من يحمل نسبك، وتضع ابنتك من يحمل نسب عدوك.

٢١٣٢- يفيد التعبير بصيغة المضارع إضافة إلى التضعيف في عملية الذبح، تصويرا لمشهد التعذيب والقتل، فأكاد أسمع أنين الأطفال وهم يبكون ويصرخون.. ويكاد الفعل يريني المدية على رقابهم.. كما يريني دماءهم تسيل أمامي وتتفجر.. إذ لم تشفع لهم براءتهم.. ولا ضعفهم.. ولا جمالهم... وكأني بالآيات تنقلني إلى ذاك العصر أو تنقله إلي لأرى أمهات الأطفال وآباءهم ينظرون إلى أبنائهم وما يفعله بهم الجلادون وهم يحترقون ألما.. ولكن... لا حيلة لهم.. إنها تجعلني أحس بمشاعر النساء التي تكاد تتميز غيظا.. وهي ترى شرار الخلق يتحكمون بهن.. إنها تريني

أعوان الطغاة الأجلاف.. لا هم لهم إلا رضا ساداتهم وكبرائهم.. هو والله البلاء العظيم... ألا ما أشبه طغاة اليوم بطغاة الأمس! ألا لعنة الله على الظالمين!.

٢١٣٣- يفيد العدول عن قوله: [ويستحيون بناتكم] إلى قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ إشارة إلى أن استحياءهم هذا إنما هو من أجل اتخاذهم نساء يستمتعون بهن، وليس رحمة بهن، وشفقة على آبائهن وأمهاتهن، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تعفف القرآن الكريم من التصريح بما يخل بالمروءة، ويخدش في الحياء، ويثير الغريزة.

٢١٣٤-تفيد أن أسوأ العذاب قتل الأبناء وهتك أعراض البنات.

٢١٣٥- تفيد أن المؤمنين يخافون على أهاليهم وأسرهم، ولذلك لا يسلمونهم إلى عدو ولا كافر، ويحافظون على دينهم ولو قتل منهم من قتل.

٢١٣٦-تفيد أن هذه الآية تكررت ثلاث مرات: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦]. في آية البقرة والأعراف لم تذكر الواو بينما ذكرت في سورة إبراهيم. ففي الأولين جاء تفسير السوم بالقتل مرة وبالتذبيح أخرى. أما في الأخيرة فجاء العطف بالواو من باب عطف الخاص على العام، وذلك لتعداد النعم على بني إسرائيل.

ج) قوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٢١٣٧- تفيد بيانا لعظم البلاء الذي كان عليه بنو إسرائيل، وفي ذلك تسلية وتثبيت وبشرى لكل من اشتد بلاؤه وعظم.

٢١٣٨-تفيد أن البلاء قد يكون بالخير والنعم.

٢١٣٩-تفيد أن الله سبحانه وتعالى له مطلق التصرف في عباده بما يسوؤهم، أو يسرهم من باب الابتلاء.

٢١٤٠- تفيد أن الله تعالى يبتلي عباده لحكم عالية فلا يجوز الاعتراض على الله تعالى فيما يبتلي به عباده، فقد أخبر بأن الذي حصل لبني إسرائيل من عذاب على أيدي فرعون وملئه إنما كان امتحانًا من الله واختبارًا عظيمًا لهم.

٢١٤١- تفيد أنه مهما عظم البلاء فإنه لا ينبغي أن يحمل المتحمسين على التفلت.

٢١٤٢- تفيد أن لنا أسوة حسنة ببني إسرائيل أيام فرعون فيما يحدث في بلاد المسلمين هذه الأيام من تسلط الأعداء، وقتل الأبرياء، وعلينا بالاستعانة بالله والصبر، ففيهما النجاة من كيد الأعداء.

٢١٤٣-تفيد أن السلامة من تسلط الطغاة، والنجاة من أذاهم نعمة وابتلاء.

٢١٤٤-تفيد أن الابتلاء بالنقم عظيم، قل من يصمد أمامه!.

٢١٤٥-تفيد أن ذكر النعم يحمل على شكرها، والشكر هو الغاية من ذكر النعمة، ومبدأ الشكر: الاعتراف بالنعمة أولًا، وهو ذكرها بالقلب.

٢١٤٦-تفيد أن الهزيمة النفسية من أسوأ الهزائم، والخروج منها من أعظم النعم.

٢١٤٧-تفيد أن الابتلاء واقع في الناس، وهو من سنن الله تعالى الكونية والشرعية.

٢١٤٨-تفيد أن ما يقع على الناس من الاضطهاد والإذلال وتسلط الأعداء على الأولياء إنما هو ابتلاء من الله تعالى.

٢١٤٩-تفيد أن البلاء العظيم الذي يمر بك سيكون ذكرة..كن مع الله فسيذكرك كيف نجاك منه، فجأة جاءتهم النقلة من حياة العبودية والذل إلى حياة الملك والعز والتمكين، ومن الفقر إلى الغنى، فالواهب ناظر كيف تعملون!.

٢١٥٠-تفيد أن الألم كل الألم أن يجمعك مع الآخرين مكان واحد وتبقى الطبقية هي لغة التفاهم.

٢١٥١-تفيد الآية الكريمة أن النجاة من ظلم الظالمين، ومن تعذيب الطغاة، نعمة من ربكم عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾[الأنبياء: ٣٥]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾[الأنفال: ١٧].

٢١٥٢-تفيد أن الابتلاء يقع على واحد أو أكثر من الضرورات الخمس، والتي أكد الشارع بالمحافظة عليها.

٢١٥٣- تفيد أن الابتلاء حدث للآباء، وخطاب الامتنان للأبناء، ففيه تنبيه على استصحاب الماضي والاعتبار به حتى لا تدول عليكم الدولة كما دالت على آبائكم.

٢١٥٤-تفيد أن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء.

٢١٥٥- تفيد أن البلاء يمحص ويميز أهل الإيمان الحق من غيره ممن ادعاه ادعاء.

٢١٥٦- تفيد أن البلاء مهما بلغ لا بد أن يتبعه فرج من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

٢١٥٧- تفيد مناسبة لما قبلها: حيث لا زال السياق في ذكر التكريم والإنعام الذي أصاب بني إسرائيل، فقد ذكر في هذه الآية نعمة أخرى من نعم الله على بني إسرائيل، وهي سرورهم بالنظر إلى عدوهم، وهو يغرق ويهلك وهذا مما يشفي الصدر.

٢١٥٨- تفيد أن الذي ينجي من الكرب والشدائد هو الله تبارك وتعالى.

٢١٥٩- تفيد أن النعمة على الآباء نعمة على الأبناء.

٢١٦٠- تفيد أن في إخبار القرآن على لسان محمد ﷺ بهذه المغيبات التي لا يعلمها سوى بني إسرائيل دليلا واضحا على نبوة محمد ﷺ.

٢١٦١- تفيد إثبات المعجزة الربانية التي أجراها الله سبحانه على يد رسوله موسى عليه السلام.

٢١٦٢- تفيد بيانا لآية باهرة من آيات الله تعالى وهو أن البحر الواحد سخره الله نجاة لأوليائه وعذابا لأعدائه، فسبحان مسبب الأسباب، وتبا للمعتمد على الأسباب. وسحقا لمطرح الأسباب.

٢١٦٣- يفيد ذكر ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾ [دون فرقنا لكم] أن الموقف لما كان موقف إنعام أراد الله عز وجل أن يبين الكرامة والإكرام لبني إسرائيل فقال: ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾ كأنه يقول: عندما فرقنا البحر جعلناكم أداة ذلك الفرق، فإذا خرجتم منه عاد البحر كما كان.

٢١٦٤- تفيد أن في إنجاء الله موسى عليه السلام ومن معه من الغرق، وإغراق فرعون وجنوده، نصرا ماديا بالإضافة إلى كونه نصرا معنويا.

٢١٦٥- تفيد أن مشاهدة فَرْق البحر نعمة عظيمة لما فيها من مشاهدة معجزة تزيدهم إيمانا، وحادث لا تتأتى مشاهدته لكل أحد.

٢١٦٦- تفيد أن البحر جندي من جنود الله... أطاعه قوم.. فسخره لهم.. فكن مع خالق الكون يكن الكون معك..

٢١٦٧- تفيد أن بني إسرائيل آمنوا بألوهية الله تعالى.. فما لبث أن أشهدهم قدرته ولطفه.

٢١٦٨- تفيد أن التفصيل في الحديث عن النعم يزيد الناس حبا بالمنعم... ولهذا فإنك إذا تحدثت عن نعم الله فأطنب، -وإذ - وإذ.

٢١٦٩- تفيد بيان عظمة الله تعالى حيث جعل البحر مسلكا لعباده، ومهلكا لأعدائه.

٢١٧٠- تفيد أن كل من سار على خطى الظالم، وأيده وعمل بعمله... يعمّه العقاب معه.

٢١٧١- تفيد أن من استنتصر بالله نصره، ومن سأل الله أجابه، ومن توكل على الله كفاه.

٢١٧٢- تفيد أن من أطاع الله تعالى جعل له من أسباب الهلاك نجاة، ومن كفر بالله جعل له من أسباب النجاة هلاكا، فهذه قدرة الله تعالى.

٢١٧٣- تفيد أن ما قد ترى فيه هلاكك قد يصبح فيه فرجك، وقد يسوق الله إليك الفرج وأنت تظنه ضيق، وقد تغلق دونك كل أبواب الفرج، فيقدر لك الله بابا لا تحتسبه.

٢١٧٤-تفيد أنه لم يقتصر الأمر على فرعون لإيذاء بني إسرائيل بل كانت المعاناة الإسرائيلية أكبر من ذلك بكثير وبين الله ذلك بدقيقتين مدهشتين حين قال ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ هذه اللفظة تدل على أن الظلم الممارس على الإسرائيليين كأن مؤسسيا وشبكته عبارة عن جهاز حكومي وشعبي متكامل تحكمه أطراف ذات مصالح متبادلة تقوم بارتكاب الفظائع ضد بني إسرائيل...

٢١٧٥- تفيد أنه قد ورد أن هذا اليوم الذي نجى الله موسى وقومه هو يوم عاشوراء، كما روى الامام أحمد عن ابن عباس، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: " ما هذا اليوم الذي تصومون؟ " قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله ﷻ فيه بني اسرائيل من عدوهم، فصامه موسى عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: " أنا أحق بموسى منكم " فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصومه.

٢١٧٦- تفيد أن شدة الحب يعمي ويصم، فشدة حب آل فرعون لتعذيب بني إسرائيل وتلذذهم بقتلهم أعماهم عن النظر في هذه الآية العظيمة الماثلة أمامهم، والتي تفوق كل آية أراهم إياها موسى عليه السلام، وكأني بهم يقولون: لا نجونا إن نجى بنو إسرائيل، فحقق الله لهم ذلك فأغرقهم عن

بكرة أبيهم، وفي هذا تظهر بعض وجوه المناسبة من ذكر هذه الآية عقب قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

٢١٧٧- تفيد أن الغرق من أنواع العذاب الذي عذبت به بعض الأمم الكافرة، كقوم نوح، وقوم فرعون. قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

٢١٧٨- تفيد أن الغرق ميتة شديدة، ولهذا جعل الله الغرق لأمة محمد ﷺ شهادة، قال رسول الله ﷺ: « والغريق شهيد».

٢١٧٩- تفيد أن فرعون لما افتخر بالماء كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، جعل الله تعالى هلاكه بالماء، وأنه لما ذكر أن الأنهار تجري من تحته أجراها الله من فوقه وأغرقه.

٢١٨٠- تفيد أنه عند ظهور آيات الله العظيمة يكون الهلاك العظيم والدمار الشامل للأمم الكافرة والمكذبة، ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢٢].

٢١٨١- تفيد أنه مهما طوق الكفار أولياء الله بكل الأطواق والقيود المادية والمعنوية فإن الله جاعل لأوليائه ما يمكنهم من كسر تلك الاطواق والقيود والتي يعجز الكفار عن فهمها، وفي هذا تسلية للأمة المحمدية في عصرنا الحاضر.

٢١٨٢- تفيد أن من طرق وصور نهايات الطغاة والمجرمين أنهم يذهبون إلى العذاب بإرادتهم، ويقحمون به أنفسهم، بكامل قواهم الحسية والمعنوية، فويل لأمريكا وإسرائيل ولكل الدول الكافرة الذين يسوقون أنفسهم إلى العذاب وبكل قواهم وطاقاتهم.

٢١٨٣-تفيد أن للتابع حظا وافرا لما يحيق بالمتبوع من العذاب.

٢١٨٤-تفيد أهمية الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها، فإن شاء الله أمضى خواصها وإن شاء عطلها.

٢١٨٥-تفيد إشعارا ممزوجا بكثير من الرهبة، حين ترى أن الحق والباطل -في نظر الكثيرين- واحد حتى إذا وصلا للنهاية احتاجا إلى التفريق والتمييز ومثلها: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

٢١٨٦- تفيد أن الحق الذي معك لا تحتاج معه إلى برهان، يكفي أن ترى ضعف الآخر وفساده.

٢١٨٧- تفيد تسلية للمظلوم حين يرى انتصار الله له، فكم من شفاء الصدر يستشعره ذلك المظلوم، {اللهم فأرنا فرجك للأمة وارفع عنها الغمة}.

٢١٨٨-تفيد أن المؤمنين يدعون الله أن يفرج عنهم، فيأتي بالفرج سبحانه وزيادة... فيشفي صدورهم ويريهم هلاك عدوهم وانتقامه الشديد لعباده.

٢١٨٩- تفيد أن من فضل الله على أوليائه أن يقر أعينهم بالانتقام من عدوهم وهم ينظرون إليهم، فاللهم أقر أعيننا وأعين المؤمنين بالانتقام من أعدائك وأعدائهم أعداء الدين.

٢١٩٠- تفيد وجود حاجة إلى مزيد من التأمل والتدبر في ذكر ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ ههنا وفي آيات أخرى، وذكر ﴿ٱلْيَمِّ﴾ في آيات أخرى أيضا.

وقد ذكر الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أن كلمة ﴿ٱلْيَمِّ﴾ لم تأت أبدا في القرآن في موضع فيه ذكر للنعمة، وإنما جاءت في الآيات التي ذكرت فيها قصة موسى عليه السلام فقط، وجاءت هذه الكلمة إما في موضع الخوف كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: ٧] أو في موضع العقوبة كما في قوله تعالى ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. وذكر أن الاستعمال القرآني لكلمة اليم روعي فيه أصل هذه الكلمة واشتقاقها.

وقد أوضح الأستاذ الدكتور جمال مصطفى، أنه من خلال دراسة له في أثناء تفسيره لسورة الكهف توصل إلى أن مكان غرق فرعون هو البحر الأحمر، وليس نهر النيل، وأن الآيات الواردة بلفظة ﴿ٱلْيَمِّ﴾ فيها ذكر للماء الكثير، وأن الآيات الواردة بلفظ البحر مفسرة لذلك الماء، وأن اليم يطلق على البحر، كما أن لفظ البحر يطلق على ما اتسع جانباه، سواء أكان عذبا أم مالحا، وأن النهر يطلق على ما كان عذبا ضاق جانباه أم اتسعا، وأن النيل يطلق عليه نهر لعذوبة مائه، ويطلق عليه بحر لاتساعه، كما ذكر لي أنه سمع من المهتمين بالآثار بأن من الأماكن الأثرية في

البحر الأحمر في مصر مكان يعرف بعين موسى، والمياه عنده تدور بشكل دائري سريع تشفط من يقترب منه، ويقولون: إنه موضع غرق فرعون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٥١].

٢١٩١-تفيد مناسبة لما قبلها: حيث جاءت في سياق نعم الله تعالى على بني إسرائيل، فبعد أن نجاهم من عدوهم فرعون، واعد الله ﷻ نبيه موسى عليه السلام أربعين ليلة، قيل: شهر ذو القعدة، وعشرة ذي الحجة، لينزل عليه التوراة؛ لتكون منهجا ودستورا لحكم بني إسرائيل فاستعجلوا ذلك في غيابه فاتخذ لهم السامري عجلا من ذهب فعبدوه من دون الله.

٢١٩٢-تفيد أهمية التذكير بالإنعام، فإن إنعامه سبحانه وتعالى لبني إسرائيل وتكريمه لهم قد توالت آياته... قبل التذكير بالذنب، وفي ذلك بيان لأسلوب القرآن الراقي باستخراج الاعتراف بالذنب، الممزوج بالشعور بالخزي، في مقابلة النعم بالجحود، والتكريم بالتمرد.

٢١٩٣- تفيد جمال السياق القرآني ففيما ذكر ههنا يغني عما لم يذكر، أو ذكره في آية أخرى.

٢١٩٤- تفيد عناية الله تعالى بأنبيائه وتحديد المواعيد لهم، وأعلى من هذه الرحلة الموسوية - على ما فيها من التكليم وإيتاء التوراة والنعم الباهرة - رحلة نبينا في الإسراء والمعراج؛ رحلات تجدد العزم وتزيد الإيمان.

٢١٩٥- تفيد أن تعلق قلوب العباد وتوجههم يكون لمن امتن عليهم بالرسالة وإرسال الرسول.

٢١٩٦- تفيد الاستعداد للقاء الله بالتفرغ لعبادته، فشهر ذي القعدة المحرم وعشر ذي الحجة العظيمة هي أربعون موسى عليه السلام التي توّجت وكان في نهايتها موعده مع الله.

٢١٩٧- تفيد أن أفضل انتظار في حياتك انتظارك موعد من تحب.

٢١٩٨- تفيد أهمية الرحلة في طلب العلم، والازدياد في الإيمان.

٢١٩٩- تفيد أنه ينبغي على الدعاة وطلبة العلم تحديد مواعيد لرحلات من هذا النوع.

٢٢٠٠- تفيد أهمية الوقت والزمن في حياة الإنسان، وأهمية جدولته.

٢٢٠١- تفيد احترام الموعد وأهمية الانضباط بموجبه.

٢٢٠٢- تفيد أن العبادات مرتبطة بأوقات محددة.

٢٢٠٣- تفيد تقديم الأهم على المهم.

٢٢٠٤- تفيد أن انتظام حياة العباد بتحديد الأوقات يفيدونه من التزامهم وانضباطهم الذي توجههم إليه طاعتهم لربهم.

٢٢٠٥-تفيد أن التأريخ بالليالي التي تسبق الأيام خصوصا وهي منها عموما.

٢٢٠٦- يفيد ذكر الليالي بدلا من الأيام؛ لكونها أقرب إلى الكمالات النفسية عبودية وتذللا.. ومن هنا أوجب الله تعالى على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ قيام الليل، ولهذا لو تتبعنا أحاديث التدارس نجدها بالمعظم تشير إلى الليل، وفي ذلك إشارة إلى شرف الليل للمدارسة، فهو الظرف الذي نزل فيه القرآن.

٢٢٠٧- تفيد أن الحرص على العبودية والتذلل منحة ومنة من الله سبحانه وتعالى، يفرح بها المرء ويأنس، ولذا فقد كان الموعد ثلاثون ليلة أولًا، فلما تعلقت نفس موسى -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بالعبودية والمناجاة زاده الله القدر الذي يحتمله من فضل الله، وبركته، فزاده عشر ليال، مستفاد من ابن عاشور -رحمه الله-.

٢٢٠٨-تفيد من خلال النظر في نصوص الكتاب والسنة وجود خاصية للعدد [أربعين]، وهي خاصية متعلقة باكتمال الروح والجسد، ولهذا فإن أكثر الأنبياء نبئوا في سن الأربعين، وكذلك ميعاد موسى عليه السلام كان في أربعين، وكذلك المراحل التي يتطور فيها الجنين كل أربعين يوما، وولادته في الأسبوع الأربعين، وكذلك عندما يصل الإنسان في عمر الأربعين يكون قد وصل إلى عمر بلوغ كمال الأشد، ولهذا كانت بعض العقوبات الإلهية المغلظة تتسم بهذه الخاصية ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة:٢٦]، وفي الحديث « لا تقبل له صلاة أربعين يوما » هذا والله أعلم.

٢٢٠٩- تفيد وجود اختلاف في السياق بينها وبين ما جاء في سورة الأعراف: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الأعراف:١٤٢]، ولعل حكمة الاختلاف في السياقين: أن السياق في الأعراف فيه تفصيل ما حصل في هذه المواعدة، في حين أن السياق في البقرة كان مجملا فيما يخص المواعدة، فناسب التفصيل التفصيل، والإجمال الإجمال.

٢٢١٠- تفيد أن مواصلة العبادة سبب عظيم للتهيؤ لتلقي العلم، وتهيئة إنائه، وهذه الأربعين تشبه الاعتكاف.

٢٢١١- تفيد أن خلوتك آنَس لك... فكن بمن تحب خاليًا لتصفو لك الحياة.

٢٢١٢- تفيد أهمية ضرب الدعاة وطلبة العلم المواعيد للناس مسبقًا؛ ليتهيؤوا للأخذ عنهم.

٢٢١٣- تفيد فضل نبي الله موسى عليه وعلى نبينا محمد افضل الصلاة والسلام.

٢٢١٤- تفيد مع الأحاديث الواردة في المعراج فضل ومقام نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين، فإن موسى عليه السلام جهز نفسه للقاء ربه أربعين ليلة، ونبينا محمد ﷺ جهزه جبريل عليه السلام في ليلة واحدة فاللهم صل وسلم وبارك على سيد الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٢٢١٥- تفيد أهمية وجود القائد الحازم في زمن الفتن، وانتشار أشكال المخالفة.

٢٢١٦-تفيد لزوم وجود من يطبق شرع الله تعالى ويرعى مصالح الأمة.

٢٢١٧- تفيد أنه لن يضيع الله أهلك ولا قومك - وأنت في الطريق إليه -..كن واثقًا أن ما يفعله الله لك من بعدك وفي غيبتك هي أقدار الحياة بعمومها.

٢٢١٨- تفيد أن مقدمة الوقوع في أعظم الطامات من المعاصي: هو التعلق بالبشر والمغالاة فيهم فينزلونهم فوق منزلتهم، وكذلك بترك وإهمال توجيه الدعاة المشفقين فينزلونهم دون منزلتهم.

٢٢١٩- تفيد سرعة انتشار البدع والشرك.

٢٢٢٠- تفيد أن من قدس العجل وغيره من المعبودات الباطلة فهو سالك مسلك عبدة الطواغيت وهو مشرك بالله سبحانه.

٢٢٢١- تفيد تحذيرًا لأحفاد بني إسرائيل ألا يتجاهلوا محمدا ﷺ فيشركوا أو يظاهروا المشركين فيصيبهم ما أصاب آباءهم.

٢٢٢٢-تفيد مدى جهل بني إسرائيل بربهم، فقد علموا أن موسى عليه السلام ساع إلى ما فيه فلاحهم، ولكن مع ذلك جهلوا وتجاهلوه.

٢٢٢٣- تفيد بيانا للفرق بين موسى الكليم في ذهابه في رحلة العلم والتوحيد والإيمان، وبين ذهاب قومه في الشرك والجهل والعصيان.

٢٢٢٤- تفيد بيان أثر غياب المربي وأنه ينبغي على أحدنا أن يحتاط لغيابه عن رعيته، ولا يطيل البعد

٢٢٢٥- تفيد أن غياب العالِم المربي سبب لظهور الشرك.

٢٢٢٦- تفيد أن الأصل في الناس التوحيد إلا أن تجتالهم شياطين الإنس والجن.

٢٢٢٧- تفيد يقظة أهل الباطل وتحينهم للفرص السانحة لبث باطلهم.

٢٢٢٨- تفيد تعاسة عباد العجل [من ذهب]، كما جاء في الحديث: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم».

٢٢٢٩- تفيد بيان افتتان بني اسرائيل وافتتان البشرية بـ [١] الذهب [٢] صور ذوات الأرواح.

٢٢٣٠- تفيد أن أعظم الظلم: الشرك بالله تعالى، لأن الله وصفهم بالظلم هنا، والمراد به الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٢٢٣١- تفيد خطورة البدعة وخصوصًا الشركية والكفرية، فإن ضررها وشؤمها يستمر في الأجيال، ولاتزال هناك طائفة في اليهود حتى يومنا هذا وهم مفتونون بعبادة البقر وتقديسها ويسمون بـ"عبّاد العجل"، وهذا بخلاف مئات الملايين من الهندوس عبَدة العجل والبقر في الأرض.

٢٢٣٢- تفيد أنه في الوقت الذي يسعى فيه المصلحون في صلاح أممهم يسعون هم في اتخاذ ما يناقض مقصودهم.. سنن الله جارية وقانونه لا يتخلف، ولهذا فإن في الآية طمأنة للدعاة أن ما يعالجون مع أقوامهم ليس جديدا بل سنن جارية.

٢٢٣٣- يفيد التعبير بالجملة الحالية أن الشرك عارض وسيأتي اليوم الذي يسود فيه التوحيد.

٢٢٣٤- تفيد أن من قامت عليه الحجة ثم عصى، فهو ظالم غير معذور.

٢٢٣٥- يفيد قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ تنبيهًا على أن ضرر الكفر لا يعود إلا عليهم؛ لأنهم ما استفادوا من ذلك إلا أنهم ظلموا أنفسهم، وذلك يدل على أن جلال الله منزه عن الاستكمال بطاعة الاتقياء والانتقاص بمعصية الأشقياء. منقول.

٢٢٣٦- تفيد أن من أعظم الغدر والخيانة أن يذهب المصلح من أجل قومه؛ ليعود إليهم بما يزكيهم، ويزيدهم إيمانا وتوحيدا، فيعملون في غيابه بنقيض ما ذهب من أجلهم فيه.

٢٢٣٧- تفيد أنه لا يمكن لأحد أن يجبرك على ما لا تريد لولا أنك تريده من الداخل، فاتخاذ العجل وافق هوى قلبي في النفس، استحقوا عليها وصف "ظالمون"..

٢٢٣٨- تفيد أن الشرك في كل صوره لا تقبله النفس السوية.

٢٢٣٩- تفيد أن الشرك خلاف العقل والدين فكيف يصنع الإنسان عجلا بيده ثم يعبده؟!.

٢٢٤٠- تفيد أنه يمكن للعقل، إذا ما ابتعد عن مصادر الوحي، أن يتقبل العقائد المنحرفة مهما كانت سخيفة!. ولهذا فإن الوحي هو عين الحكمة والوعي، وأنه عصمة من الشبهات والفتن، فتعلق بالعالي تعل.

٢٢٤١- تفيد أن من أعظم الناس ظلمًا من يعبد غير الله، ويعرض عن وصية رسل الله عليهم السلام، فيعبد عجلا جسدا له خوار.

٢٢٤٢- تفيد بطلانا لما استدل به الصوفية في هذه الآية من استحباب وصال الصوم، وذكروا أن أفضله أربعون يوما، وذلك لأنه ليس في الآية ذكرا للصوم، وهو مخالف لما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن الوصال.

٢٢٤٣- تفيد من اللطائف ما قيل: إن موسى سار إلى الخضر فقال في بعض يوم لفتاه: آتنا غداءنا.. وخلا بربه فذاق من الأنس ما أشغله عن لذائذ الدنيا. وكما قيل أيضا: استخلف موسى أخاه على دين أمته فسرعان ما نكث قومه العهد، ووكلهم نبينا ﷺ لمولاه، فحفظ الله لهم دينهم، وما زالوا من زمنه حتى الساعة على العهد.

٢٢٤٤- تفيد الحاجة إلى مزيد تأمل وتدبر لسبب افتتان بني إسرائيل بهذا الحيوان خصوصًا، هل هو لكثرة منافعه أم شكله أم خدمته للإنسان؟!، وخاصة أن هذه السورة اسمها سورة البقرة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٢].

٢٢٤٥- تفيد مناسبة لما قبلها: حيث لا زالت الآيات تتوالى صعودا في تعداد نعم الله تعالى على بني إسرائيل، ومن أجل هذه النعم والمنن أن عفى الله عنهم بعد تلك الجريمة الوقحة ومقابلة الإحسان والنعم باتخاذهم العجل معبودا من دون الله وهم ظالمون.

٢٢٤٦-تفيد مناسبة لما قبلها: فهي ما زالت في سياق امتنان الله ﷻ على بني إسرائيل فهنا يظهر الله لهم أعظم منة عليهم إن كانوا يعقلون، فقد عفى الله عنهم رغم شركهم، واتخاذهم العجل معبودا من دون الله، وهذا يفتح باب الأمل للمذنبين مهما عظم ذنبهم أن لا ييأسوا من رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

٢٢٤٧-تفيد إثبات صفة العزة لله تعالى، وهي صفة فعلية ثابتة له سبحانه وتعالى.

٢٢٤٨- تفيد بيان عظمة الباري سبحانه، ومزيد لطفه بعباده، فيغفر ويتجاوز ويمحو الذنب، وكأنه لم يكن.

٢٢٤٩-تفيد أن من أعظم النعم على بني إسرائيل أنه لم يرحمهم أو يغفر لهم فحسب، بل أعطاهم فوق ذلك: العفو، لكن هل سيشكرون.

٢٢٥٠–تفيد أنك قد تذنب، وخالقك هو أعرف بك؛ وسيبادرك بعفوه؛ لأنه عفو كريم.

٢٢٥١– تفيد أنه لا يهلك على الله إلا هالك، يقابل شركهم بالله وظلمهم بعفوه لعلهم يشكرون.

٢٢٥٢– تفيد أنه ينبغي ألا تنتظر منشور العفو قبل أن تبرهن على صدق توبتك.

٢٢٥٣– تفيد أنه ينبغي للمتساهلين ألا ينظر إلى صغر الذنب، وعليه أن ينظر إلى عظم من اجترأ عليه. وعلى التائب ألا ينظر إلى عظم الذنب، بل ينظر إلى عظم عفو الله وكثرة رحمته.

٢٢٥٤– تفيد أن غاية رجاء المؤمن أن يكرمه ربه بالعفو، فقد أرشد النبي الكريم ﷺ أمته الطاهرة المطهرة في أرجى وقت لاستجابة الدعاء أن تدعو بطلب العفو.

٢٢٥٥– تفيد أن اقترافك للذنب واعترافك به يلجم لسانك وينكس رأسك... ارفع رأسك وأطلق لسانك فقد عفى عنك فلعلك تشكره.

٢٢٥٦– يفيد ذكر العفو قبل ذكر العقوبة الواردة في الآية القادمة إشارة إلى حب الله تعالى للعفو عن عباده، وأنه يسارع بالعفو عنهم إن استحقوه، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، فاللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

٢٢٥٧– تفيد بطلانًا لمذهب المعتزلة الذين يقولون بعدم سقوط عقاب من يجوز عقابه عقلا وشرعا، وذلك أنه ثبت إعفاء الله تعالى عن كفار قوم موسى، فلأن يعفو عن فساق أمة محمد ﷺ مع أنهم: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] أولى.

٢٢٥٨– يفيد اختيار لفظة ﴿عَفَوْنَا﴾ في هذا الموضع دون [غفرنا] إشارة إلى أن العفو عن بني إسرائيل قد جاء بعد استيفائهم للعقوبة المذكورة في الآية التالية، وقد فرق العلماء بين العفو والغفران بأن العفو يجوز أن يكون بعد العقوبة، وأما الغفران فلا يكون مع عقوبة، ولهذا قال تعالى في آية أخرى بترتيب عجيب يستحق التأمل والتدبر فيه: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

٢٢٥٩– تفيد حثًا على جعل لسانك رطبًا بالشكر دومًا، فأنت تتقلب في نعم الله التي لا تغيب عنك طرفة عين.

٢٢٦٠– يفيد التعبير باسم الإشارة الموضوعة للبعد ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، إشارة إلى عظيم الجرم الذي اقترفوه، إذ لا جرم أعظم من الشرك بالله، ولهذا جاء عفو الله مضافا إلى نون العظمة، في إشارة

إلى أن عظم عفو الله تعالى أعظم من الجرم الذي اقترفوه، فيا رب إن عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم.

٢٢٦١- تفيد أنه ينبغي للعبد سكب دمعتين للعفو: دمعة حزن، وتوبة قبله، ودمعة فرح وشكر بعده.

٢٢٦٢- تفيد أن ما بينك وبين دوام نعمة العفو عليك، هو شكر تؤديه بلسانك وجوارحك، ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[سبأ:١٣] " فاحذر أن تعرض هذه النعمة للزوال بتركك الشكر عليها.

٢٢٦٣- تفيد أنه ينبغي أن لا تغتر بالعفو، فتعود إلى سالف معصيتك، ولكن احفظ جميل عفوه بمزيد شكرك.

٢٢٦٤- تفيد أنه لتعرف الله أكثر... عليك أن تكثر من شكره ومدحه والثناء عليه.

٢٢٦٥- تفيد أنه ينبغي عليك قبل أن تقع بالذنب أن تستحضر عظيم إنعام الله عليك، وإذا غلبتك نفسك فاطلب منه العفو.

٢٢٦٦- تفيد أن عفوه يلزم منه الشكر؛ لكي تدوم عافيته، وتشملك إن تكرر الذنب.

٢٢٦٧- يفيد قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٢] إشعارا بأن منهم من يشكر وفيهم من يتمادى، بما في كلمة لعل، من الإبهام المشعر بالقسمين، لأن كل ما كان في حق الخلق ترددا فهو من الله سبحانه إبهام لمعلومه فيهم. [منقول من البقاعي].

٢٢٦٨- تفيد ذكر عبادة الشكر دون غيره من العبادات أن الشكر أَعلى منازل السّالكين، وفوق منزلة الرّضا، فإِنَّه يتضمّن الرّضا وزيادةً، والرّضا مندرِج فِي الشكر؛ إِذ يستحيل وجود الشكر بدونه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[الإسراء:٣]، وقول الرسول ﷺ: «أفلا أكون عبدا شكورًا».

٢٢٦٩- تفيد أن من عفا عند المقدرة جدير بالشكر، وما أحد أحق بهذا الشكر من الله.. فكم قد عفا عنك وهو القادر على عقابك؟

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:٥٣].

٢٢٧٠- تفيد تشريفًا لمن أعطي الكتاب والفرقان، وهو نبي الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٢٢٧١- تفيد أن النبوة وإنزال الكتب على الأنبياء منحة واختيار من الله تعالى.

٢٢٧٢-تفيد عظم علم الأنبياء حيث آتاهم الله من العلم الفرقان.

٢٢٧٣-تفيد أن مهمة الأنبياء هي تحقيق الهداية للناس.

٢٢٧٤- تفيد عظم الحق والبرهان الذي جاء به موسى عليه السلام.

٢٢٧٥- تفيد أن موسى عليه السلام هو أول المهتدين بالكتاب، وعلى من يحمل الرسالة أن يكون في الأول مؤمنًا بها حريصًا عليها عاملًا بمضمونها.

٢٢٧٦- تفيد أهمية تلقي العلم عن العلماء الربانيين الذين يلتزمون بتعليم الناس الكتاب والسنة.

٢٢٧٧- تفيد أهمية وفائدة وجود الأنبياء بين أقوامهم، وكذلك من يخلفهم من الأمراء والعلماء الربانيين، فإن إسناد الإيتاء إلى موسى عليه السلام، إشارة إلى أنه هو المخول الأول لتطبيق ما فيها، وتفهميها وبيانها لقومه ليحصل لهم الاهتداء بها.

٢٢٧٨- تفيد أن العبرة في اتباع ما يحمله الداعية من علم لا إلى التعلق بشخصه.

٢٢٧٩- تفيد أن الإيمان بالرسل ضرورة عقلية كما أنه ضرورة شرعية، فهم المبلغون عن الخالق للخلق، وهم قادة الهدى يهتدى بهم، ويدلون الناس على سبيل الخير.

٢٢٨٠- تفيد حاجة البشرية إلى الرسل ورسالاتهم لصلاح القلوب، وإنارة النفوس، وهداية العقول.

٢٢٨١- تفيد أن موسى عليه السلام قد أوتي الكتاب ليهتدي قومه، ولهذا ليس بالضرورة أن يؤتى كل منا آية بخصوصه.

٢٢٨٢- يفيد تعريف الكتاب والفرقان دلالة على كمال ما هو مكتوب في هذا الكتاب وبلوغه النهاية والغاية في التفريق بين الحق والباطل.

٢٢٨٣- تفيد فضل التوراة فقد سماها الله سبحانه: فرقانا وضياءً وذكرًا وذكر أن فيها نورا وهدى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً وَذِكۡرًا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

٢٢٨٤- تفيد أن الهداية والفرقان من الخصائص المشتركة بين التوراة والقرآن.

٢٢٨٥- تفيد عظم القرآن المهيمن على الكتاب والفرقان بفرقانه وعظيم آياته.

٢٢٨٦- تفيد الحاجة الماسة إلى الكتاب الرباني الذي يرجع إليه الناس ليطالعوا أوامره ونواهيه ومواعظه، وما تضمنه من بشائر ونذر، وسائر الوسائل والأساليب التربوية الهادية إلى صراط الله

المستقيم، وبدون الرسالات السماوية سيبقى البشر مختلفين تائهين، لا يتفقون على سبيل سوي ولا يهتدون به، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ...﴾ [البقرة: ٢١٣].

٢٢٨٧- تفيد أن الكتاب به قواعد الشرائع التي من التزمها عرف الفرقان، وبقدر التزامه بالكتاب يحصل له الفرقان، وتكون هدايته بقدر ما يستقر في قلبه من التعظيم والالتزام.

٢٢٨٨- تفيد إن إنزال الله سبحانه الكتاب السماوي رحمة بالناس وهدى لهم.

٢٢٨٩- يفيد تعدد الصفات لذات واحدة "التوراة" وتكرار تلك الصفات لذات أخرى "كلام الله -القرآن-" دلالة على أن عظمة الهدى والفرقان الذي فيهما ودلالة على عظمة الهادي بهما المتفضل بهداياتهما.

٢٢٩٠- تفيد أن من معاني الواو في ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ أن تكون من عطف الصفات بعضها على بعض، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

٢٢٩١- تفيد أن من معاني الفرقان هنا هي المعجزات التي أوتيها موسى عليه السلام كالعصى والمعجزات الأخرى، وهي تسع آيات، ولا يمتنع أن يتناول الكتاب أيضا؛ فهو فرقان بين الحق والباطل، ولعل السياق والخطاب لهؤلاء الذين شاهدوا بأعينهم هذه الآيات الحسية يشهد لهذا، ولذا لما كان الخطاب لغيرهم في آية القصص لم يذكر الفرقان بأعينهم.

٢٢٩٢- يفيد ذكر الفرقان الذي هو التفريق بين الحق والباطل إيماء لمن يريد الهدى أنه لابد له من معرفة الباطل حتى يجتنبه.

٢٢٩٣- تفيد أن الفرقان بين الحق والباطل تحتاجه كل أمة في كل عصر، وخاصة حين تكثر الشبهات والشهوات وصور الظلم والشرك.

٢٢٩٤- تفيد أن على الدعاة أن يسألوا الله من العلم ما يفي بحاجة الناس لهدايتهم من فرقان.

٢٢٩٥- تفيد أن تقوى الله من أعظم أسباب هذا الفرقان، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

٢٢٩٦- تفيد أن من توفيق الله للعبد الوقوف على الآيات والبراهين التي تميز الحق من الباطل.

٢٢٩٧- تفيد أهمية التفريق بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والسنة والبدعة، حتى لا يلتبس أحدهما بالآخر.

٢٢٩٨- تفيد أن الحكمة من إنزال الكتب السماوية للتفريق بين الحق والباطل وهداية الناس للتي هي أقوم.

٢٢٩٩- تفيد أن الفرقان يتفاوت، فكل من تبع الرسول في دعوته على سبيله كان له من الفرقان نصيب.

٢٣٠٠- يفيد قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إشعارا بأن منهم من يهتدي بهذا الكتاب، ومنهم من يتمادى في غيه وضلاله، بما في كلمة لعل من الإبهام المشعر بالقسمين.

٢٣٠١- تفيد ذكر ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣] أن ههنا كانت البداية... وهناك ورد ما يقتضي التذكر.

٢٣٠٢- يفيد العدول من الغيبة إلى الخطاب ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إشارة إلى أن من فاتهم الاهتداء فلكم بهم عبرة علّكم أن تهتدوا.

٢٣٠٣- يفيد ذكر الاهتداء بصيغة الخطاب لمن هم في زمن النبي ﷺ بالرغم من حصول التحريف في كتابهم إشارة إلى أن هذا التحريف الحاصل فيه لم يعم جميع الكتاب، وأنه ما زالت الهداية موجودة فيه، ويشهد لهذا ما كان يذكره الصحابي عبد الله بن سلام وغيره من أحبار اليهود الذين أسلموا.

٢٣٠٤- تفيد صيغة الخطاب توبيخا وتقريعا لمن كان في عهد النبي ﷺ ولم يؤمن به، لأن في كتابهم هداية وفرقان لأوصاف النبي ﷺ، ومع ذلك لم يؤمنوا به، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

٢٣٠٥- تفيد أن غير المهتدي لا يمكنه التمييز ورؤية الفرقان الذي في أي من كتب الله ولو أبصرها لعرف الفرقان وآمن بالكتاب.

٢٣٠٦- تفيد أنه لا يهتدي بالكتاب إلا من تأمله، فأخفى التدبر لكن أظهر الثمره!.

٢٣٠٧- تفيد أن وصول الكتب والرسالات السماوية المكتوبة منها أو المنطوقة -إلى الأرض- محفز للبحث عن هدايات السماء والعمل بها في الأرض.

٢٣٠٨- يفيد عدم ذكر فيما يهتدون بهذا الكتاب دلالة على الهدايات العظيمة الكائنة في هذا الكتاب في كل مجالات الحياة التي هم في حاجة إليها، ويدل على هذا، التنكير الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

٢٣٠٩- تفيد أن نزول التوراة على موسى عليه السلام لهداية بني إسرائيل، واشتمالها على ما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام.

٢٣١٠- تفيد أنه لا يستقيم حال الناس إلا بكتاب إلهي يبين لهم مسالك الهدى والرشاد.

٢٣١١- تفيد أن من جحد القرآن بعد أن بان فرقانه استحق من الغضب أعظم ممن جحد التوراة.

٢٣١٢- تفيد أن الله تعالى يريد الهداية لعباده فبين لهم سبلها، ولهذا فلا هداية إلا في اتباع هدي المرسلين.

٢٣١٣- تفيد أن من تمام فضل الله ومزيد إنعامه أن ييسر للعباد أسباب الهداية: بالرسالة والرسول والكتاب.

٢٣١٤- تفيد عظم ظلم اليهود إذ قابلوا كل تلك الآيات بالجحود والظلم.

٢٣١٥- تفيد أن على الدعاة أن يتسلحوا بالعظيم من الآيات البينات الفارقات والهدى لعلهم يهدون ولعل الناس يهتدون.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤].

٢٣١٦- يفيد إقبال موسى عليهم بالنداء، ونداؤه لهم بـ﴿يَٰقَوْمِ﴾ إيذانًا بالتحنن عليهم، وأنه منهم وهم منه، وأن أمر قتلهم لأنفسهم ليس صادرًا منه بل من الباري سبحانه وتعالى، وفي هذا هز وحث لهم لقبولهم هذا الأمر.

٢٣١٧- تفيد أن انتماء الداعية لقوم خالفوا دعوته لا يضره ولا ينقص من قدره، فيبقى موسى عليه السلام في مكانته العالية، وإن كانوا هم قومه.

٢٣١٨-تفيد أنه ينبغي على المصلح والداعية أن يكون رحيمًا شفيقًا رفيقًا بالناس حيث ناداهم بقوله يا قوم، وأشفق على أنفسهم مما أوقعوه عليها من الظلم.

٢٣١٩-تفيد هداية للدعاة أن يستخدموا الأساليب المحببة التي تجذب إليهم الناس وينصتون لدعوتهم باستخدام الأسلوب الحسن، والتحنن بالمدعوين ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ أو يا أحبابي، أو يا إخواني، وأسلوب القرآن جله تودد وتحبب، وفي ذلك إشعار للمدعوين بقربهم من الداعية، وبأن هناك ما يربطهم به، ويحمله ذلك على أن يحرص على ذكر ما ينفعهم

٢٣٢٠- تفيد بيانا لأسلوب قرآني ينبغي للدعاة والمربين استخدامه لانتشال المذنبين والعاصين: أولا: تقريره بالذنب: ﴿إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ﴾. ثانيا: التوجيه إلى سبيل النجاة: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾. ثالثا: البشارة بالعاقبة والأمل: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٢٣٢١- تفيد هداية للدعاة لاستخدام الوسائل الشرعية، ولو كانت مرة، وأن يفتوا بما يوافق الشرع لا وفق هوى المستفتي.

٢٣٢٢- تفيد أن اتخاذ الأصنام والأنداد مع الله ظلم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾.

٢٣٢٣- تفيد أن حذف ما يعلم من السياق جائز، فاتخاذهم العجل يقصد به اتخاذهم معبودا من دون الله تعالى، وفي هذا دليل على أن القرآن الكريم ليس كتاب حشو واستطراد، وأنه لا يذكر لفظة أو كلمة إلا في مكانها الصحيح التي تفيض بمزيد من الهدايات والفوائد، فما أعظمه من كلام، وما أروعه من كتاب.

٢٣٢٤- تفيد أن على الناصحين بيان الخطأ للمخطئ قبل طلب الاعتذار، أو تنفيذ العقاب، حتى لا يبقى لهم حجة.

٢٣٢٥- تفيد أن تبيين جناية الإنسان لنفسه، وإشعاره ببشاعتها بلا إفراط ولا تفريط، يزيد دافعية الإنسان؛ لأن يبذل للتوبة ما تستحقه من صدق وتخطيط.

٢٣٢٦- تفيد أن الاعتراف أول طريق التخلص من الاقتراف ﴿إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ﴾، والمكاشفة ضرورية، لتتولد الدافعية التطهيرية.

٢٣٢٧- تفيد التأكيد على أن أول المتضررين من المخالفة والعصيان، هو الإنسان نفسه.

٢٣٢٨- تفيد بيان التعليل والتفصيل والتحليل ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾، ففي ذلك إقالة لعثرات صاحب الإيمان المهزول، والالتزام المعلول، فنبي الله موسى عليه السلام بين لهم كيف ظلموا أنفسهم، وأخبرهم أنهم ارتضوا عبادة العجل، وجعلوها بدلًا من عبادة الله.

٢٣٢٩- تفيد أنه لا ينبغي أن نسرف في عرض المشكلات، ونهمل الحديث عن الحلول، فلا نسرف في النذارة ونهمل الأمل والبشارة.

٢٣٣٠- تفيد وجوب المسارعة بالتوبة ﴿فَتُوبُوٓاْ﴾.

٢٣٣١- تفيد أنه ليس المطلوب مجرد التوبة؛ بل المبادرة بها والمسارعة فيها.

٢٣٣٢- تفيد خطابا تعليميا تدبريا متكاملا يتعلق بالتوبة؛ حيث اشتمل على دعوة ضمنية للتفكر في الحال ﴿ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾، والتفكر في المآل ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾.

٢٣٣٣- تفيد أن التوبة ينبغي أن تكون إخلاصا قبل أن تكون تخلصا، وينبغي أن تكون ابتغاء وجه الله، وليست ابتغاء وجه موسى أو هارون عليهما السلام.

٢٣٣٤- تفيد بيانًا لعدم غلق باب التوبة أمام أحد مهما عظم جرمه، اتخذوا العجل ثم دعاهم للتوبة.

٢٣٣٥- تفيد التأكيد على إيقاظ فطرة التوحيد وتقبيح الشرك من خلال التأكيد على حق الخالق سبحانه وتعالى.

٢٣٣٦- تفيد أهمية إغلاق جميع مداخل الشيطان على البشر التي دائما تكون في المشتبهات.

٢٣٣٧- تفيد أن الله وحده هو من يعلم ويشرع الخير الذي يتحقق فيه رضاه ويحل بسببه عفوه.

٢٣٣٨- تفيد تنبيها على عظم جرم بني إسرائيل.

٢٣٣٩- تفيد عظيم ما لقيه بنو إسرائيل من البلاء جراء ما اقترفوه من الظلم، فلا يأمن الظالمون في كل زمان أن يصيبهم مثل ما أصاب بني إسرائيل من العقوبات.

٢٣٤٠- تفيد تنفيرا من التقليد الأعمى الذي لا يستند إلى الأدلة والبراهين، حيث وصفوا كلهم بأنهم ظلموا أنفسهم، فمن قلد ظالما في فعله فهو أيضا ظالم ويستحق العقوبة.

٢٣٤١- تفيد أن البشر في نعمة لا حدود لها إذ كان بارئهم هو التواب الرحيم!!.

٢٣٤٢- يفيد ذكر ﴿بَارِئِكُمۡ﴾ مرتين تنبيهًا لبني إسرائيل، ففي المرة الأولى تنبيه على عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره. وفي المرة الثانية تنبيه على أن الأمر الذي صدر منه من قتل أنفسكم هو راجح عند الذي أنشأكم، فكما رأى أن إنشاءكم وإيجادكم

راجح، رأى أن إعدامكم بهذا الطريق من القتل راجح، فينبغي التسليم له في كل حال، وتلقي ما يرد من قبله بالقبول والامتثال.

٢٣٤٣- تفيد تذكيرًا للعبد بأن الخير الذي سيجنيه عند ربه الذي برأه وتفضل عليه، يزيد همته في الإقبال عليه، ويثير أشواقه للتوبة إليه.

٢٣٤٤-تفيد أن تذكير الإنسان بإنعام الله عليه وإكرامه له، يبعث أشواقه إلى التوبة ﴿بَارِيِكُمۡ﴾.

٢٣٤٥- تفيد أن تذكير الإنسان بتبرئة الله لخلقه [بفتح الخاء]، يجدد في قلبه الأمل في أن يبرىء الله خلقه [بضم الخاء].

٢٣٤٦- تفيد أنه ينبغي على العبد التعلق دوما بما عند الله، لا ما عند سواه، ليكون مولاه، هو غاية مناه ﴿عِندَ بَارِيِكُمۡ﴾.

٢٣٤٧- يفيد بيانا للمكافئ للشرك من الفعل، فمن أحياه الله وخلقه، عليه إن أشرك مع خالقه غيره أن يقتل نفسه، وفي هذا بيان عظيم رحمة الله بخلقه أن تاب عليهم دون ذلك.

٢٣٤٨- تفيد أن نبي الله موسى عليه السلام نصحهم في هذا الأمر من قبل عندما طلبوا منه أن يجعل لهم إلهًا كما للكفار إلهًا، وكما نصحهم بعد ذلك هارون عليه السلام، إلا أن نفوس هؤلاء لا ترتدع ولا ترعوي سوى بالقتل ورؤية دمائهم، لا بالنصيحة والشجب والاستنكار.

٢٣٤٩- تفيد أن الموت أفضل من حياة تشعرك بالذنب كل لحظاتها وساعاتها هو اختيار الله لك وقضاؤه فيك "قضاء مخصوص".. هي لحظة اختبار.. وعليهم الاختيار، والموت من أجلك يالله شيء معظم.

٢٣٥٠- تفيد أن عقوبة القتل كانت تعني انتهاء حياة الكثيرين من بني إسرائيل... وقد أكرم الله أمة محمد بالتوبة والاستغفار وبقاء المذنب حيًا وقبول توبته.

٢٣٥١- تفيد أن توبة الله على عباده قريبة جدا حيث لم تذكر الآية استجابتهم لنداء موسى عليه السلام.

٢٣٥٢- تفيد أن توبة الله على عباده أقرب إليهم من عقابه، وتحل عليهم بمجرد توبتهم وفق ما اراد خالقهم وموجدهم.

٢٣٥٣- يفيد عدم ذكر استجابتهم أنهم قد اختلفوا فمنهم من استجاب وتاب توبة صادقة، ومنهم من لم يتب.

٢٣٥٤- تفيد أن العقوبة في الدنيا لن تكون مكفرة إلا مع وجود التوبة من العبد.

٢٣٥٥- تفيد وجوب الإسراع في تنفيذ شروط التوبة لأنها هي العلامة الفارقة بين العازم وبين غير العازم.

٢٣٥٦- تفيد أن من قتل منهم كان قتله كفارة له وشهادة عند ربه.

٢٣٥٧- تفيد أن الله ﷻ جعل للذنوب والمعاصي عقوبات مكفرة، وهذا باب عظيم من أبواب لطف الله تعالى بعباده في الدنيا، فمهما بلغت هذه العقوبات في الدنيا ما بلغت فإنها لا تقارن بعقوبة الله تعالى في الآخرة.

٢٣٥٨- تفيد فضل هذه الأمة المحمدية على الأمم السابقة، فالتوبة عند السابقين تستلزم قتل النفس، أما هذه الأمة فيكفيها الإقلاع والندم والعزم ورد المظالم إن كانت لأحد.

٢٣٥٩- تفيد أنه لا يجوز قتل النفس الا بأمر بينه الشارع.

٢٣٦٠- تفيد أن تنفيذ الحدود والعقوبات الإلهية خير للعباد لأن بها تستقيم حياتهم الدنيوية، وتكون نجاة لهم من العقوبة الأخروية، كما قال تعالى في القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٢٣٦١- تفيد أن قمة الامتثال لأمر الله تعالى، وقمة التوبة إلى الباري سبحانه وتعالى هو إزهاق هذه النفس التي بين جنبيك والتي هي أغلى ما تملك مرضاة لبارئك وتكفيرا لذنوبك ومعاصيك، وقد قال عليه الصلاة والسلام للمرأة التي رجمت: «لقد تابت توبة لو وزعت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل رأيت أعظم من أن جادت بنفسها».

٢٣٦٢- تفيد أنه لا يكفي مجرد الإرشاد للحل، لابد من ذكر تفاصيله من آليات عملية وخطط تشغيلية ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

٢٣٦٣- تفيد أن الدين لا يؤخذ عن طريق العقل، فقتل الإنسان نفسه وإن كان قبيحًا في العقل، إلا أن الشرع حسنه لبني إسرائيل، وأثابهم عليه.

٢٣٦٤- تفيد أن التذكير بالعواقب والمآلات يحفز القلب على طلب المكرمات، وتخطي العقبات ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فالخطابات التدبرية، المشتملة على ذكر المآلات المستقبلية، لها أبلغ الأثر في النفس البشرية، بقوتها التحفيزية وزيادتها للهمة والدافعية.

٢٣٦٥- تفيد أن القضية ليست في أن تتوب فقط، بل الغاية أن يتوب عليك علام الغيوب.

٢٣٦٦- تفيد ذكر الاسمين من الأسماء الحسنى ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فتح باب الأمل للمذنب، وإعانته على الإقلاع والتوبة.

٢٣٦٧- تفيد أنه لابد من تقريب الأمر وبث الأمل في قلوب من أساءوا العمل.

٢٣٦٨- تفيد أن الله هو التواب الرحيم، يقبل التوبة عن عباده في أي لحظة من لحظات حياتهم ما لم تغرغر النفس، أو تطلع الشمس من مغربها، فما من عبد عصاه، ثم رغب في التوبة بصدق وإخلاص الا فتح له أبواب رحمته.

٢٣٦٩- يفيد ذكر الرحمة طمأنة لقلوب العصاة المحزونة والكئيبة، وفي ذلك بعث أمواج من الأمل والتفاؤل، تقتلع اليأس والتكاسل.

٢٣٧٠- تفيد أن التأكيد على قبول الله للتوبة يحرر العبد مما يحول بينه وبين الأوبة والرجوع إلى الله.

٢٣٧١- تفيد أهمية تعريف العباد وخاصة العصاة بصفات الله التي تدفعهم للأوبة إليه والتزام هداه.

٢٣٧٢- تفيد أن علم العبد بأن الله تواب، يعني تيقنه بأنه ليس كمثله سبحانه تواب [مظاهر التفرد].

٢٣٧٣- تفيد إجابة على ثلاثة أسئلة مهمة لمن يريدون التخطيط للإصلاح: الأول: أين نحن الآن؟ ﴿ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ الثاني: إلى أين نصل (الغاية)؟ ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ الثالث: كيف نصل (الوسائل والآليات)؟ ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥].

٢٣٧٤- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة، فبعد أن عذبهم الله بعقوبة القتل بأيديهم في الآية السابقة، ذكر في هذه الآية تعذيبهم وعقابهم بالصاعقة من عنده، وكل ذلك في علاقة واضحة إلى أنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا إلا بسبب جنايته على نفسه.

٢٣٧٥- تفيد بيان سوء أدب بني إسرائيل مع أنبيائهم حيث نادوا نبيهم موسى عليه السلام بالاسم المجرد، وقد أدب الله تعالى أمة محمد ﷺ ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور:٦٣].

٢٣٧٦- تفيد بيان فساد أخلاق بني إسرائيل حيث كذبوا نبيهم موسى عليه السلام، وقد أنقذهم الله به من العذاب المهين، مع أنهم لم يجربوا عليه كذبًا قط.

٢٣٧٧- تفيد بيان تعلق بني إسرائيل وحبهم للماديات والمحسوسات.

٢٣٧٨-تفيد أن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل عيانا بيانا في الدنيا.

٢٣٧٩-تفيد أنه لما غاب عنهم موسى عليه السلام أيامًا اتخذوا العجل من بعده، وفي هذه الآية يطالبونه بالمستحيل ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ ومن هنا نعرف جذور الفكر المادي الذي غزا أفكار بعض المسلمين.

٢٣٨٠- تفيد قبح التكلف والتعنت في السؤال والمكابرة في الإيمان واتباع نبي الله موسى عليه السلام.

٢٣٨١- تفيد بيان صورة من صور المعاناة التي كان الأنبياء عليهم السلام يلاقونها من العناد والتعجيز والصلف من مخالفيهم، ليصبر أتباعهم ويتحملوا ما يلاقونه في سبيل دعوتهم.

٢٣٨٢- تفيد أن ثمة مناسبة بين طبيعة الجريمة والعقوبة، فالجريمة ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ فكأني أنظر الى موسى عليه السلام قد نزل عليه هذا الطلب والتحدي كالصاعقة لهوله وصلفه، فناسب أن تكون العقوبة صاعقة تأخذهم - والله أعلم -.

٢٣٨٣- تفيد أن رؤية الله عز وجل لا تكون في الدنيا وإنما في الآخرة؛ قال رسول الله ﷺ: «لن يرى أحدكم ربه حتى يموت » رواه مسلم.

٢٣٨٤- تفيد أنه ينبغي أن لا تشترط - في إيمانك - على الله رؤيته؛ سيتكفل الله للمؤمنين في الآخرة من يأخذهم إليه ويكشف لهم الحجب.. سيفرحهم ويمتعهم بلذة النظر إليه.. كن مشتاقًا لذلك.

٢٣٨٥- تفيد أن الله سيكفيك من يؤذيك فيه، فلا يحزنك قولهم.

٢٣٨٦- تفيد أن الإيمان إذا لم يكن لله سهل زواله.

٢٣٨٧- تفيد أن من لا يؤمن بك، سيطلب منك المستحيل.

٢٣٨٨- تفيد أن الإيمان الصحيح المعتبر إنما يكون بالغيب.

٢٣٨٩- تفيد أن المؤمن يؤمن بالغيب، ويتعرف على خالقه بأسمائه وصفاته، ويدرك وجوده من خلال آياته في الكون.

٢٣٩٠- تفيد أن رضا الله أعظم مطلوب.. ورؤيته شغف القلوب.. من أحب الله، وأراه وجهه الكريم.

٢٣٩١- تفيد أنهم ظنوا أنهم سيعجزون موسى عليه السلام بطلبهم، وما علموا أنهم يحفرون خنادق بينهم وبين الإيمان.

٢٣٩٢- تفيد ضرورة اتباع الرسول، وتلمس الهدى منه، وعدم مخالفته بالقول والفعل.

٢٣٩٣- تفيد أن هذه المقولة التي قالها اليهود لموسى عليه السلام قد قال قريبا منها المشركون للنبي ﷺ، فهل تواصوا بها! أم تشابهت قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

٢٣٩٤- تفيد بطلان استدلال المعتزلة بهذه الآية على استحالة رؤية الله تعالى على الإطلاق، ووضوح فساد مذهبهم وبطلانه يغني عن الرد عليهم، فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

٢٣٩٥- تفيد إقامة الحجة على من تمادى بالمعصية والذنب، وأعرض عن الوعظ وتجاهل النذارة.

٢٣٩٦- تفيد خطورة التلفظ بالأقوال الكفرية، وأن منها ما يستجلب السخط من الله تعالى.

٢٣٩٧- يفيد التعبير بـ﴿جَهۡرَةً﴾ للذي هو من قبيل المسموعات، دون [عيانًا] لما هو من قبيل المرئيات والمبصرات، إشارة إلى أنهم سألوا موسى عليه السلام رؤية الله عيانا وسماع كلامه جهرة، فأقام جهرة مقام طلب سماع الكلام، وفي هذا إشارة إلى أن هؤلاء السائلين طلبوا لأنفسهم في الدنيا منزلة أعظم من منزلة موسى عليه السلام كليم الرحمن، ولهذا عوقبوا بعذابي الرجفة والصاعقة.

٢٣٩٨- تفيد مثالا لنوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حيث قال ابن عباس رضي الله عنه: إنهم إذا رأوا الله فقد رأوه، إنما قالوا جهرة: أرنا الله.

٢٣٩٩- تفيد أن الله عز وجل لا يحابي أحدا، ففرعون طغى وتجبر على بني إسرائيل، فأغرقه الله وهم ينظرون، وطغى بنو إسرائيل وتجبروا وعاندوا نبيهم، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.

٢٤٠٠- يفيد حذف مفعول ﴿تَنظُرُونَ﴾ إشارة إلى عظم ما كانوا ينظرون مما حل بهم من الهول والفاجعة والموت، وفائدة الحذف لتذهب نفس السامع كل مذهب في هذا الأمر العظيم الذي كانوا ينظرونه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦].

٢٤٠١- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فهم عندما طلبوا رؤية العظيم سبحانه فمنعهم، أراهم قدراته العظيمة على الإحياء والإماتة، في إشارة إلى أن من أراد أن يرى ربه فلينظر وليتأمل في قدرات الله العظيمة في هذا الكون.

٢٤٠٢- تفيد مناسبة لما سبقها إذ فيها بيان لتوالى نعم الله ﷻ وتجلي رحمته وكرمه وألطافه وعنايته ببني إسرائيل.

٢٤٠٣-تفيد عظمة الرب تبارك وتعالى وقدرته الباهرة على البعث.

٢٤٠٤-تفيد برهانا ودليلا من أقوى البراهين والأدلة على البعث بعد الموت، وقد ذكرت في هذه السورة خمس قصص في هذا المعنى هذه أولها.

٢٤٠٥- تفيد أن الله خص بعض الأمم بما لم يعطه غيرهم.

٢٤٠٦- تفيد أن الذي يهب الحياة هو الله ﷻ وحده.

٢٤٠٧- تفيد بيان قدرة الله تعالى المطلقة حيث أحياهم جميعا من بعد موتهم.

٢٤٠٨- تفيد أن التذكير بالنعم من الأساليب الناجحة في الدعوة، وهو خطاب يتكرر في القرآن الكريم وعلى ألسنة جميع الرسل.

٢٤٠٩- تفيد أن العذر كل العذر أن ترى الموت ويقع عليك، وتعلم أن عملك قد انقطع، ثم يفتح الله لك صفحة جديدة ويمد لك في أجلك.

٢٤١٠-تفيد أن من أعظم الشقاء أن يعطيك الله فرصة للصلاح والإصلاح ثم لا تؤدي شكر هذه الفرصة.

٢٤١١- يفيد ذكر ﴿بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ دليلا على أن الموت الذي أصابهم هو الموت الحقيقي وليس مجرد غشي وإغماء.

٢٤١٢- تفيد تنبيهًا لغفلة من أرسل إليهم النبي محمد ﷺ، في إنكارهم للبعث، وإرشادا لهم إلى سؤال أهل الكتاب عن هذه القصة التي وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم.

٢٤١٣- تفيد أن مجرد الموت ثم البعث لا يزيل التكليف من العباد، ولفظ الشكر يتناول جميع العبادات والطاعات.

٢٤١٤- تفيد أن مشهد البعث يتكرر في حياتك كل صباح.. فانهض بشكر محييك.

٢٤١٥- تفيد أن بعض ما تألفه عينك من المشاهد في الكون والنفس لا تقل عن هذه المعجزة، وأن من الناس من لا يشكر الله إلا إن حصل له في حياته ما هو أشبه بالمعجزات، إنك تعيش في نعم ولكنك تألفها، فهلا أديت شكرها.

٢٤١٦- تفيد أن في حياتك أشياء كثيرة لا تعلمها، فتش عن أجمل شيء فيك، ربما تعلم حينها من كان يرعاك مذ خلقت.

٢٤١٧- تفيد أن موتك وحياتك، ليست بيدك، فكن بيد من يعلم حياتك وموتك.

٢٤١٨- يفيد الإتيان بـ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ بالرغم من إعادة أرواح هؤلاء من عالم البرزخ ومشاهدتهم لأهواله، إشارة إلى قساوة قلوبهم وأن من بينهم من لا يؤدي شكر الله تعالى بالرغم مما شاهده من الأهوال والفظائع التي يشاهدها الأموات، وقد أوضحت آية أخرى لاحقة هذا الأمر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...﴾[البقرة: ٧٤].

٢٤١٩- تفيد إثبات الحكمة لله تعالى، لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، فإن [لعل] هنا للتعليل المفيد للحكمة.

٢٤٢٠- تفيد أن انتظارك في الحياة وامتداد عمرك يستوجب شكر الله.

٢٤٢١- تفيد وجوب الشكر على من أنعم الله عليه بنعمة، بل النعم ترعى بالشكر.

٢٤٢٢- تفيد خطورة وعظم جحد وكفر النعمة.

٢٤٢٣- تفيد أن الإنعام يلزمه الشكر، والشكر يتحقق بطاعة الله وعبادته.

٢٤٢٤-تفيد أن الشكر من أعظم قيم الإيمان التي لا ينبغي الغفلة عنه.

٢٤٢٥-تفيد أن الشكر من أفضل العبادات، ويكون بالقلب واللسان والجوارح.

٢٤٢٦-تفيد أن حياتك مهلة وإعذار فاستدرك أنفاسك بالشكر.

٢٤٢٧- تفيد سفه بني إسرائيل وتعنتهم، وغفلتهم العريضة حيث بعثهم الله ليتوبوا ويشكروا.. فهل قاموا بذلك؟.

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧].

٢٤٢٨- تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فعندما ذكر في الآية السابقة احياؤهم وبعثهم بعد الموت ذكر في هذه الآية ما به قوام حياتهم بعد البعث من المكان المريح والطعام الطيب، في إشارة لطيفة لمن نور الله بصيرته بهدايات القرآن الكريم إلى أن من جمع له هذان الأمران فقد جمعت له أسس المعيشة في هذه الحياة، وعليه بعد ذلك أن لا يظلم نفسه وأن يحافظ على شكر المنعم المتفضل.

٢٤٢٩- تفيد مناسبة لما قبلها حيث لا زال الكريم سبحانه وتعالى يبين عظيم التكريم ومزيد الإنعام على بني إسرائيل لعلهم يشكرون وليقيم الحجة عليهم، وفي هذا بيان لطفه بعباده برغم كل تجاوزاتهم ومخالفاتهم.

٢٤٣٠- يفيد ظاهر هذه الآية دلالة على أن هذا الإظلال كان بعد أن بعثهم الله لأنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ...﴾ [البقرة: ٥٦ - ٥٧] فبعضه معطوف على بعض، وإن كان لا يمتنع خلاف ذلك لأن الغرض تعريف النعم التي خصهم الله تعالى بها.

٢٤٣١- تفيد أنه سبحانه وتعالى يذكر العبد بالمنة عند جحوده بالنعمة، ولهذا فهو يعدد النعم ويؤكد على المنن، لعل النفوس ترعوي وتستحي.

٢٤٣٢- تفيد بيان فضل الله ﷻ على بني اسرائيل فإنهم عصوا أمره، ومع ذلك أنعم عليهم بهذه النعم، ومن هذه النعم تظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى.

٢٤٣٣- تفيد بيان حاجة النفس إلى ما يقيها من لهيب الشمس.

٢٤٣٤- تفيد أن النعم تقدم في الذكر حسب ما لها من الأهمية، فذكرهم هنا برعايته لهم في الصحراء الجرداء، حيث وقاهم هجير الصحراء، وحر الشمس المحرق بتدبيره؛ لأن هذا هو الأهم بالنسبة لهم أولًا، ثم يأتي بعد ذلك الطيب من الطعام.

٢٤٣٥- تفيد نعمة الله تبارك وتعالى بما هيأه لعباده من الظلِّ؛ فإن الظلّ عن الحرّ من نعم الله على العباد؛ ولهذا ذكره الله ﷻ هنا ممتنًا به على بني إسرائيل؛ لقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾ [النحل: ٨١].

٢٤٣٦-تفيد أن الغمام يسير بأمر الله ﷻ، حيث جعل الغمام ظلًا على هؤلاء.

٢٤٣٧- تفيد دليلا على علو الله تعالى على خلقه لقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ لأن النزول لا يكون إلا من علو

٢٤٣٨- تفيد علو الجنة؛ لأنه كما قيل: إن المن والسلوى من طعام أهل الحنة.

٢٤٣٩- تفيد نعمة الله على بني إسرائيل بما أنزل عليهم من المن، والسلوى، يأتيهم بدون تعب، ولا مشقة؛ ولهذا وصف بـ "المن".

٢٤٤٠- تفيد بيان امتنان الله ﷻعلى بني إسرائيل بما أباحه لهم من الطيبات.

٢٤٤١-تفيد فضل الله تعالى على بني اسرائيل حيث يسر لهم طعامًا شهيًا لا يجهدون فيه ولا يكدون، من خلال ما أنزله لهم من الطيبات.

٢٤٤٢- تفيد أن لحم الطيور من أفضل اللحوم؛ لأن الله تعالى هيأ لهم لحوم الطير. وهو أيضًا لحوم أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١].

٢٤٤٣- تفيد أن الإنسان إذا أنعم الله عليه بنعمة فينبغي أن يتبسط بها، ولا يحرم نفسه منها.

٢٤٤٤-تفيد الترغيب بالأكل من الرزق الطيب المباح.

٢٤٤٥-تفيد أن المباح من الزرق هو الطيب.

٢٤٤٦-تفيد أن الطعام والشراب فيه ما هو من الطيبات، وفيه غير ذلك، والشرع حدد لنا ذلك.

٢٤٤٧- تفيد بمفهوم المخالفة حرمة أكل كل خبيث من مسكر ودخان وتنباك وغيره.

٢٤٤٨-تفيد أن عليك أن تفرح بما رزقك الله -أيا كان- فالكريم سبحانه يأمرك أن تأكل من رزقه، ويرضى عنك إن شكرته على رزقه، فاستطعم رزق الله، ستجد لذة ذلك في ريقك.

٢٤٤٩- تفيد تحذيرًا من أن تظن أن عطاء الله يتوقف... حياتك... أمنك... ومسيرك في ظل الغمام ورزقك النازل من السماء.. كل هذا لا يمكن أن تأتي به الصدفة.

٢٤٥٠-تفيد أن عطاء الله يفوق التصور، ويتجاوز كل التوقعات، فهو الكريم سبحانه وتعالى.

٢٤٥١- تفيد أنه قد يرزقك الله ما يبهج خاطرك ويستعذبه لسانك ويلتذ به دماغك؛ فيما لا يدرك كنه اللذة التي استطعمتها غيرك.. فأنت أولى بشكر المنعم والحفاظ على الرزق؛ وأي تقصير منك تجاه المنعم أو ازدراء النعمة يسهل أمر انتقالها منك إلى غيرك.

٢٤٥٢- تفيد دلالة لمن قال: إنه لا يكفي وضع المالك الطعام بين يدي الإنسان في إباحة الأكل، بل لا يجوز التصرف فيه إلا بإذن المالك، وهو أحد أقوال في المسألة، قاله الألوسي-رحمه الله-.

٢٤٥٣- تفيد أن العاصي لا يضر الله شيئًا؛ وإنما يظلم نفسه بتعريضها للعذاب... ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ يعني بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا؛ لأن الله تعالى لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ فيعود ضرره عليهم.

٢٤٥٤- تفيد أن ضرر الكفر لا يعود إلا عليهم لأنهم ما استفادوا بذلك إلا أنهم ظلموا أنفسهم؛ وذلك يدل على أن جلال الله منزه عن الاستكمال بطاعة الأتقياء، والانتقاص بمعصية الأشقياء.

٢٤٥٥- تفيد أن من ظلم نفسه فالله غني عنه فلا تبك سوى نفسك.

٢٤٥٦- تفيد أن من أحياك ورزقك..لا يحتاجك؛ إنه يراك، فكيف تظلم نفسك.

٢٤٥٧- تفيد أن الذي يغفل عن فضل الله ولا يعترف بإنعامه فلا يشكره، يظلم نفسه ويجلب لها العذاب.

٢٤٥٨- تفيد دليلا على أنه ليس من شرط نفي الشيء عن الشيء إمكان وقوعه؛ لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه ألبتة. قاله الألوسي -رحمه الله-.

٢٤٥٩- تفيد أن بني إسرائيل خالفوا وكفروا وظلموا أنفسهم مع ما شاهدوه من الآيات البينات والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات، ومن ها هنا تتبين فضيلة أصحاب محمد ﷺ رضي عنهم، على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، كما كانوا معه في أسفاره وغزواته، منها عام تبوك، في ذلك القيظ والحر الشديد والجهد، لم يسألوا خرق عادة، ولا إيجاد أمر، مع أن ذلك كان سهلا على الرسول ﷺ، ولكن لما أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم فجمعوا ما معهم، فجاء قدر مبرك الشاة، فدعا الله فيه، وأمرهم فملأوا كل وعاء معهم، وكذا لما احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى، فجاءت سحابة فأمطرتهم، فشربوا وسقوا الإبل وملأوا أسقيتهم. ثم نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر. فهذا هو الأكمل في الاتباع: المشي مع قدر الله، مع متابعة الرسول ﷺ، قاله ابن كثير -رحمه الله-.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:٥٨].

٢٤٦٠-تفيد دقة التناسب وروعة التناسق مع الآية الكريمة السابقة فهم عندما كفروا بنعمة الله الآتية من العلو من اظلال بالغمام وإنزال المن والسلوى المفهوم من قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، أشار في هذه الآية الكريمة إلى أنه أعطاهم النعم السفلية الكائنة في الأرض من خلال السكن في بيوت المدن والقرى، والأكل مما تنبته الأرض من الثمار.

٢٤٦١-تفيد إثبات القول لله تعالى.

٢٤٦٢-تفيد أن القرية في القرآن تطلق على المدينة.

٢٤٦٣-تفيد أن النجاح يبدأ بخطوة منك، وأن النجاح يجر نجاحًا آخر، فمجرد الدخول، مؤذن بنجاحات متتابعة.

٢٤٦٤-تفيد وعد الله لهم بدخول تلك الأرض المقدسة؛ ويؤخذ هذا الوعد من الأمر بالدخول؛ فكأنه يقول: فتحنا لكم الأبواب فادخلوا.. كما في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

٢٤٦٥-تفيد هداية خفية لحث الفاتحين المسلمين بوضع خطة استراتيجية سريعة للدخول إلى الأراضي التي يكثر فيها الخير والعيش الرغد، لتصبح رافدًا مهمًا من روافد الحياة الكريمة والعيش الرغد للأمة، وأظهر مثال لذلك في عصر النبوة أرض خيبر التي كان عليها اليهود واجلاهم النبي ﷺ وقد انتفع منها الفاتحون المسلمون في عصره أيما انتفاع.

٢٤٦٦- تفيد أن تحصين المدن وجعل لها منافذ محددة يراقب الداخل والخرج منها من الأمور التي يقررها الشرع والعقل.

٢٤٦٧-تفيد أن النظر إلى ما تقوم به حاجة العباد وتحفظ به نفوسهم من الابتذال والاحتقار مما حث عليه الشرع، ليعيش العبد المسلم معززا مكرما، في أفضل حياة، وأرغد عيش.

٢٤٦٨-تفيد أن الإنسان ينبغي أن يجمع في أموره بين دنياه وآخرته، وبين ما يصلح جسده الفاني وروحه الباقية، فما أعظم دلالات القرآن الكريم وما ألطف هداياته وفوائده.

٢٤٦٩-تفيد بركة هذه القرية وأن محصولها موجود في كل مكان اتجه الداخل فيها، وأن محصولها يزيد عن الحاجة الأساسية لهم ويصبح رغدا لهم.

٢٤٧٠- يفيد تقديم الأكل على العبادة إذا حان وقتها؛ ليتقوى العبد بالأكل على العبادة، وأن لا يتشوش ذهنه، وأن ينصرف للعبادة بكليته، حيث قدم في الآية الأكل على العبادة، ويشهد لهذا الحديث النبوي ﷺ: إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء.

٢٤٧١-تفيد أن حسن البلد وطيبها يكمن في ثلاثة أمور، فإن وجدت حسن المقام فيها، والا حسن الارتحال منها:

الأمر الأول: غناؤها بما يخرج من أرضها من الخيرات والثمار، ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾.

الأمر الثاني: وجود الأمن وعدم الخوف ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾.

الأمر الثالث: القدرة على إقامة الشعائر الدينية، كبناء المساجد والصلاة فيها، ودور التعليم التي يعبد فيها الله ويذكر فيها اسمه ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾.

٢٤٧٢- تفيد أن أرض الطاعة يعم خيرها ويتنعم أهلها.

٢٤٧٣-تفيد أن الحلال لا حدود له لمن كان قصده العفاف والكفاف.

٢٤٧٤-تفيد أن اتباع أوامر الله وتطبيقها يفجر على العبد أبوابًا من النعم لا تعد ولا تحصى.

٢٤٧٥-تفيد أن السجود أجل وأعظم واجلى وأوضح مظاهر العبودية والتواضع لله تعالى.

٢٤٧٦-تفيد أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، كما ثبت في الحديث، فأكثروا من الدعاء والاستغفار.

٢٤٧٧-تفيد أن التوحيد والاستغفار أمان من العقوبات، وضمان لمغفرة الذنوب ومحو الزلات والسيئات.

٢٤٧٨- تفيد أن الطاعة جالبة لكل خير.

٢٤٧٩-تفيد التأكيد على طلب العفو والمغفرة.

٢٤٨٠-تفيد أنه ينبغي أن تكون لله كما يحب؛ ليؤتك أكثر مما تحب؛ فإذا كنت خاشعا خاضعا لله يجتبيك ويعطيك ما تريد وفوق ما تريد.

٢٤٨١- تفيد أهمية موافقة القول العمل.

٢٤٨٢- تفيد أن مغفرة الذنوب مرتبطة باتباع الأوامر فعلا وقولا.

٢٤٨٣–تفيد إظهارا لفضيلة الطاعة، وتنفيذ أوامر الله تعالى.

٢٤٨٤–تفيد أنه يمكنك أن تسكن من المحل أوسعه وأن تأخذ من العيش أرغده.. إذا اتصلت جوارحك بالله بين سجود وشكر ودعاء واستغفار.

٢٤٨٥–تفيد أن غفران الخطايا يكون بفعل أسبابه.

٢٤٨٦–تفيد سرعة استجابة الكريم المنان سبحانه لدعوة الطائعين بالمغفرة ومحو الذنوب.

٢٤٨٧–تفيد أن من أطاع سيده ومولاه متذللا منكسرا بين يديه معترفا بتقصيره وتفريطه... غفر ذنبه وأعطاه عطاء المحسنين.

٢٤٨٨–يفيد إظهار التوبة والجهر بتلفظها دعوة وتذكير... ولذلك استحق ان يكون من المحسنين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

٢٤٨٩– تفيد دعوة للتخلق بخلق التواضع.

٢٤٩٠– تفيد أنه يجب على من نصره الله، وفتح له البلاد أن يدخلها على وجه الخضوع، وألا يتجبر ويتعالى، كأن النصر كان من عنده بل عليه التواضع لله وسؤال المغفرة إن صدر عنه ما يشوب هذا التمكين، فساعات النصر والتمكين لابد أن يظهر فيها العبد خضوعة لله وإظهار ذلك بأعظم ما يستطيع وهو السجود لا البطر ولا العبث ولا التطبيل والتزمير، ولذا قال لنبيه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] فدخل ولحيته تضرب بجران ناقته، ولذا ما نجده من الأشر والفرح على الأمور التافهة مشعر بعدم استحقاقنا للنصر ونحن على هذه الحالة... لأن وقت النصر وقت خضوع ومغفرة واستجابة.

٢٤٩١– تفيد أن الجهاد مع الخضوع لله ﷻ، والاستغفار سبب للمغفرة؛ لقوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾، وسبب للاستزادة أيضًا من الفضل؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٢٤٩٢–يفيد حذف المفعول الثاني للفعل [نزيد] إشارة إلى أن زيادته قد تشمل جميع ما يمكن الزيادة عليه من المنافع الدنيوية والدينية والاخروية، ولهذا ينبغي أن نطلق ما أطلقه الله، وألا نقيدها بزيادة معينة.

٢٤٩٣– تفيد الحث على الإحسان في جميع الأفعال والأقوال المشروعة.

٢٤٩٤-تفيد أن الإحسان يزيد في ثواب العمل الصالح.

٢٤٩٥-تفيد أن الإحسان سبب للزيادة سواء كان إحسانًا في عبادة الله، أو إحسانًا إلى عباد الله؛ فإن الإحسان سبب للزيادة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦] أي نجازيهم بالإحسان إحسانًا وزيادة، وأن المحسن في الدنيا يزاد منهما، وفي الجنة تعرض عليه المتع بأعلى حدودها، ويلهم الحمد كما يلهم النفس.

٢٤٩٦- تفيد أن الاستمتاع بنعم الله التي أباحها من حولك في بلدك وفيما تستطيع الانتفاع به مع شكر الله بالقول والفعل من الإحسان المطلوب فعله.

٢٤٩٧- تفيد أن المحسن بإطلاق هو الله...وهو من يعرف قدر المحسنين إيمانهم وقولهم وفعلهم...والله سبحانه يحب المحسنين وسيزيد جزاءهم.

٢٤٩٨- تفيد أن الناس في الإيمان درجات، منهم المقصرين، ومنهم المقتصدين، ومنهم السابقون بالخيرات [المحسنين].

٢٤٩٩- تفيد أنك كل ما زدت في الطاعة أعلى الله مقامك في درجات العبودية والإحسان.

٢٥٠٠- تفيد أن الجزاء من جنس العمل. فمن أحسن أحسن الله إليه.

٢٥٠١- تفيد أنك إن أحسنت فإنما تحسن على نفسك؛ حاول ما استطعت أن تسلك الطريق الذي اختاره الله لك ووعدك عند بلوغه.

٢٥٠٢- تفيد أنه ينبغي أن تكون مبادرا للاستجابة للأمر الرباني فهناك مثوبة تتضاعف للمحسنين.

٢٥٠٣- تفيد أن أي محسن في أي عمل كان قد وعده الله بالزيادة، فلا نستغرب تطور البلدان الغربية وتخلف البلدان الإسلامية لأنهم أحسنوا العمل للدنيا فوفى الله لهم بما وعد المحسنين، ولعلي أرجو أن نكون قد أحسنا العمل للآخرة، وإلا فوا أسفاه ويا خيبتاه.

قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

٢٥٠٤- تفيد مناسبة لما سبقها حيث ذكرت صفة من صفات الظالمين الخطيرة؛ وهي صفة التلاعب بالألفاظ وقلب الحقائق.

٢٥٠٥-تفيد تحريم التبديل والتحريف لكلمات الله؛ وأنه من الظلم وصاحبه فاسق.

٢٥٠٦- تفيد قبح التحريف سواء كان لفظياً، أو معنوياً؛ لأنه يغير المعنى المراد بالنصوص.

٢٥٠٧- تفيد أن التلاعب والتحايل بالمصطلحات وتحريفها عن معانيها سمة بارزة لأهل الأهواء في كل زمان ومكان، وهي تنم عن بعدهم عن منهج الله القويم واتباعهم لأهوائهم وما تمليه عليهم نفوسهم المريضة وقلوبهم الميتة.

٢٥٠٨-تفيد أن التبديل لكلام الله والاستهزاء به ظلم، وناقض للاعتقاد.

٢٥٠٩-تفيد أن التبديل والزيادة فيما أمر الله به من قول قد يصدر من الفرح بامتثال قول الله، فلا يؤاخذ به الإنسان.

٢٥١٠- تفيد أن زيادة حرف في أوامر الله تبديل لشرع الله.

٢٥١١- تفيد أهمية القول من الناحية الشرعية والأمانة في نقله، وأثره على المتلقين.

٢٥١٢- تفيد أنه ليس من الأمانة تبديل قول أي قائل.

٢٥١٣- تفيد دلالة لمن قال بحرمة تبديل لفظ تعبدنا الله به بلفظ آخر ولو أتى معناه مثل: الله أكبر في افتتاح الصلاة، والسلام عليكم في الخروج منها.

٢٥١٤- تفيد الترغيب بالتزام المشروع من الأذكار.

٢٥١٥-تفيد طلب الدقة في تنفيذ أوامر الله.

٢٥١٦-تفيد أنه ينبغي على المرء أن يحرص على ما ورد من كلام الله أو كلام رسوله ﷺ.. على أكمل وجه.. سواء فيما دعا به ربه أو دعا إليه الناس.

٢٥١٧- تفيد التوكيد على تقديم قول الخالق على كل قول.

٢٥١٨- تفيد التنبيه على تصويب الألفاظ بما يتناسب مع الشرع.

٢٥١٩- تفيد أنه ليس على الرسل إلا البلاغ.. مهمتهم إيصال كلام الله وإبلاغ رسالة الله والمحرفون يأخذون جزاءهم.

٢٥٢٠- تفيد تزكية نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بأنه قال قول الله تعالى على الوجه المطلوب.

٢٥٢١-تفيد بيان طغيان وعناد بعض بني إسرائيل حيث أمرهم الله أن يقولوا حطة ليحط عنهم خطاياهم، فقالوا استهانة واستهزاء وعنادا، [حنطة]، فحرفوا وبدلوا القول، مع سهولته وخفته، فكان حرياً بهم أن يبدلوا ويحرفوا العمل، لذا كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم.

٢٠٢٢- تفيد دليلا على علو الله تعالى على خلقه.

٢٠٢٣- تفيد بياناً لسوء عقوبة الظالمين، وأن الله أنزل عليهم الرجز من السماء.

٢٠٢٤- تفيد أن الظلم والفسق من أسباب العقوبات المهلكة، وأنهما جالبان للعذاب.

٢٠٢٥- تفيد أن الخارج عن طاعة الله وأمره مستوجب لوصفي الظلم والفسق، وقد يصح عليه من الوصف ما هو مستحق له سواهما.

٢٠٢٦- تفيد توجيهاً ونصحاً للظالمين بالكف عن الظلم لأنفسهم أو لغيرهم، وتحذيرهم مما أعد الله لهم من النكال والعذاب عاجلاً كان أو آجلاً.

٢٠٢٧- تفيد أن أجواء الفسق والعصيان سبب لنزول العقوبة من الله ﷻ، ويصبح الناس مهددين بما أصاب أشياعهم من الفاسقين الغابرين.

٢٠٢٨-تفيد أن الذي يمنحك التفضيل ويسكنك الأعز من المكان ويهنيك بالعيش الرغيد.. إذا تبدلت أفعالك واختلفت أقوالك عن مراد الله... لم تكن مستحقاً لذلك الإكرام، واستبدلت نعمة الله بيديك.

٢٠٢٩- تفيد عدل الله ﷻ، وأنه لا يظلم أحداً، وأن الإنسان هو الظالم لنفسه.

٢٠٣٠- تفيد كرم الله تعالى.. حيث لم يعاقب إلا الظالم.

٢٠٣١-تفيد أن العذاب النازل من السماء من أشد أنواع العذاب.

٢٠٣٢- تفيد التحذير عن عاقبة الظلم والفسق والتمرد على أوامر الشارع، وآثارهما وعواقبهما الوخيمة في الدنيا والآخرة.

٢٠٣٣- تفيد إثبات الأسباب، وتأثيرها في مسبَّباتها؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ﴾، وأن الفسوق سبب لنُزول العذاب.

٢٠٣٤- تفيد إثبات فسوق هؤلاء بخروجهم عن طاعة الله؛ والفسق نوعان: فسق أكبر مخرج عن الملة، وضده "الإيمان"، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة:٢٠]؛ وفسق أصغر لا يخرج عن الملة، وضده "العدالة"، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡا۟ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البقرة:٦٠].

أولا: قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾.

٢٠٣٥- تفيد شفقة الأنبياء والرسل ورحمتهم بأقوامهم والحرص على نصحهم ونفعهم.

٢٠٣٦-تفيد أن الاهتمام بشؤون وحياة الناس دأب الأنبياء والصالحين.

٢٠٣٧-تفيد رأفة موسى بقومه مع سوء صنيعهم الذي تقدم ذكره في الآيات السابقة؛ وهكذا ينبغي أن يكون الداعية.

٢٠٣٨-تفيد بيان حرص موسى عليه السلام على مصالح قومه وما يعينهم على الطاعة واتباع أوامر الله، فهكذا الرسل، وينبغي أن يكون الدعاة كذلك.

٢٠٣٩- تفيد أن طلب السقيا يكون من الله تعالى.

٢٠٤٠-تفيد أن الله سبحانه وتعالى هو الملجأ للخلق؛ فهم إذا مسهم الضر يلجؤون إلى الله سبحانه وتعالى فيكفيهم.

٢٠٤١-تفيد أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - كغيرهم في الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى؛ فلا يقال: إن الرسل قادرون على كل شيء، وأنهم لا يصيبهم السوء، وإذا كان هذا حال الرسل فكيف بحال غيرهم.

٢٠٤٢- تفيد أن العبد يدعو ويطلب من الله ما يحتاج إليه، فإن الله لا يعجزه شيء.

٢٠٤٣- تفيد أن الاستسقاء في أوقات القحط سنة قديمة جاء الإسلام فأكدها.

٢٠٤٤- تفيد مشروعية الاستسقاء عند الحاجة إلى الماء؛ لأن موسى استسقى لقومه؛ وشرع من قبلنا شرع لنا إن لم يرد شرعنا بخلافه؛ فكيف وقد أتى بوفاقه؟! فقد كان النبي عليه السلام يستسقي في خطبة الجمعة، ويستسقي في الصحراء على وجه معلوم.

٢٠٤٥- تفيد أن الاستسقاء يكون بتقديم ورجاء دعاء الرجل الصالح.

٢٠٤٦- تفيد أن الدعاء سبب عظيم لحصول الرزق.

٢٠٤٧- تفيد أن الاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس القطر، وإذا كان كذلك فالحكم حينئذ إظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة النصوح، وقد استسقى نبينا محمد ﷺ، فخرج إلى المصلى متواضعًا متذللًا متخشعًا مترسلا متضرعًا وحسبك به، فكيف بنا ولا توبة معنا إلا العناد ومخالفة رب العباد فأنى نُسقى، لكن قد قال ﷺ في حديث ابن عمر: «ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا» الحديث، قاله القرطبي.

٢٥٤٨- تفيد أن هذا الاستسقاء كما هو من نعم الدنيا فهو كذلك من النعم الدينية العظيمة؛ لأنه من أظهر الدلائل على وجود الصانع وقدرته وعلمه، ومن أصدق الدلائل على صدق موسى عليه السلام، حيث استسقى موسى ربه فسقاهم بأمر خارق للعادة، ليكون لهم ذلك آية ليلزموا الإيمان والطاعة.

٢٥٤٩-تفيد أن بركة الإنسان حين يعيش حياة الناس ويتلمس حاجاتهم.

٢٥٥٠-تفيد فضل الدعاء للغير، فلا يأنف المرء من الدعاء للآخرين.

٢٥٥١-تفيد أن الله تعالى من سعة كرمه يكرم أمة كاملة بدعاء رجل صالح منهم.

٢٥٥٢- تفيد عظم الآيات التي أيَّد الله بها موسى عليه السلام بما يكشف تعنت اليهود وترددهم في الاستجابة لأمر الله مع ما رأوا من الآيات وما حفهم الله به من الإكرام.

٢٥٥٣- تفيد أن تغيير أحوال الأمم بين ساعة وأخرى بيد الله تعالى، ويمكن أن يكون بسبب بسيط يد ترفع للسماء، بسيط في نظرنا، عظيم عند الله تعالى، فأمة شارفت على الهلاك رزقت وأكرمت بدعاء.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾.

٢٥٥٤- تفيد إثبات سمع الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا﴾؛ لأن الفاء هنا للسببية؛ يعني: فلما استسقى موسى قلنا؛ فدل على أن الله سمع استسقاء موسى، فأجابه.

٢٥٥٥-تفيد إجابة الله تعالى لدعاء الأنبياء وعباده الصالحين.

٢٥٥٦-تفيد سرعة إجابة الله لطلب موسى عليه السلام وتحقيقه له في يسر ليعبد قومه الله، وهذا يبين فضل الله ونعمته على بني إسرائيل.

٢٥٥٧-تفيد أن الله سبحانه وتعالى قادر جواد؛ ولهذا أجاب الله تعالى دعاء موسى؛ لأن العاجز لا يسقي؛ والبخيل لا يعطي.

٢٥٥٨-تفيد أن الله تعالى إذا سئل يعطي فوق السؤال بما يليق بكرمه سبحانه.

٢٥٥٩-تفيد ضرورة اتباع الأسباب، وأنها لا تنافي التوكل.

٢٥٦٠-تفيد أن الأخذ بالأسباب سنة ثابتة يجب مراعاتها في كل أمر.

٢٥٦١-تفيد حكمة الله بربط الأسباب بمسبباتها، وقد كان تعالى قادرًا على تفجير الماء وفلق الحجر من غير ضرب؛ لكن أراد أن يربط المسببات بالأسباب حكمة منه للعباد في وصولهم إلى المراد.

٢٥٦٢–تفيد أن أسباب الفرج تكون أحيانًا بسبب لا يلتفت إليه حتى يعلم العبد أن الأمر بيد مسبب الأسباب.

٢٥٦٣– تفيد أنه إذا كان العبد لن يصل للعلم بما ينفعه في دنياه إلا بفضل من الله، فكيف بعلم ينفعه في آخرته، فاسأل الله واعمل بالأسباب.

٢٥٦٤– تفيد أن سقيا الله لعباده، قد تكون من الأرض وصخورها، أو من السماء وركامها.

٢٥٦٥– تفيد أن السقيا كما تكون بالمطر النازل من السماء تكون في النابع من الأرض.

٢٥٦٦– تفيد تأييد الله لأنبيائه بالمعجزات.

٢٥٦٧– تفيد أن التفضيل الذى يكون بين الأنبياء يكون في المؤيدات والمعجزات لا في أصل النبوة.

٢٥٦٨– تفيد عظمة قدرة الله تعالى الذي جعل في الحجر الأصم ماء، وفجر من الحجارة عيونًا.

٢٥٦٩– تفيد كمال قدرة الله ﷻ، حيث إن موسى ﷺ يضرب الحجر اليابس بالعصا، فيتفجر عيونًا؛ وهذا شيء لم تجر العادة بمثله؛ فهو دليل على قدرة الله ﷻ، وأنه ليس كما يزعم الطبائعيون بأنه طبيعة؛ إذ لو كانت الأمور بالطبيعة لما تغيرت، ولبقيت على ما هي عليه.

٢٥٧٠– تفيد أن الرسل لا تتردد في تنفيذ أمر الله، ولذا قال تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾بدون ذكر ضربه، لأنه تعالى لو أمر رسوله بشيء ولم يفعله الرسول لصار الرسول عاصيًا، ولأنه إذا انفجر من غير ضرب صار الأمر بالضرب بالعصا عبثًا.

٢٥٧١– يفيد ذكر الانبجاس في الأعراف، وذكر الانفجار في هذه الآية إشارة إلى أن الأولى تتحدث عن المرحلة الأولى من ظهور الماء وجريانه بشكل هادئ، بينما الآية في سورة البقرة تتحدث عن المرحلة النهائية عندما اشتد جريان الماء، لأن الانفجار يفيد الفتح والقوة بالخروج من شيء واسع، والانبجاس يفيد الانشقاق ومشقة خروج الماء فيخرج من شيء ضيق بصورة أقل من الانفجار... وفي هذا قمة التلطف بهم حتى لا يفجعوا بالانفجار، ومع ذلك حصل ما حصل منهم من كفران.

٢٥٧٢– تفيد الترغيب في الترتيب والتنظيم، فإن من حسن إدارة القوم وقيادتهم تقسيمهم وتوزيعهم، وتعيين حصة كل فريق وما يخصه، وأن التخصيص بالتوزيع يمنع التداخل المؤدي إلى الفوضى والاعتداء والظلم.

٢٥٧٣- تفيد أن العيون بعدد فرقهم حتى لا يختلفوا، وفي ذلك إشارة إلى شدة ما كان بينهم من الاختلاف بالرغم مما هم فيه من التشريد.

٢٥٧٤- تفيد أهمية اتخاذ الأسباب التي تدفع العداوة والنزاع، فحسن تنظيم القوم عند ازدحامهم على شيء مطلوب للجميع؛ لئلا يتنازعوا، ولئلا يضيع الوقت بالانتظار الكثير.

٢٥٧٥- تفيد معجزة ظاهرة لموسى عليه السلام في خروج الماء من الحجر الأصم من عدة وجوه: - أنه حجر يابس منفصل عن الأرض، - وأن الماء لا يمكن أن يكون مخزونًا فيه عادة، - وأنه يخرج منه بمجرد ضربه بالعصا بلا حفر ولا تنقيب، - وأنه يخرج منه ماء كثير يتدفق بحسب حاجة القوم ثم يتوقف عند استغنائهم، - أنه موزع على عيون بعدد قبائل بني إسرائيل.

٢٥٧٦- تفيد أن معجزة العصا والحجر، تكررت في مناسبة أخرى، بحجر يعدو وعليه ثياب موسى، وموسى عليه السلام يضربه، لا لاستخراج الماء، ولكن لأمر حصل فيه فظهرت به براءته.

٢٥٧٧- تفيد أن لعصا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام شأنًا عظيمًا ابتداءً بقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] مرورًا بـ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] و ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف:١١٧]. و ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣] و ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة:٦٠] وقال ﷺ عن موسى عليه السلام: « وطفق بالحجرِ ضربًا بعصاه، فواللهِ إن بالحجرِ لَنُدَبًا من أثرِ ضربِه » رواه البخاري.

٢٥٧٨-تفيد أن السماء ينتظر منها الناس نزول الغيث والخير، ولكنه سبحانه وتعالى أنزل منها الرجز والعذاب، وأنهم من الحجر الصلد لا ينتظرون خروج الماء، لكنه أخرجه لهم سبحانه؛ لأن الكون من جنده يستعمله كيف يشاء، فكن له كما يحب حتى يسخره لك فيما تحب، ولا تتبغض له فيسلطه عليك، ومن مأمنه يؤتى الحذر.

٢٥٧٩-تفيد أن الله تعالى سيخرج رزقك من الحجر أو السماء أو الأرض، في رزق الله ليس هناك شيء مستحيل.

٢٥٨٠-تفيد أن الذي فجَّر العيون، هو الذي يفجر لك الأرزاق، هل استسقيت الله فضله ورزقه.

٢٥٨١- تفيد أن العصا لا يكسر الحجر، والحجر المستقل ليس مصدرا للماء، فالعصا والحجر هي رزقك أنت، فإذا رزقك الله سخر لك كل شيء.

٢٥٨٢-تفيد أنك حين تطلب رزقك من السماء ليكن نظرك إلى الرازق لا كيفية وصول الرزق، فالله يعرفك مواضع رزقك، تعرّف على مخلوقات الله فقد يكون رزقك من حجر.

٢٥٨٣- تفيد أنك أعلم الناس بما هيأه الله لك من رزق فإذا فتح لك باب رزق فحافظ عليه.

٢٥٨٤- تفيد أن الحجر قد يكون أنفع لك من ذوي الروح والدم.

٢٥٨٥- تفيد أن الوسائل التي تصحبك وتصحبها حافظ عليها فربما كانت سبب رزقك.

٢٥٨٦- تفيد أن الحجر تضربه فيستجيب، وأن بعض القلوب أقسى من الحجر.

٢٥٨٧- تفيد أن العصا التي اتكأ عليها سليمان‏عليه السلام كانت ميتة، ورؤية الأسباب لم تكن كافية لبقاء سلطانه، والعصا في يد موسى‏عليه السلام، كانت أداة لكسر الحجر، وصارت ثعبانا، فنظرك إلى المسبب لا السبب.

٢٥٨٨- تفيد أن العصا صار ثعبانًا لموسى؛ فأقرب ما تأمنه هو أخوف ما تظن، فلا تسلم ما تعتقد إلى ما تظن، كن معتقدًا بعطاء الله، فالذي منحك لا يخذلك ما دمت معه.

٢٥٨٩- تفيد أن الأرزاق يخرجها الله تعالى حسب حاجة العباد وكفايتهم، ويهدي كل فريق لمكان رزقه وزمانه وحاله ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

٢٥٩٠- تفيد استحسان الوعظ والتذكير بنعم الله تعالى ونقمه في الناس.

٢٥٩١- تفيد أن الله سبحانه وتعالى يذكِّر بني إسرائيل والعباد بالنعم لأجل أن يقوموا بالشكر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾، فما فائدة نعمة لا تربط العبد بالمنعم.

٢٥٩٢-تفيد أن الماء هو سر الحياة والهناء؛ لأن الله تعالى قال بعد تفجر الماء: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ﴾.

٢٥٩٣- تفيد أن ما خلق الله تعالى من المأكول والمشروب للإنسان فالأصل فيه الإباحة، والحل؛ لأن الأمر للإباحة؛ فمن نازع في حل شيء منه فعليه الدليل.

٢٥٩٤- تفيد أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنع بما رزقه الله عز وجل.

٢٥٩٥- تفيد أن الأكل والشرب من رزق الله الحلال وسيلة إلى الإصلاح في الأرض.

٢٥٩٦- تفيد تحريم الإفساد في الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ والأصل في النهي التحريم.

٢٥٩٧- تفيد أن من أعظم كفران النعم مقابلتها بإشاعة الفساد في الأرض.

٢٥٩٨- تفيد أن نعمة الله تقابل بترك الفساد.

٢٥٩٩- تفيد أن النعم تسوق التقي للشكر، والشقي للفساد في الأرض؛ ولذا جاء النهي هنا بعد النعمة من الفساد في الأرض.

٢٦٠٠- تفيد أن ربط الرزق بالخلق جهل بالخالق الرازق، فمع أن هذا الماء انفجر بعد أن ضرب موسى عليه السلام بعصاه الحجر قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾.

٢٦٠١- تفيد أنه قد يجري الله رزقك على يد عبد من عباده.. تنعَّم به.. لكن لا تنس لحظة أنه رزق من الله لا من العبد!

٢٦٠٢- تفيد أنك إذا كنت على مائدة طعامك وشرابك استحضر فضل الرزاق.. ولا تنسك النعمة فضل المنعم عليك.

٢٦٠٣- تفيد أنه إن كان ذكر الأحبة عند الطعام والشراب يسيغه ويزيد في هناءته. فكيف به لو ذكر اسم الله عليه.. إن في القلب استحضارا أنه منه، أو على اللسان ذكرا له وابتداء باسمه؟

٢٦٠٤- تفيد أن المعجزات والكرامات تزيد ارتباط العباد بالخالق، فمع هذه المعجزة الباهرة يذكرهم الله تعالى بفضله وانعامه حتى يرتبطوا بالخالق وليس بالمخلوق الذي جرت على يده المعجزة.

٢٦٠٥- تفيد أن العلم بمكان الرزق والاهتداء إليه من النعم العظيمة التي تستوجب الشكر.

٢٦٠٦- تفيد أن تيسير أسباب الرزق والسعة فيه من النعم العظيمة التي تستوجب الشكر كذلك.

٢٦٠٧- تفيد أن النعم تحفظ بالطاعة وليس بالفساد، وأن بالفساد تزول النعم.

٢٦٠٨- تفيد من أقبح الخصال وسافل الخلال أن يقابل الإحسان بالإساءة والإفساد.

٢٦٠٩- تفيد أن من أقبح الذنوب السير في الأرض بالفساد ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ [تسيروا] على تفسير.

٢٦١٠- تفيد أن الحدود إذا حدت، والطرق إذا قسمت، فتغييرها من التعدي والفساد في الأرض.

٢٦١١- تفيد ارتباط [العثي] بالفساد في القرآن الكريم. والعثي: أشد الفساد، وقد ورد في خمس مواضع في القرآن الكريم.

٢٦١٢- تفيد أن رزقك مقسوم، ومن العثي في الأرض فسادا مزاحمة الناس وإيذاؤهم في أرزاقهم.

٢٦١٣- تفيد أن من الفساد في الأرض أكلك المال المحرم والطعام المحرم، والشرب المحرم.

٢٦١٤- تفيد بيانًا لبعض وسائل استجلاب الرزق: - اصحب الصالحين، ستنتفع ببركة دعائهم. - ثق بما عند الله سيؤتيك الله من فضله من حيث لا تحتسب. - لا تكن الجمادات أقرب إلى طاعة ربها منك فهي تؤمر فتسارع إلى الامتثال. - تنعم بما رزقت به فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس. - قد علمك الله تنظيم موارد رزقك فكن منظما. - أنت تبني جسدك بطعامك وشرابك فلا تعص الله بجسد غذي بفضل الله ونعمه. - لا يلهينك الرزق عن ذكر الرزاق فهو من رزق الله. - أن كل الطعام والشراب حلال لك إلا ما حرم عليك، فاستثمر في المباح. - اشكر الله على نعمه عليك ولا تستخدم ما رزقك في الفساد ولا الإفساد.

فائدة: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- في موضوع عصا موسى عليه السلام: «وقد جعل الله فيها أربع آيات عظيمة: أولًا: أنه يلقيها، فتكون حية تسعى، ثم يأخذها، فتعود عصا.. ثانيًا: أنه يضرب بها الحجر، فينفجر عيونًا.. ثالثًا: أنه ضرب بها البحر، فانفلق؛ فكان كل فرق كالطود العظيم. رابعًا: أنه ألقاها حين اجتمع إليه السحرة، وألقوا حبالهم، وعصيهم، فألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون».

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:٦١].

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾.

٢٦١٥- تفيد تأكيدا على توالي النعم التي أنعم بها الله على هؤلاء، والتي تستحق الشكر، ومع ذلك لم يقابلوها بما تستحق من شكر الله وطاعته.

٢٦١٦-تفيد أنه ينبغي ألا تنسى أخطاءك مع سيدك، حتى لا تكررها.

٢٦١٧- تفيد أنه ينبغي مراعاة ألفاظك والاعتناء باختيارها، فأقوالك عنده محفوظة.

٢٦١٨- تفيد أنه ينبغي أن تتأدب في حضرة الأنبياء، وألا تدعوهم بأسمائهم.

٢٦١٩-تفيد أن على المسلم التأدب في الخطاب ولا يكون كبني إسرائيل.

٢٦٢٠-تفيد سوء أدب بني إسرائيل مع الله ﷻ، ومع نبيهم موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٢٦٢١- تفيد أن سوء الأخلاق تظهر في الألفاظ ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾، ﴿لَن نَّصۡبِرَ﴾، ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

٢٦٢٢-تفيد أن الرضا بالقول يعتبر قولا للذي يرضاه، فالمخاطبون في الآية هم اليهود الموجودون زمن النبي ﷺ لكن لما كانوا موافقين لآبائهم السابقين القائلين صاروا كأنهم هم القائلون.

٢٦٢٣-تفيد وجود فوائد وحكم عديدة في نسبة الخطاب إلى الموجودين في زمن نزول القرآن الكريم، ومنها:

- أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ﷺ ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟ ".
- أن نعمة الله على المتقدمين منهم نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، فخوطبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم.
- أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها، حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثا من الجميع. لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.
- أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحِكَم التي لا يعلمها إلا الله. [قاله السعدي].

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾.

٢٦٢٤- تفيد بيان شدة الضجر وبلوغ الكراهية من بني إسرائيل حدها في أكلهم للطعام الواحد.

٢٦٢٥- تفيد لؤم بني إسرائيل، وسفههم؛ حيث إنهم طلبوا أن يغير لهم الله هذا الرزق الذي لا يوجد له نظير.

٢٦٢٦- تفيد ترف بني إسرائيل، لأن الصبر عن الطعام شاق، والصبر على الطعام سهل، ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ﴾ فعدم صبرهم على الطعام دليل ترف وانحراف.

٢٦٢٧-تفيد أن من يتصبر يصبره الله تعالى، ومن يجزع فما له من مصبر ﴿لَن نَّصۡبِرَ﴾، فلم يعطوا أنفسهم مجالًا للمحاولة.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾.

٢٦٢٨- تفيد غطرسة بني إسرائيل وجفاؤهم وسوء أدبهم لقولهم: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، كأنهم بريئون منه، فلم يقولوا: [ادع لنا ربنا]؛ مع أنهم كانوا مؤمنين، كما قالوا: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

٢٦٢٩- تفيد أن النظرة الأنانية هي التي تسيطر على قلوب أهل الاستكبار والغرور والجهل ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا﴾ أي نحن.

٢٦٣٠- تفيد أن من حرم الأدب حرم لذته، وهل ثمة أطيب من وصل اسم الله بضمير يعود عليك... ربك! أوليس هو ربهم؟.

تفيد أن من عرف قدر الكريم صاحب الفضل العظيم سأله بما يليق بعظيم عطائه وفيض إنعامه.

٢٦٣١- تفيد أن بني إسرائيل كانوا واثقين بأن مجرد دعاء النبي ﷺ يكفي ليجيبه ربه.

٢٦٣٢-تفيد جواز إسناد الشيء إلى مكانه لا إلى الفاعل الأول؛ لقولهم ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾؛ والذي ينبت حقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

٢٦٣٣-تفيد امتداد النعم من الله تعالى على عباده منذ القدم بأنواعها المتعددة المتنوعة، والأرض تخرج لكل جيل رزقه ثم يمضي، وتأتي لآخرين برزق جديد.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ﴾.

٢٦٣٤- تفيد توبيخ موسى عليه السلام لبني إسرائيل، وأن الذي يستبدل الأدنى بالذي هو خير يستحق التوبيخ؛ لأن موسى عليه السلام وبخهم، حيث قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، بل أن طلب الأدنى مع وجود خير نعم الله سوء أدب مع الله.

٢٦٣٥-تفيد أن من لم يشكر النعم فهو جدير بأن تسلب عنه ويعوض بضدها.

٢٦٣٦-تفيد أنه ينبغي أن تعظم قدر النعمة التي أنعمها الله عليك.

٢٦٣٧- تفيد أن من اختار الأدنى من الطعام على الأعلى ففيه شبه من اليهود؛ فكيف بالذي يختار الخبيث عن الطيب، والشيء المحرم على الشيء الحلال.

٢٦٣٨- تفيد أن من قدم اختياره على اختيار الله له، وآثر شهوته على ما اختاره الله له فيه صفة من صفات اليهود.

٢٦٣٩-تفيد أن من لم يرض بحسن اختيار مولاه له، فليصبر على مقاساة سوء اختياره.

٢٦٤٠-تفيد أن اختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك.

٢٦٤١-تفيد أن من عاش البطالة كان نصيبه الدنيء من الرزق.

٢٦٤٢-تفيد أن من رضي بحياة العبيد حكم على نفسه بالوضاعة والمهانة.

٢٦٤٣-تفيد أهمية رفع سقف الطلب والعزم في المسألة إذا تيقنت أن المسؤول كريم، وأن كل ما تطلبه لا يعدل ذرة في ملكه.

٢٦٤٤-تفيد أنه ينبغي على العبد أن يتخير في المسألة، ويحرص على كل طيب نافع.

٢٦٤٥-تفيد أن الاستبدال في الحياة ينبغي دائما أن يكون للذي هو أعلى وخير وليس للذي هو أدنى وشر، وإذا كان للعبد خيار وإلا فيرضى بما قسم الله تعالى له؛ وذلك في طعام أو سيارة أو زوجة أو وظيفة، فإن ذلك من أسباب السرور والانشراح، وهو دليل على العقل والوعي بسنن السعادة في الحياة، ولهذا استنكر عليه موسى عليه السلام انحرافهم في الاختيار.

٢٦٤٦-تفيد أن ما أعده الله لعباده في السماء أفضل مما أخرجه لهم من الأرض، ولذلك كان من النعيم الذي يجزي به أهل الايمان.

٢٦٤٧- تفيد أن الجزاء من جنس العمل.

٢٦٤٨- تفيد أن من علوّ همة المرء أن ينظر للأكمل والأفضل في كل الأمور، كما قال تعالى عن فتية أصحاب الكهف ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف:١٩].

٢٦٤٩- تفيد أن بعض الطعام أنفع للإنسان من بعض.

٢٦٥٠- تفيد أن الطعام الذي يتعوده المرء تكون عنده رغبة فيه، وإن كان خسيسًا فوق رغبته فيما لم يعتده وإن كان شريفًا؛ ولذا تجد أن الطعام الذي يكون ألذ الأطعمة عند قوم قد يكون أخسها عند آخرين، ولكن الطعام الذي خصهم الله به أطيب الطعام لمن طابت نفسه.

٢٦٥١-تفيد أن التوسع في المآكل، والمشارب، واختيار الأفضل منها إذا لم يصل إلى حد الإسراف ليس مذموما.

٢٦٥٢-تفيد حِلّ البقول والقثاء، والفوم، والعدس، والبصل؛ لقولهم: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي من الأصناف المذكورة.. فهذه الأصناف مباحة في شريعة موسى عليه السلام؛ وكذلك في شريعتنا، وما ورد من كراهية بعضها لتعلق ذلك بالمساجد.

٢٦٥٣-تفيد أن هنالك قواسم مشتركة بين الشعوب في الطعام، وبعد ذلك تكون الخصوصية لبعض الناس، فالذي طلبوه موجود في كل مصر.

٢٦٥٤- تفيد أنه يجوز للإنسان أن يعتذر عن الوساطة إذا لم يكن لها داعٍ؛ لأنه قال: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾؛ وكأنه قال: لا حاجة أن أدعو الله أن يخرج لكم مما تنبت الأرض لتوفره في كل مصر.

٢٦٥٥- تفيد أن العبد قد يرفعه الله تعالى نعمة وقدرًا وحالًا، لكنه يهبط بسبب سوء سلوكه ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾.

٢٦٥٦-تفيد أنه لو لم يكن من العقوبة إلا أن يخليك وما تريد لكان كافيًا.

خامسًا: قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

٢٦٥٧-تفيد أن اليهود قد ضربت عليهم المسكنة وهي الفقر؛ ويشمل فقر القلوب الذي هو شدة الطمع بحيث أن اليهودي لا يشبع، ولا يتوقف عن طلب المال ولو كان من أكثر الناس مالًا؛ ويشمل أيضًا فقر المال وهو قلته، وذلك لأن أموالهم غير مباركة، والله اعلم.

٢٦٥٨-تفيد أن من بدل نعمة الله كفرا ألبسه الله ثوب الذل والفقر في حياته.

٢٦٥٩-تفيد أن غضب الله تعالى متعلق بأسبابه ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وذكرت هنا أربعة أسباب من أسباب غضبه تعالى. والعاقل من يتجنب ما يوجب غضب الحليم.

٢٦٦٠-تفيد أن الأنبياء لا يملكون من الأمر شيئا غير الدعوة والدعاء، الدعوة للهدى والدعاء لتحقيق ما يرجى، وأن ادِّعاء البعض لتصريف بعض أمور الكون نوع من الكذب والتدليس على الخلق والتعدي على حقوق الرب تعالى.

٢٦٦١-تفيد عظم جرم بني إسرائيل، وغلظة قلوبهم؛ لأن قتل النبيين لا يمكن أن يكون بحق أبدا.

٢٦٦٢-تفيد أنهم كانوا يقتلون النبي، وهم يعلمون أنه نبي، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

٢٦٦٣-تفيد شناعة قتل الأنبياء فقوله ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾زيادة شناعة، وإلا فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، ولم يأت نبي قط بشيء يوجب قتله؛ لكنه ذكر هذا القيد ليبين أنهم قتلوهم وهم عالمين بقبحه ومع ذلك فقد فعلوه، ويلحق بذلك شناعة قتل العلماء لأنهم ورثة الأنبياء.

٢٦٦٤- تفيد أن في قتل بني إسرائيل لأنبيائهم كرامة للأنبياء وزيادة في منازلهم وليس ذلك بخذلان لهم.

٢٦٦٥-تفيد أن قتل اليهود لأبناء المسلمين في فلسطين أمر متوقع بعد قتلهم الأنبياء بغير الحق.

٢٦٦٦-تفيد أن الداعية إلى الله مهما علت منزلته معرض للابتلاء، وحتى القتل.

٢٦٦٧-تفيد أن من أهان حملة الشرع وانتقصهم وتجرأ على أذيتهم، وتمادى إلى أن وصل به الحال إلى قتلهم فقد استوجب غضب الله وسخطه.

٢٦٦٨- تفيد عظم الازدراء بالدعاة، والتعاظم عليهم، لأن نتيجة ذلك وخيمة، وغايتها الإذلال والإهانة.

٢٦٦٩-تفيد أن صغار الذنوب إن دووم عليها تؤدي إلى كبارها.

٢٦٧٠-تفيد أن المعاصي يجر بعضها بعضا، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العافية من كل بلاء.

٢٦٧١-تفيد أن الله تعالى ضرب الذلة على بني إسرائيل؛ وأنهم لا يقومون للمسلمين لو حاربوهم من قبل الإسلام؛ وإحاطة الذلة والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مقيدًا بما لم يكن لهم حبل

من الله: وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس: وهو حماية دولة قوية لهم، وهي المساعدات الخارجية كما يحدث الآن، ومن هنا فإن زوال إسرائيل يكون برفع رآية الجهاد في سبيل الله، وقطع المعونات الخارجية لهم.

٢٦٧٢–تفيد إثبات صفة الغضب لله تعالى؛ وغضب الله سبحانه وتعالى صفة من صفاته؛ لكنها لا تماثل صفات المخلوقين؛ لأن الله ليس كمثله شيء؛ بل هو غضب يليق بالله ﷻ دال على كمال عظمته، وسلطانه.

٢٦٧٣–تفيد ذم الأخلاق السيئة والتنديد بأهلها للعظة والاعتبار.

٢٦٧٤–يفيد التنديد بكبائر الذنوب؛ كالكفر، وقتل النفس بغير الحق لا سيما قتل الأنبياء أو خلفائهم وهم العلماء الآمرون بالعدل في الآمة.

٢٦٧٥– تفيد خطورة الكفر بآيات الله تعالى وعدم الإيمان بما أنزل الله وهو من أعظم الذنوب والمعاصي.

٢٦٧٦–تفيد خطورة العصيان والتمرد على أوامر الله تعالى.

٢٦٧٧– تفيد أن الغفلة عن شكر النعم يؤدي إلى الكفر والملل منها وعدم رعايتها وتقديرها.

٢٦٧٨– تفيد أن التعدي على حقوق الخلق صفة قديمة ومتصلة عند اليهود ﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ فلا نتعجب ونستنكر ونظن أن ذلك سيغير من الأمر شيئا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢].

٢٦٧٩–تفيد دقة المناسبة بين هذه الآية وما قبلها، فإن الله ﷻ بعد أن بين ما حل باليهود من عقوبات بسبب جحودهم لنعم الله، وكفرهم بآياته – أردف ذلك بما وعد به المؤمنين من جزيل الثواب، فبيَّن أن من آمن منهم، وعمل صالحًا فإن الله لا يضيع أجره.

٢٦٨٠–تفيد عظمة القرآن الكريم ودقته في البيان بما يزيل كل توهم وإشكال؛ لأن الله تعالى لما بعد ما ذكر قبائح بني إسرائيل في الآيات السابقة وذمهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فبين تعالى من لم يلحقه الذم منهم بوصفه. وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها.

٢٦٨١–تفيد بيان ما يترتب على الإيمان والعمل الصالح من ثواب جزيل، وعاقبة حميدة.

٢٦٨٢–تفيد أنه إذا ذكرت طائفة بالشر، وكان منهم أهل خير فإنه ينبغي ذكر أولئك الذين اتصفوا بالخير حتى لا يكون قدحًا عامًا.

٢٦٨٣–تفيد أن الأمم السابقة أمرت بالإيمان والعمل الصالح، ووعدت حال الامتثال بعدم الحزن على ما يفوتهم، وعدم الخوف مما يأتي عليهم.

٢٦٨٤–تفيد أن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، وصدقه العمل ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

٢٦٨٥–يفيد البدء بذكر المؤمنين اهتمامًا بشأنهم؛ ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين، فلا يذكر أهل الخير إلا ويذكرون معهم.. ولأنهم القدوة لغيرهم.

٢٦٨٦–تفيد منزلة المؤمنين بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام حيث قدمهم في الذكر؛ لأن المراد بالذين آمنوا، أي الذين آمنوا بالنبي ﷺ، وصدقوه واتبعوه؛ لأنهم هم الذين يستحقون الوصف بالإيمان المطلق، حيث آمنوا بجميع الكتب والرسل.

٢٦٨٧–تفيد أن المعنى المناسب هنا والأرجح لكلمة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا: إنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى ملة إبراهيم، واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم خلافًا للأقوال الأخرى. والله أعلم.

٢٦٨٨–تفيد أن النسب والانتساب إلى الدين لا يؤهل للسعادة في الدار الآخرة، وإنما يؤهل الإيمان الصحيح والعمل الصالح، إذ بهما تزكوا النفس وتطهر، فتتأهل لجوار الله تعالى في الملكوت الأعلى.

٢٦٨٩–تفيد أنه لا فرق بين الأجناس متى ما آمنوا بالله واليوم الآخر مع عظم أجر المؤمنين.

٢٦٩٠–تفيد أن كل من ينتمي إلى دين صحيح في أصله بحيث يؤمن بالله واليوم الآخر ويقدم العمل الصالح على الوجه الذي يرشده إليه دينه، قبل بعثة محمدﷺ فله أجره على ذلك عند ربه. أما الذين بلغتهم دعوة الإسلام من تلك الفرق ولكنهم لم يقبلوها فإنهم لا يكونون ناجين من عذاب الله، لأن الله تعالى لا يقبل بعد ذلك غير الإسلام دينا.

٢٦٩١–تفيد أن في عطف الإيمان باليوم الآخر على الإيمان بالله تعالى، وكذلك في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى دلالة على أهمية هذا الركن، وعظيم أثره وغفلة الناس عنه، فهم في حاجة دائما إلى التذكير به فحري بورثة الأنبياء والدعاة الى الله أن يكون التذكير بذلك حاضرا وبكثافة في أذهانهم وفي خطاباتهم وجميع شؤونهم.

٢٦٩٢–تفيد أن من تحلى بالإيمان، واجتهد بالعمل استحق التكريم، وفاز بعظيم بالأجر.

٢٦٩٣– تفيد أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدًا، فكل من آمن بالله واليوم الآخر فإن له أجره من أيّ صنف كان، كل في زمانه حسب ما جاءه من تكليف ودين.

٢٦٩٤–يفيد قوله ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ تشريفا وتكريما وعناية، وكفالة، وضمانا والتزاما بالأجر من الله تعالى، ولأن المضاف إليه أكرم الكرماء فلا يفوت الأجر الكائن عنده.

٢٦٩٥– تفيد عظم أجر الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ وذلك لأن إضافة الأجر في قوله ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ ليدل على عظم الثواب، وأنه متيقن مأمون الفوات؛ لأن ما يكون عند الله من الجزاء على العمل يكون عظيمًا؛ لأن المجازي لهم هو ربهم المنعوت بصفات الكرم وسعة العطاء.

٢٦٩٦–تفيد أن الله ﷻ إذا رضي عن العبد بشره ببشارة عظمى اطمأن على مستقبله، ولا يتحسر، ولا يندم على ماضيه.

٢٦٩٧– تفيد ارتباط الأسباب بالمسببات ومعنى الحكمة المشهورة [اعمل.. تلق] ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

٢٦٩٨–تفيد أنه لا أمن ولا سعادة ولا طمأنينة إلا بالإيمان والعمل الصالح، فالمؤمن في أمان الله، ومن كان في أمانه – سبحانه– فحري به ألا يخاف ولا يحزن!.

٢٦٩٩–تفيد أن نفي الخوف والحزن قد تكرر في سورة البقرة ست مرات تقريبا، ومنها هذا الموضع، وفي هذا التكرار تأكيد لأهمية نفي هاتين الصفتين عن المؤمنين، كما أن في ذلك عناية بالسبب الذي من أجله ينعم المؤمن بالبعد عن الخوف والحزن.

٢٧٠٠–تفيد أن الخوف والحزن من أشقّ الأشياء وأضرها على الإنسان، ولذلك نفاها الله تعالى عن أهل الإيمان والتقوى في آيات كثيرة، وقد كان النبي ﷺ يكثر من التعوذ من الخوف والحزن، والخوف يكون مما يستقبل والحزن يكون على ما مضى فإذا انتفيا عن الإنسان كان في سعادة عظيمة وكان ابن يومه معتنيا بمصالحه لا يعيش في حزن الماضي ولا خوف وهم المستقبل.

٢٧٠١-تفيد أن أهل الإيمان الصحيح والاستقامة على شرع الله الحق مبشرون بنفي الخوف عنهم والحزن وإذا انتفى الخوف حصل الأمن، وإذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة.

٢٧٠٢- تفيد دلالة صريحة على رد دعوى دعاة وحدة الأديان، وأنها جميعا طرق مؤدية إلى الجنة؛ لأن الله تعالى شرط النجاة بالإيمان بالله واليوم الآخر وبالعمل الصالح. ولا يتحقق الإيمان بالله إلا بالإيمان بما أمر الله به ومن ذلك الإيمان بنبوة محمد ﷺ ونسخ شريعته للشرائع قبله، ولا يتحقق العمل الصالح إلا باتباع شريعة محمد ﷺ الناسخة لجميع الشرائع قبلها. وكل عمل تعبدي يخالف ما بعث به نبينا ﷺ فليس بصالح « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ». وبهذا تتحقق القاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام نتيجة لاستقراء شُبه الخصوم وهي أنه: ما من مبطل يستدل على باطله بدليل من الكتاب أو السنة إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على بطلان استدلاله ودعواه عَلِمَه من علمه وجهله من جهله.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٦٣].

٢٧٠٣- تفيد بيان ما كان عليه أولئك القوم من صلف وعناد ومكابرة فلم يعملوا بالتوراة حتى رفع الله تعالى فوقهم الجبل فأصبح كالظلة فوق رؤوسهم.

٢٧٠٤-تفيد تذكير الله تبارك وتعالى لبني إسرائيل بما أخذ عليهم من عهد؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾؛ وهذا التذكير مقتضاه الإلزام. أي فالتزموا بالميثاق الذي أخذ على الآباء.

٢٧٠٥-تفيد عظيم حلم الله ﷻ على بني إسرائيل وإمهاله لهم.

٢٧٠٦- تفيد أن في ابتلاء أهل الإيمان تمييزا للخبيث من الطيب.

٢٧٠٧- تفيد أن الله تبارك وتعالى يطالب العباد بالطاعة ولزومها استنادا لميثاق أخذه عليهم.

٢٧٠٨- تفيد توجيهًا لإبرام العقود والالتزام بالمواثيق.

٢٧٠٩- تفيد أن الميثاق يوجب قوة الالتزام به، وعدم التفريط بجزئية منه.

٢٧١٠- تفيد أن وجود الميثاق حامل على التطبيق.

٢٧١١- تفيد أن استحضار الميثاق يورث التقوى.

٢٧١٢- تفيد أن العهد مع الله يستلزم وفاءه بكل جزئياته.

٢٧١٣- تفيد أن الدين عهد وميثاق بين العبد وربه، فمن تمسك به نجا ومن تركه هلك.

٢٧١٤- تفيد أنه لا بد أن تخضع العقود والمواثيق لقوة تلزم بالوفاء بها.

٢٧١٥- تفيد عتوّ بني إسرائيل، حيث لم يأخذوا أمر الله مأخذ الجد إلا حين رفع فوقهم الطور كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم.. وهذا ليس من الإلجاء والإجبار في شيء إذ ليس نصب الآيات والمعجزات والتخويف من الإلجاء، وإنما هو دلالة وبرهان على صدق الرسول وصحة ما جاء به.

٢٧١٦- تفيد بيانا لقوة الله ﷻ وقدرته لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ فلا أحد من الخلق يستطيع أن يحمل ذلك الجبل، ويجعله ظلة لا يسقط عليهم إلا الله ﷻ؛ فالأحجار العظيمة الثقيلة الكبيرة أمسكها الله تعالى بقدرته ولم يقع شيء منها عليهم.

٢٧١٧- تفيد وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق وهي من المسؤولية بمكان، خاصة عهود الدين.

٢٧١٨- تفيد رحمة الله بالعباد حيث أرسل الرسل وأنزل الكتب لكي يتقي العباد الوقوع في النار.

٢٧١٩- تفيد أن المقصود من إنزال الكتب هو العمل بمقتضاها لا تلاوتها باللسان وترتيلها فقط، فإن ذلك نبذ لها.

٢٧٢٠- تفيد أن الواجب على الأمة أفرادًا وجماعات أن يأخذوا كتابهم بقوة لا بضعف ولين، ومداهنة؛ بل لابد من قوة في التطبيق، والدعوة.

٢٧٢١- تفيد وجوب أخذ أحكام الشرع بحزم وجد، وذكرها وعدم نسيانها أو تناسيها، فإنها عهود ومواثيق بين العبد وربه.

٢٧٢٢- تفيد أن الله أعطى عباده الوسع والطاقة ليقوموا بدور الدعوة والاصلاح.

٢٧٢٣- تفيد أن مهمة الانسان في هذه الأرض لابد أن تضاعف فيها الجهود لتكون مهمة ناجحة.

٢٧٢٤- تفيد أن من ثبت لديه صحة الدليل وجب عليه التمسك به والعمل بموجبه.

٢٧٢٥- تفيد أن الأخذ بالكتاب المنزّل يوجب التقوى؛ لقوله تعالى:﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي لأجل أن تكونوا من المتقين لله ﷻ.

٢٧٢٦- تفيد أنه مع أخذ العهد بقوة وجِد.. لابد مع هذا من تذكر ما فيه، واستشعار حقيقته، والتكيف بهذه الحقيقة كي لا يكون الأمر كله مجرد حماسة وحمية.

٢٧٢٧-تفيد أن الجدية سبب من أسباب الفلاح والتوفيق.

٢٧٢٨- يفيد تخصيص المتقين بالموعظة؛ لأنهم أحياء القلوب وذوو بصائر نيرة، فيشاهدون آثار المعاصي في أصحابها فيتقونها ويبتعدون عنها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة:٦٤].

٢٧٢٩- تفيد إظهارا لحال اليهود، وكثرة تعديهم على حرمات الله.

٢٧٣٠- تفيد أن الطبع غالبا ما يغلب التطبع، وأن اليهود طبعت قلوبهم على الغدر.

٢٧٣١- تفيد إقامة الحجة على بني إسرائيل وبيان سبب غضب الله عليهم.

٢٧٣٢- تفيد الإنصاف في الحكم على الناس وعدم التعميم.

٢٧٣٣- تفيد أن الإنسان مهما عتا وتجبر فإن رحمة الله وفضله ربما تدركانه قبل هلاكه وخسرانه.

٢٧٣٤- تفيد أن الله يريد أن يرحمنا ويتفضل علينا ولكن الكثير منا يعمل بما يوجب له الحرمان من ذلك.

٢٧٣٥- تفيد خطورة الجهل بالمآل، وعاقبة التفريط بالميثاق.

٢٧٣٦-تفيد ترغيبًا لرجاء فضل الله تعالى من خلال تفضله على المعرضين من بني إسرائيل ورحمته بالعاصين منهم.

٢٧٣٧- تفيد عظم وكمال رحمة الله تعالى، وسعة فضله الذي يتفضل بإعطاء الفرص، الفرصة تلو الفرصة ليعود من تولى وأعرض، وأن ذلك من أسباب النجاة من العذاب الذي انعقدت أسبابه.

٢٧٣٨- تفيد عنايته سبحانه بخلقه ليكونوا من الفائزين لا من الخاسرين.

٢٧٣٩- تفيد أن التولي بعد رؤية الآيات وإقامة الحجج والبينات من صفات الخاسرين.

٢٧٤٠- تفيد أن الأسباب غير مؤثرة بذاتها، فتولي بني إسرائيل مستوجب لخسارتهم لكن ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٢٧٤١- تفيد أن النجاة والسعادة والتوفيق هي محض فضل الله، والله ذو الفضل العظيم.

٢٧٤٢- تفيد أن الله لا يظلم أحدا، وأن العباد يظلمون أنفسهم بالتولي والاعراض والمعاصي، والله ﷻ يمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٦٥-٦٦].

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

٢٧٤٣- تفيد مناسبة لما قبلها، حيث لا زالت الآيات تترى في نعم الله على بني إسرائيل ليثبتوا على الميثاق الذي التزموا به، وهو العمل بما في التوراة، فهنا يذكرهم الله ﷻ بقصة أصحاب السبت، وهم أصحاب القرية التي جاء ذكرها في سورة الأعراف [الآية:١٦٣]، حيث عظم الله لهم يوم السبت، ونهاهم عن الصيد فيه، فاحتالوا على ذلك بوضع شباكهم قبل السبت؛ ليأخذوها بعد السبت، حيث تكثر الأسماك يوم السبت، فتحايل هؤلاء على الشرع كان سببا لمسخهم قرودا، فاتعظوا يا بني إسرائيل من هؤلاء، واعملوا بالتوراة حتى لا يحل عليكم من العذاب والنكال، ما حل بهم، فإن الله قد جعل قصتهم عبرة وعظة لمن أراد أن يتقي العذاب فاتعظوا بها.

٢٧٤٤- تفيد مناسبة لما قبلها، فبعد أن أقام الله الحجة على بني إسرائيل وأعذر الله إليهم، وأعرضوا عن الفرص التي تفضل الله بها عليهم، جاءهم منه الخزي والعذاب.

٢٧٤٥-تفيد أن اليهود يعلمون هذه القصص وما فيها من النكال والعذاب، ومع ذلك لا يتعظون ولا يتركون الفساد والإفساد، فما أقسى قلوبهم، وما أعظم غفلتهم، فعلينا أن نتذكر أيام الله وبأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

٢٧٤٦-تفيد توبيخا لليهود الموجودين في عهد الرسول ﷺ على عدم الإيمان به؛ ووجه ذلك أنهم علموا ما حلّ بأسلافهم من النكال بسبب المخالفة؛ فكان عليهم أن يكون ذلك موعظة لهم يرتدعون بها عن معصية الله ورسوله.

٢٧٤٧-تفيد أن العلم إما أن يكون حجة لك أو حجة عليك.

٢٧٤٨- تفيد أنه ينبغي أن تعتبر بقصص الغابرين، وتتعظ بعاقبة المخطئين المفسدين.

٢٧٤٩- تفيد حرمة الاحتيال لإباحة المحرم، وسوء عاقبة المحتالين المعتدين.

٢٧٥٠- تفيد أصلا في المنع من التحايل على الشرع والتذكير بالوعيد لما حصل لأصحابه، وجاءت الآية بعدها لبيان أنهم لم يتعظوا بتخويف نبيهم، فلم يتقوا، وإنما يتعظ من يتقي فينتفع.

٢٧٥١- تفيد أن التحايل على الشرع وانتهاك الحرمات عدوان؛ لأن الله تعالى قال: ﴿اعْتَدَوْا﴾.

٢٧٥٢- تفيد تحريمًا للحيل، وأن المتحيل على المحارم لا يخرج عن العدوان؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾؛ بل الحيل على فعل محرم أعظم إثمًا من إتيان المحرم على وجه صريح؛ لأنه جمع بين المعصية والخداع؛ ولهذا كان المنافقون أشد جرمًا وعداوة للمؤمنين من الكفار الصرحاء.

٢٧٥٣- تفيد إثبات القول لله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

٢٧٥٤- تفيد بيانًا لقدرة الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾فكانوا في لحظة قردة.

٢٧٥٥- تفيد أن الذين مسخوا قردة من هذه القرية هم الذين اعتدوا في السبت؛ وأما الذين نَهوا عن السوء فقد نجوا.

٢٧٥٦-تفيد أن الذي يعتدي على محارم الله يقع في الخسة والمهانة.

٢٧٥٧-تفيد أن العذاب يقع على صاحب صفات وممارسات معينة.

٢٧٥٨- تفيد أن الجزاء من جنس العمل، فهم لما فعلوا ما نهاهم عنه، مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناس في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة. فكذلك أعمال هؤلاء وحيلهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر، ومخالفة له في الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم.

٢٧٥٩- تفيد حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ لأن عقوبة هؤلاء المتحيلين أنهم مسخوا قردة خاسئين.

٢٧٦٠- تفيد أن استحكام العقوبة فيهم دلالة على قدرة المنتقم، ولا يتعظ بذلك إلا من حسن محل الفقه عنده، وأما من تجبر فنظرته لتلك العقوبات نظر قاصر وإلا لما ظلم ظالم، ولما تجبر متجبر، وهذا ظاهر في كل عصر ومكان.

٢٧٦١- تفيد أنه ينبغي أن تحذر أن يراك مولاك في مواطن الخزي، وألا تعرض نفسك لغضبه وسخطه.

٢٧٦٢-تفيد أنه على هذه الأمة أن تتعظ بما حصل لهؤلاء، وسيكون في هذه الأمة مسخ، ويلاحظ ارتباطه في هذه الأمة بالغناء والموسيقى ومن ذلك حديث: «سيكون في أمتي خسف وقذف ومسخ، قالوا:متى ذلك يا رسول الله؟ قال:إذا ظهرت المعازف واتخذت القينات».

٢٧٦٣- يفيد ذكر القردة إبطالا لنظرية دارون في أن أصل الإنسان إنما هو قرد.

٢٧٦٤- تفيد أن الذي يعلم عاقبة الاعتداء على محارم الله ثم يقع فيها عنادا وإعراضا أشد إثما وأعظم جرما

٢٧٦٥-تفيد بيان الذلة والصغار لمن خالف أمر الله ﷻ، والحذر من مخالفة أمره ﷻ حتى لا يقع به ما وقع بأولئك القوم.

٢٧٦٦- تفيد مع قول النبيﷺ: إن الله تعالى لم يجعل لمسخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك، خطأ عبارة تسمية اليهود بأبناء القردة والخنازير، وإنما الصحيح يا إخوان القردة والخنازير، فالممسوخ لا نسل له.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٢٧٦٧-تفيد أن العقوبات فيها تنكيل لغير العامل؛ ولهذا يقص الله علينا من نبأ المكذبين للرسل ما يكون لنا فيه عبرة.

٢٧٦٨-تفيد أن الحدود الشرعية نكال للفاعل أن يعود مرة أخرى إلى هذا الذنب، ولغير الفاعل.

٢٧٦٩-يفيد قوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ في جميع القرآن: المتقدم زمانا أو مكانا، وهي في الزمان بمعنى قبل، وفي المكان بمعنى أمام.

٢٧٧٠-تفيد العذاب الذي يقع على المفسدين يتعظ به المتقون.

٢٧٧١-تفيد أن الموعظة يحتاجها المتقون وينتفعون بها.

٢٧٧٢- تفيد أن في العذاب موعظة وتسلية، موعظة للمؤمن خشية أن يقع عليه... وتسلية للمؤمن عندما يدرك أن تأخر عذاب الظالم المفسد لحكمة يريدها الخالق الحكيم الحليم سبحانه وأنه واقع لا محالة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧].

٢٧٧٣- تفيد توبيخا للمخاطبين من بني اسرائيل في نقض أسلافهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه.

٢٧٧٤- تفيد إظهارا لعظمة الله تعالى وتأييدا نبيه موسى عليه السلام.

٢٧٧٥-تفيد أن الداعية يتودد إلى المدعوين، ويقربهم إليه بوصفهم [قومه].

٢٧٧٦- تفيد رحمة الأنبياء بأقوامهم، وحرصهم على إبعادهم عن كل ألوان الشر، ودفع الأذى عنهم بكل وسيلة ممكنة.

٢٧٧٧- تفيد أن مهمة الأنبياء الأولى هي ربط المدعوين بالله تبارك وتعالى.

٢٧٧٨– تفيد أنه ينبغي للداعية أن يسلك الأسباب التي تؤدي إلى قبول الأمر، أو الخبر؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾.

٢٧٧٩– تفيد التأكيد على ضرورة الالتزام بطاعة الله والاستجابة لأوامره.

٢٧٨٠– تفيد أنه إذا جاء الأمر في الشرع بصورة صريحة، فلا مجال للعقول إلا التسليم.

٢٧٨١– يفيد اختيار لفظ الجلالة "الله" لما فيه من المهابة والإجلال والتعظيم ما ليس في غيره.

٢٧٨٢– تفيد أن أعظم الأسماء تأثيرًا على قلب المدعو هو "الله"؛ لذا اختاره موسى كليم الله وهو أعلم الخلق في زمانه بالله.

٢٧٨٣– تفيد أن التشريعات تصدر عن الله تبارك وتعالى.

٢٧٨٤– تفيد أن في إسناد الأوامر إلى الله تعالى زيادة لقدسيتها وتعظيما لحرمتها.

٢٧٨٥– تفيد أن العالم يعظم أمر الله تعالى، ويستجيب له، والجاهل بخلاف ذلك.

٢٧٨٦–تفيد أن ربط الحكم الشرعي بالآمر العظيم، واقترانه باسم الله، أعظم من إلقاء الحكم مجردًا عن ذلك لما تلقيه لفظة الجلالة من المهابة في قلب المؤمن فتحمله على الامتثال والإذعان.

٢٧٨٧– تفيد أن من يعظم الله يعظم أمره، ومن لا يدرك عظمة الله لا يعظم أمره.

٢٧٨٨– تفيد دليلا على وجوب تنفيذ الأوامر والمستحبات واجتناب المنهيات ولو لم ندرك العلة من ذلك.

٢٧٨٩– تفيد أنه لا يلزم أن تظهر الحكمة من الأمور التعبدية للعباد في حضور الحكمة، الأهم: الاستجابة لأوامر الله.

٢٧٩٠– تفيد ضرورة التزام أوامر الله تعالى دون مماطلة ولا مجادلة.

٢٧٩١– تفيد أن البقر تذبح ولا تنحر، كالإبل وفي المسألة خلاف.

٢٧٩٢– تفيد استهتار بني إسرائيل حيث قالوا لنبيهم ﷺ: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾وقد أخبرهم أن الله تعالى أمرهم أن يذبحوا بقرة؛ فلم يحملوا هذا محمل الجدّ مع أن الواجب أن يحملوا هذا محمل الجدّ؛ لأنه أمر من الله ﷻ.

٢٧٩٣– تفيد أنهم إنما أمروا - والله أعلم - بذبح بقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كان يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته.

٢٧٩٤- تفيد أنه لا يهم أن تكون البقرة موضع استهزائهم، أو الآمر أو نوعية الأمر فلو عظَّم السائلون الآمر لانقطعت منهم السخرية.

٢٧٩٥- تفيد أنه متى قام في القلب صحة السؤال استقر في القلب صحة الجواب.

٢٧٩٦- تفيد دليلا على وقوع النسخ في الأمم السابقة حيث كان يجزئهم ذبح أية بقرة، فلما سألوا رسولهم تعنتا شدد الله عليهم، ونسخ أمره المطلق إلى المقيد، وفي هذا إشارة إلى بطلان إنكارهم النسخ واعتراضهم عليه في آية تحويل القبلة التي بعد ذلك.

٢٧٩٧- تفيد دليلا على جواز النسخ قبل وقت الفعل؛ لأنه لما أمر ببقرة اقتضى أي بقرة كانت، فلما زاد في الصفة نسخ الحكم الأول بغيره، كما لو قال: في ثلاثين من الإبل بنت مخاض، ثم نسخه بابنة لبون أو حقة. وكذلك هاهنا لما عين الصفة صار ذلك نسخا للحكم المتقدم.

٢٧٩٨- تفيد أن مقتضى الأمر الوجوب، وأن الأمر على الفور، وهو مذهب أكثر الفقهاء، ويدل على صحة ذلك أنه تعالى استقصرهم حين لم يبادروا إلى فعل ما أمروا به فقال: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وقيل: لا، بل على التراخي؛ لأنه لم يعنفهم على التأخير والمراجعة في الخطاب. [قاله ابن خويز منداد].

٢٧٩٩- تفيد دليلا على قاعدة النكرة في سياق الإثبات تدل على الإطلاق، فلو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، لكنهم شددوا وتعنتوا فشدد الله عليهم.

٢٨٠٠-تفيد دليلا على جواز ذبح أنثى البقر.

٢٨٠١- تفيد إظهارا لخبث اليهود وسوء أدبهم مع أنبيائهم.

٢٨٠٢-تفيد أنه لما ساءت فعالهم ساءت ظنونهم؛ فلما كانوا يتخذون آيات الله هزوا، وينسبون لدين الله ما ليس منه، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله؛ ظنوا بنبي الله وكليمه ما لا يليق من الهزء بآيات الله، والعبث بأوامره، ونسبة ما ليس منه إليه، وقد قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ..﴾.

٢٨٠٣- تفيد أن الاستهزاء بالناس جهل؛ لذلك قال موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

٢٨٠٤- تفيد أن الاستهزاء بالآخرين ليس من خلق الدعاة.

٢٨٠٥- تفيد أن الجاهل لا يعرف قدر الرسل، ولا كيف يخاطبهم ويخاطب الكرام من الناس.

٢٨٠٦–تفيد أن هذا النوع من الجهل ينبغي أن يتنزه عنه العلماء؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء.

٢٨٠٧– تفيد أن الجهل من أقبح الصفات التي ذمها الله ورسله، وأنه سبب لكثير من الذنوب والخطايا.

٢٨٠٨– تفيد أن الأنبياء مبرأون من الجهالة.

٢٨٠٩– تفيد دليلا على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد. وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل، ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والأئمة بعده

٢٨١٠–تفيد أهمية الاستعاذة بالله من سيء الأخلاق.

٢٨١١–تفيد دليلا على أن الاستعاذة عبادة، ولا تكون إلا لله ﷻ، وأن الأنبياء والمرسلين كانوا يستعيذون بالله وحده.

٢٨١٢– تفيد دليلا على قبح الجهل، وأنه مفسد للدين، والمروءة.

٢٨١٣– تفيد أن الهزل في موطن الجد جهل.

٢٨١٤–تفيد أن على العالم إذا ابتلي بمن يتهمه أن يظهر براءته من أقصر طريق من غير تزكية لنفسه ولا إظهار سابقته وفضله إلا اذا اقتضى الأمر ذلك.

٢٨١٥–تفيد أن جميع الخلق محتاجون إلى الله تعالى، وإلى الاعتصام به ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

٢٨١٦–تفيد أن الاستعاذة بالله من النقائص التي يرمى بها الإنسان مستحب لأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد خلافه في شرعنا.

٢٨١٧– تفيد بيان صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام على أقوامهم، وتحملهم الأذى والعنت منهم.

٢٨١٨– تفيد أن مقابلة السفهاء بالحلم، والجهلاء بالعلم والرفق والصبر وعدم العنف، هو شأن من تواضع، وزكت نفسه، وذلت لله، فإن موسى الكليم عليه السلام لم يعرض، ولم يصرح بقلة أدبهم وجرأتهم ورحم الله موسى عليه السلام أوذي بأكثر من هذا فصبر.

٢٨١٩–تفيد أن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى أن الاستهزاء بمثله من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ [البقرة:٦٨].

٢٨٢٠- تفيد تأكيدا لتعنت واستكبار بني إسرائيل وسوء أدبهم مع نبيهم ومرشدهم.

٢٨٢١- تفيد أن الدعاء هو السبيل إلى الله تعالى.

٢٨٢٢- تفيد إظهارا لمقام النبي الكريم موسى عليه السلام، ومنزلته عند الله تعالى.

٢٨٢٣-تفيد إضافة الربوبية من قبل بني إسرائيل لموسى عليه السلام أن العزة له والذل لهم.

٢٨٢٤-تفيد أن القول إذا توافق عليه الجميع ينسب لهم وإن كان القائل واحد ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

٢٨٢٥- تفيد سوء أدب بني إسرائيل مع الله تعالى، حيث قالوا: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾فكأنه ليس ربًا لهم، فمن لم يعظم الله لن يعظم أمره.

٢٨٢٦- تفيد أن الجاهل دائما في غرور حتى في تعامله مع ربه ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا﴾حيث عظموا ذواتهم بهذه الصورة القبيحة أمام عظمة الله تعالى.

٢٨٢٧-تفيد اقرارهم بنبوة موسى عليه السلام وأنه رسول يوحى إليه مع كل هذا التعنت.

٢٨٢٨- يفيد ان الله يحب من الأمور أوسطها، والوسطية هي الحنفية وهي مطلوبة في جميع الأديان.

٢٨٢٩- تفيد استحباب اختيار الوسط في الأمور.

٢٨٣٠-تفيد أن الإنسان كلما شدد على نفسه شدد الله عليه.

٢٨٣١-تفيد أن النسخ يكون إلى التشديد عند التعنت كما حصل من بني إسرائيل، ويكون إلى التخفيف مع الطاعة والتسليم كما حصل مع هذه الأمة المرحومة.

٢٨٣٢-تفيد تأكيدا للهدي النبوي: « لا تشددوا فيشدد الله عليكم فإن قومًا شدَّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم...».

٢٨٣٣-تفيد أنه بالرغم من تأكيد الأمر لهم ﴿فَٱفۡعَلُواْ﴾إلا أنهم لم يمتثلوا الأمر، وإنما ازدادوا تعنتا.

٢٨٣٤- تفيد أن قبول الحق صعب في كل وقت إلا على أهله.

٢٨٣٥- تفيد بيانا لمنهج الأنبياء وأتباعهم مع الأوامر الإلهية، وبيانا لمنهج اليهود فهم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة:٦٩].

٢٨٣٦- تفيد تأكيدا لتعنت واستكبار بني إسرائيل وسوء أدبهم مع نبيهم ومرشدهم.

٢٨٣٧- تفيد أن الدعاء هو السبيل إلى الله تعالى.

٢٨٣٨- تفيد إظهارا لمقام النبي الكريم موسى عليه السلام، ومنزلته عند الله تعالى.

٢٨٣٩-يفيد إضافة الربوبية من قبل بني إسرائيل لموسى عليه السلام العزة له والذل لهم.

٢٨٤٠-تفيد أن القول إذا توافق عليه الجميع ينسب لهم وإن كان القائل واحد ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

٢٨٤١- تفيد سوء أدب بني إسرائيل مع الله تعالى، حيث قالوا:﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾فكأنه ليس ربًا لهم، فمن لم يعظم الله لن يعظم أمره.

٢٨٤٢- تفيد أن الجاهل دائما في غرور حتى في تعامله مع ربه ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا﴾حيث عظموا ذواتهم بهذه الصورة القبيحة أمام عظمة الله تعالى.

٢٨٤٣-تفيد اقرارهم بنبوة موسى عليه السلام وأنه رسول يوحى إليه مع كل هذا التعنت.

٢٨٤٤-تفيد التعريض بذم التكلف في السؤال.

٢٨٤٥- تفيد أن السؤال يكون فيما يلزم ولا يزاد عليه.

٢٨٤٦- تفيد إثبات القول لله تعالى.

٢٨٤٧- تفيد إشارة إلى تكريم بهيمة الأنعام.

٢٨٤٨-تفيد جمال اللون الأصفر المشرب بالحمرة الذي يميل للبياض.

٢٨٤٩- تفيد أن النفس تحب الجمال في كل شيء، حتى في البهائم.

٢٨٥٠- تفيد أن النفس تتأثر بما ترى من قبح أو جمال.

٢٨٥١- تفيد حافزًا للبحث عن تأثير الألوان على الحالة النفسية للإنسان.

٢٨٥٢- تفيد ندرة اللون الأصفر في البقر، فبني إسرائيل فتشوا وتعبوا حتى وجدوها عند امرأة عجوز.

٢٨٥٣- تفيد أن بني اسرائيل لما تعنتوا شدد الله عليهم فقال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ شدد عليهم مرة أخرى في اللون: أولًا حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ﴾ فخرج بهذا ما عدا الصفرة من الألوان. وهذا نوع تضييق؛ ثانيًا بكونها: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾؛ و "الفاقع" يعني الصافي؛ والمعنى: أنه ليس فيه ما يشوبه، ويخرجه عن الصفرة؛ وقيل: معنى ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي: شديد الصفرة، وهو كلما كان صافيًا كان أبين في كونه أصفر؛ ثالثًا بكونها: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ يعني ليست صفرتها صفرة توجب الغم؛ أو صفرتها مستكرهة؛ بل هي صفرة تجلب السرور لمن نظر إليها؛ فصار التضييق من ثلاثة أوجه: صفراء؛ والثاني: فاقع لونها؛ والثالث: تسر الناظرين.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٠-٧١].

أولًا: قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

٢٨٥٤- تفيد تعنت واستكبار بني إسرائيل وسوء أدبهم مع نبيهم ومرشدهم المستمر.

٢٨٥٥- تفيد أن الدعاء هو السبيل إلى الله تعالى.

٢٨٥٦- تفيد إظهارا لمقام النبي الكريم موسى عليه السلام ومنزلته عند الله تعالى.

٢٨٥٧- يفيد إضافة الربوبية من قبل بني إسرائيل لموسى عليه السلام العزة له والذل لهم.

٢٨٥٨-تفيد أن القول إذا توافق عليه الجميع ينسب لهم وإن كان القائل واحد ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾.

٢٨٥٩- تفيد أن الفرد يتأثر بالجماعة، ويقول بقولهم،وإن لم يقل فإن قولهم يشمله ما دام قد رضي به.

٢٨٦٠- تفيد سوء أدب بني إسرائيل مع الله تعالى، حيث قالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ فكأنه ليس ربا لهم، فمن لم يعظم الله لن يعظم أمره.

٢٨٦١- تفيد بيانًا لطباع اليهود وتأكيدًا لصفة الوقاحة والجرأة التي لديهم تجاه أوامر الله والانبياء.

٢٨٦٢- تفيد تحذير ربط الطاعة بشروط يشترطها العبد.

٢٨٦٣- تفيد تأكيدا على رحمة موسى ﷺ لقومه واحتماله لوقاحتهم وسوء أدبهم.

٢٨٦٤- تفيد اقرارهم بنبوة موسى ﷺ وأنه رسول يوحى إليه مع كل هذا التعنت.

٢٨٦٥- تفيد التعريض بذم التكلف في السؤال.

٢٨٦٦- تفيد أن من ضيق على نفسه بكثرة السؤال ضيق الله عليه.

٢٨٦٧- تفيد توجيها إلى التدقيق في الكلام ودقة الوصف للأشياء.

٢٨٦٨- تفيد أن السؤال يكون فيما يلزم ولا يزاد عليه.

٢٨٦٩- تفيد أن صبر الداعية على وقاحة المدعوين ومماطلتهم وسوء أدبهم؛ يجبرهم بالنهاية على الاستسلام للحق والاعتراف به.

٢٨٧٠- تفيد احتجاج الناس في حال عدم الاهتداء بعدم هداية الله لهم حجة باطلة وماضية في كل أمة وعصر.

٢٨٧١-تفيد أن طريقة الحوار في هذه الآيات وهذه المطالبات تذكرنا بما يخوض فيه كل من لا يبتغي الهداية ولا الاستجابة.

٢٨٧٢- تفيد رحمة الله تعالى بعباده وأنه ﷻ لا يعجل لهم العقوبات وإنما يرفق بهم، وإلا فإن بني إسرائيل يستحقون العقوبة بمجرد الاعتراض الأول.

٢٨٧٣- تفيد أن دين الله يسر، والتعمق في سؤال الأنبياء وغيرهم من العلماء مذموم، نسأل الله العافية.

٢٨٧٤-تفيد كذب أهل الباطل وتعنتهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾أي: اشتبه علينا البقرة المطلوبة؛ وفي الحقيقة أنه ليس في هذا اشتباه؛ إذ ذُكر لهم أنها بقرة، وذكر لهم سنها؛ وذكر لهم لونها؛ فأين التشابه؟! لكن هذا من عنادهم، وتعنتهم، وتباطئهم في تنفيذ أمر الله.

٢٨٧٥-تفيد أن هدي الله لابد أن يقبل؛ لأن فيه السعادة في الدارين والذي لا يقبله يظلم نفسه.

٢٨٧٦- تفيد إثبات المشيئة لله جل وعلا لقولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٢٨٧٧- تفيد أن الهداية بمشيئة الله سبحانه، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[الأنعام: ٣٩].

٢٨٧٨- تفيد فائدة وفضل الاستثناء بقول: " إن شاء الله "، إذ لو لم يقل اليهود: إن شاء الله لمهتدون ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[الكهف: ٢٣ - ٢٤].

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

٢٨٧٩- تفيد إثبات القول لله تعالى.

٢٨٨٠- تفيد تكليم الله سبحانه لموسى وتشريفه بذلك لقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾.

٢٨٨١- تفيد أهمية الحرث وإثارة الأرض في نجاح الزراعة.

٢٨٨٢- تفيد بيان نعمة عظيمة على أجيال بني آدم بتذليل وتسخير هذه البهائم والانعام مع قوتها لهم في إثارة الأرض وسقي الحرث وغير ذلك.

٢٨٨٣- تفيد أن استعمال الجمال والبقر في الحراثة والسقي معروف عند الأمم قديما، ولا زال في بعض البلدان.

٢٨٨٤- تفيد أنه من الشائع في طباع الناس: أن يعجبوا بالحيوية والاستواء ويسروا، وأن ينفروا من الهزال والتشويه ويشمئزوا.

٢٨٨٥- تفيد تشديد الله عليهم، حيث أمرهم بذبح بقرة موصوفة بهذه الصفات التي يعز وجودها في بقرة واحدة؛ وذلك بأن تكون متوسطة في السن لا فارضًا ولا بكرًا؛ وأن تكون صفراء فاقعًا لونها تسر الناظرين؛ وألا تكون ذلولًا تثير الأرض وتسقي الحرث؛ وأن تكون مسلَّمة ليس فيها شيء من العيوب.. وألا يخالط لونها لون آخر؛ لقوله: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾[البقرة: ٧١].

٢٨٨٦- تفيد استهتار بني إسرائيل، وهي صفة لازمة لهم وهو ديدنهم، حيث قالوا: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّ﴾[البقرة:٧١]؛ فمقتضى كلامهم أنه أولًا أتى بالباطل، وكأنهم يقولون: الآن رضينا بوصف هذه البقرة، ثم قاموا بذبحها على مضض؛ وكل هذا يدل على استهتارهم بأوامر الله ﷻ.

٢٨٨٧- تفيد أنه ينبغي تحاشي الكلمات التي قد يفهم منها انتقاص الأنبياء مثل قولهم: الآن جئت بالحق، إذ مفهومه أنه ما جاءهم بالحق إلا في هذه المرة من عدة مرات سبقت!.

٢٨٨٨- تفيد أن تكرار السؤال في الأمر الواحد يؤدي إلى السآمة، قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشو: «وإنما لم يعتذروا في المرتين الأوليين واعتذروا في الثالثة، لأن للثلاثة في التكرير وقعًا من النفس في التأكيد والسآمة وغير ذلك، ولذا كثر في أحوال البشر وشرائعهم التوقيت بالثلاثة».

٢٨٨٩- تفيد أن التشكك والتردد في أمر الله ليس من صفات المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

٢٨٩٠- تفيد أن بني إسرائيل يقولون ما لا يفعلون.

٢٨٩١- تفيد بيانًا لما كان عليه قوم موسى من بني إسرائيل من العجرفة وسوء الأخلاق، ليتجنب مثلها المسلمون.

٢٨٩٢- تفيد أن الإنسان إذا لم يقبل هدى الله ﷻ من أول مرة فإنه يوشك أن يشدد الله عليه.

٢٨٩٣- تفيد حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب تسليم أمره أو نهيه ولو لم تعرف فائدة الأمر والنهي وعلتهما.

٢٨٩٤- تفيد الندب إلى الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد في الأمور، فإن التنطع في الدين والإجحاف في السؤال مما يقتضي التشدد في الأحكام، ولذلك نهى الله هذه الأمة عن كثرة السؤال.

٢٨٩٥- استدل بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتى تعينت أو تم تقييدها بعد الإطلاق على صحة السلم في الحيوان كما هو مذهب مالك والأوزاعي والليث والشافعي وأحمد وجمهور العلماء سلفا وخلفا بدليل ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: «لا تنعت المرأة المرأة لزوجها كأنه ينظر إليها»، وكما وصف النبي ﷺ إبل الدية في قتل الخطأ، وشبه العمد بالصفات المذكورة بالحديث. وقال أبو حنيفة والثوري والكوفيون: لا يصح السلم في الحيوان لأنه لا تنضبط أحواله، ذكره ابن كثير رحمه الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

٢٨٩٦- تفيد تذكيرا لبني إسرائيل بنعمة الله عليهم، وذلك ببيان وإظهار أمر واقع، وحدث جلل.

٢٨٩٧- تفيد توبيخ الله ﷻ لليهود في قتل أحد أسلافهم قريبه ليرثه فاختصم في شأن القتل كل جماعة تنفي أن يكون القاتل منها.

٢٨٩٨- تفيد أن قتل النفس من أعظم الجرائم، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾[المائدة: ٣٢].

٢٨٩٩- تفيد فضحا لأخلاق يهود وأنهم في حقيقتهم مختلفون متخاصمون، كما قال تعالى: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾[الحشر: ١٤].

٢٩٠٠- تفيد أنهم تماطلوا حتى لا يظهر الحق.

٢٩٠١- تفيد بيان ما كان عليه اليهود من المكر والاحتيال والخداع، وأن هذه الصفات الذميمة متأصلة فيهم ولا تنفك عنهم لخبث طويتهم وسوء مقاصدهم.

٢٩٠٢- تفيد إقامة الحجة على بني إسرائيل بمشاهدتهم للآيات عيانا.

٢٩٠٣- تفيد تعريضا بجحود اليهود رغم كل الآيات والبينات التي شاهدوها عيانا.

٢٩٠٤- تفيد تيسير الله للرسل من الأدلة الجنائية ما لم يتوفر لأكثر أجهزة الشرطة تطورا وتقدما.

٢٩٠٥- تفيد قبول شهادة المقتول، وأنى لنا أن نجدها، فتكون دليلا على قوة شهادة المحتضر.

٢٩٠٦- تفيد بيانًا وإظهارًا لقدرة الله تبارك وتعالى على كل شيء، حيث أظهر ما يكتمه القوم وفضح القاتلين.

٢٩٠٧- تفيد أن الله لا يخفى عليه شيء، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

٢٩٠٨- تفيد أن الله ﷻ لا بد أن يظهر الحق عاجلا كان أم آجلا.

٢٩٠٩- يفيد ورود لفظ الجلالة [الله] تعريض بالنذارة لمن يكتم الحق.

٢٩١٠- يفيد التعبير بالاسم دلالة على الديمومة أي: كلما أخفيتم سيفضحه الله تعالى، كلما أوقدتم من حرب أطفأها الله.

٢٩١١- تفيد أنه ينبغي أن لا تخفي من أعمالك وأقوالك ونواياك إلا ما يسرُّك أن تراها يوم القيامة.

٢٩١٢- تفيد أن الباطل مهما أخفيته فلابد أن يظهره الله في فلذات لسانك.

٢٩١٣- تفيد أن أهل الباطل يجمعهم طمس الحقائق.

٢٩١٤- تفيد أن السعي لطمس آثار الجريمة ورميها على الآخرين من صفات اليهود القديمة.

٢٩١٥- تفيد أن الله تعالى عليم ومحيط بكل شيء لا تخفى منه خافية في الأرضي ولا في السماء.

قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

٢٩١٦- تفيد روعة القرآن الكريم، وتفرده في عرض قصصه، حيث ختم بما يكشف عن أسرارٍ أولها: قال العلماء: حق هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٣] أن تتقدم قبل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧]، وإنما أخرها الحق تعالى ليتوجه العتاب إليهم مرتين على ترك المسارعة لامتثال أمر نبيهم، وعلى قتل النفس وما تبعه من الآية العظيمة، ولو قدمها لكانت قصة واحدة بتوبيخ واحد، كما أنه جاء الكلام بصورة تأخذ مجامع القلوب، وتحرك الفكر للنظر، والنفس للاعتبار، فبدأ بوسيلة الخلاص وآية الاعتبار وهي ذبح البقرة بما يشوق السامع إلى معرفة ما وراءها حيث لم يسبق في الكلام بيان لسبب قول موسى لقومه أن يذبحوا بقرة.

٢٩١٧- تفيد أن بيان الأمور الخفية التي يحصل فيها الاختلاف، والنِّزاع، من نعم الله ﷻ؛ يعني مثلًا: إذا اختلفنا في أمور، وكاد الأمر يتفاقم، ويصل إلى الفتنة، ثم أظهر الله ما يبينه فإن هذا من نعم الله سبحانه وتعالى علينا؛ لأنه يزيل بذلك هذا الخلاف، وهذا النِّزاع.

٢٩١٨- تفيد أن كشف حال من قتل هذا القتيل- مع أنه ليس أول قتيل ضل دمه في الأمم- إكرامًا لموسى عليه السلام أن يضيع دم في قومه وهو بين أظهرهم كما فيها تقوية ليقين القوم برسولهم موسى عليه السلام.

٢٩١٩- تفيد صدق نبوة الرسول محمد ﷺ وتقريرها أمام اليهود، إذ يخبرهم بأمور جرت لأسلافهم لم يكن يعلمها غيرهم؛ وذلك من باب إقامة الحجة عليهم.

٢٩٢٠- تفيد أن الله سبحانه وتعالى يخرج ما يكتمه أهل الباطل، ويبينه للناس رحمة بهم بطرق متنوعة.

٢٩٢١- تفيد إثبات القول لله تعالى.

٢٩٢٢- تفيد تحقيقًا لسنة الأخذ بالأسباب.

٢٩٢٣- تفيد أن هذه الآية من آيات الله ﷿، وهي أن تكون البقرة سببًا لحياة هذا القتيل فهي معجزة أيد الله بها موسى؛ إذ لا رابطة في المعقول بين أن تُذبح البقرة، ويضرب القتيل ببعضها فيحيي.

٢٩٢٤- تفيد أن القرآن جاء لبيان ما يحتاج إلى بيان وتوضيح، مما يتوقف عليه صحة الإيمان، أو ما نحن متعبدون به، فهنا لم يبين العضو الذي ضرب به، ومن التكلف عناء بالبحث عنه، وهو أمر لا يترتب عليه شيء، وإلا لبينه الله أتم بيان، وشأن هذا العضو شأن الشجرة التي أكل منها الأبوان، وغيره كثير.

٢٩٢٥- تفيد أن المبهم في أمور متعددة أيسر على المكلف من المعين؛ وذلك إذا كانوا قد أمروا أن يضربوه ببعضها فقط؛ فيكون في هذا توسعة على العباد إذا خيروا في أمور متعددة. والله أعلم.

٢٩٢٦- تفيد مثالا مشاهدا على كيفية إحياء الموتى.

٢٩٢٧- تفيد أن تنفيذ أمر الله وإن كان يسيرا، فإنه يحقق الغاية المرجوة منه وإن كانت عظيمة.

٢٩٢٨- تفيد دليلا عقليا على إثبات البعث؛لأن بعض الناس شاهدوا ذلك بأم أعينهم كما في هذه الآية.

٢٩٢٩- تفيد بيانًا لعظمة قدرة الله في إحياء الموتى، فإن من قدر على إحياء نفس واحدة، قادر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص، فأشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من أحيا نفسا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس، وقد صرح بهذا في قوله: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[لقمان: ٢٨].

٢٩٣٠- تفيد أن إحياء الموتى بيد الله تعالى وحده وليس بيد أحد غيره.

٢٩٣١- تفيد أن كل الموتى من جميع المخلوقات لا يحييها إلا الذي أنشأها أول مرة.

٢٩٣٢- تفيد بيانا وكشفا لقبح يهود وتعنتهم وطبيعتهم الجدلية، لأن الله ﷻ يريهم بأعينهم ما هم مترددون وشاكون فيه.

٢٩٣٣- تفيد أن من دأب بني إسرائيل الجحود بالمعجزات الباهرات؛ وذلك لما حملوه من الصفات القبيحة والسجايا الخسيسة.

٢٩٣٤- تفيد بيان لطف الخالق الكريم بعباده مهما بلغوا من السفه والسوء، لعلهم يعتبروا بالآيات ويعقلوها فيؤمنوا ويطيعوا.

٢٩٣٥- تفيد أن ما تراه مستحيلًا هو في جنب قدرة الله من أيسر الأمور.

٢٩٣٦- تفيد أن نتائج طاعة أوامر الله عظيمة هذا بعض أمثلتها، فلا تتوان عن فعل الطاعات، فإنك لا تدري عظمة النتائج، إنها الحياة!.

٢٩٣٧- تفيد أن العاقل من يرى الآيات فيؤمن بها.

٢٩٣٨- تفيد أن هذه القصة مضت ومات أصحابها، ولكن ما زالت العبرة منها حية، وكذلك قصص القرآن.

٢٩٣٩- تفيد أن آيات الله تخاطب العقول.. وإن جاءت بطريق المعجزات؛ لأن على العقل أن يقرأ ما بين سطور المعجزات، وهذا نوع من أنواع التدبر لنوع من أنواع الآيات.

٢٩٤٠- تفيد أنه بالفهم عن الله يحيا القلب الميت، ويهتدي العقل الحائر.

٢٩٤١- تفيد أن آيات إحياء الموتى هي نفسها آيات إحياء القلب، وإيقاظ العقل.

٢٩٤٢- تفيد أن بعض الأوامر الإلهية تعبدية خالصة، ما عليك حيالها إلا الإذعان، ولو لم تعقلها.

٢٩٤٣- تفيد أن من عطّل عقله، ولم يتفكر به في آيات الله المرئية فقد عارض مراد الله!.

٢٩٤٤- تفيد إعمال العقل في عظيم قدرته ﷻ وأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأن أمره كلمح بالبصر فله سبحانه المشيئة التامة والقدرة النافذة تبارك ربنا وتعالى.

٢٩٤٥- تفيد دليلا على أن ترك المعاصي يدل على عقل الإنسان؛ وإنما سمي العقل لأنه يعقل صاحبه عمَّا يضره.

٢٩٤٦- تفيد إرشاد الإنسان إلى إعمال عقله في النظر إلى الآيات ليعقل ما دلت عليه.

[فائدة] في حكم مسألة ما إذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فإن كان ثَمَّ [لوث] على إنسان – واللوث: أن يغلب على القلب صدق المدعي، بأن اجتمع جماعة في بيت أو صحراء فتفرقوا عن قتيل يغلب على القلب أن القاتل فيهم، أو وجد قتيل في محلة أو قرية كلهم أعداء للقتيل لا يخالطهم غيرهم، فيغلب على القلب أنهم قتلوه – فادعى الولي على بعضهم، يحلف المدعي خمسين يمينًا على من يدعي عليه، وإن كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم، ثم بعدما حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعوا قتل خطأ، وإن ادعوا قتل عمد فمن ماله، ولا قود على قول الأكثرين وذهب بعضهم إلى وجوب القود، وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك وأحمد، وإن لم يكن على المدعى عليه لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه ثم هل يحلف يمينًا واحدة أم خمسين يمينًا؟ فيه قولان: [أحدهما] يمينًا واحدة كما في سائر الدعاوي، [والثاني] يحلف خمسين يمينًا تغليظًا لأمر الدم، وعند أبي حنيفة — رحمه الله -: لا حكم للوث [ولا يزيد بيمين المدعي] وقال: إذا وجد قتيل في محلة يختار الإمام خمسين رجلًا من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا عرفوا له قاتلًا، ثم يأخذ الدية من سكانها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

٢٩٤٧- تفيد الآية مع السياق الذي وردت فيه أن الداء العضال – قسوة القلب – عقوبة لتأخير الاستجابة عن وقتها، ولكثرة معارضة الوحي بالعقل، ومن سلم من هاتين الآفتين فهو على خير.

٢٩٤٨- تفيد بيان قسوة قلوب اليهود المعرضين عن قبول الحق، والتي لا تتأثر بالبراهين القاطعة الدالة على عظمة الله تعالى وقدرته.

٢٩٤٩- تفيد التحذير من قسوة القلب، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر:٢٢]. ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦]. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]، وقال النبي ﷺ: [إن أبعد القلوب عن الله القلب القاسي].

٢٩٥٠- تفيد لؤم بني إسرائيل الذين جاءتهم هذه النعم، ورأوا هذه الآيات، ومع ذلك فهم لم يلينوا للحق؛ بل قست قلوبهم على الرغم من ظهور هذه النعم والآيات، فاليهود من أقسى البشر قلوبًا إلى اليوم، إذ كل عام يرمون البشرية بقاصمة الظهر وهم ضاحكون.

٢٩٥١- تفيد أن القلب هو أهم الأعضاء في البدن؛ لذلك نسب الشر والقسوة إليه. وفي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»، وحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم واجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم واعمالكم». وحديث: « التقوى هاهنا؛ وأشار إلى صدره» قالها ثلاث مرات.

٢٩٥٢- تفيد مكانة القلب وأثره في الهداية عندما يكون قابلًا للتأثر بالآيات والمواعظ.

٢٩٥٣- تفيد أن من علامات الشقاء: قساوة القلوب، وفي الحديث: "من لا يَرحم لا يُرحم".

٢٩٥٤- تفيد أن الإعراض عن أمر الله تعالى، والاستكبار والتعنت يورث قسوة القلب، والاستجابة لأمره يورث عكس ذلك، فقسوة القلب نتيجة حتمية لانحراف المنهج.

٢٩٥٥- تفيد أن القلب الذي لا يعمر بالإيمان لا حياة فيه.

٢٩٥٦- تفيد أن المعاصي والمخالفات، والإعراض عن الآيات من أسباب قسوة القلب.

٢٩٥٧- تفيد أن قسوة القلب بعد وجود أسباب لينه سبب للمقت والختم والطبع على القلب، وهذه أمور وجدت في بني إسرائيل؛ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة:١٣]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

٢٩٥٨- تفيد أن القلب يلين بالتوحيد والإيمان والطاعة، ويقسو بالشرك والمعصية.

٢٩٥٩- تفيد أن القلب القاسي لكي يلين إما أن يلين من خشية الله بالعلم والذكر والموعظة، وإما أن يتفجر بهول فاجعة أو نازلة، وإما أن تشققه حوادث الدهر ومصائبه المتتالية فيعود إلى ربه رغبة في النجاة. وكل ذلك بإرادة الله ورحمته.

٢٩٦٠- تفيد النهي عن التشبه بأهل الكتاب في قسوة القلوب ونحوها من صفاتهم الذميمة، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

٢٩٦١- تفيد أن الحجارة أقسى شيء يضرب به المثل في القسوة حتى إنّها أقسى من الحديد؛ إذ إن الحديد يلين عند النار، والحجارة تتفتت، ولا تلين.

٢٩٦٢- تفيد بلاغة القرآن في تصور المعاني من خلال تشبيه المعقول بالمحسوس في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾، لأن الحجارة أمر محسوس؛ والقلب قسوته أمر معقول؛ فهو أمر معنوي شبه بالأمر الحسي؛ وهذا من بلاغة القرآن تشبيه المعقول بالمحسوس حتى يتبين المعنى بصورة دقيقة.

٢٩٦٣- تفيد أن التشبيه بالحجارة وبيان أنها خاضعة لمولاها وتؤدي مهمات بالكون تسهم في بنائه وتوازنه، ينفي عن الحجارة صفة تعظيمها واتخاذها أصناما تعبد من دون الله، كما كان منتشرا.

٢٩٦٤- تفيد بياناً لقدرة الله سبحانه وتعالى، حيث جعل هذه الحجارة الصماء تتفجر منها الأنهار؛ وقد كان موسى عليه السلام يضرب بعصاه الحجر، فينبجس، ويتفجر عيوناً بقدرة الله تعالى.

٢٩٦٥- تفيد أن ما تشاهده العين قد لا يكون الصورة الحقيقية، فقد يكون القلب اللحمي أقسى من الصخر الحجري.

٢٩٦٦- تفيد آية من آيات النبوة؛ لأنه وجد بالدراسات الحديثة في الجيولوجيا ونحوها أن الماء ينبع من الأحجار أي تتشقق فيخرج الماء منها.

٢٩٦٧- تفيد أن الحجارة خير من قلوب هؤلاء بأن فيها خيرًا؛ فإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار؛ ومنها ما يشقق، فيخرج منه الماء؛ ومنها ما يهبط من خشية الله؛ وهذه كلها خير، وليس في قلوب هؤلاء خير.

٢٩٦٨- تفيد أن هذه المخلوقات كالأحجار مع قوتها وشدتها تخشى الله تعالى وتخافه ﴿مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]. فسبحان الله ما أقسى قلوب بعض بني آدم.

٢٩٦٩- تفيد أن الحجارة خلق من خلق الله تؤدي دورها بالحياة الذي أراده لها موجدها سبحانه.

٢٩٧٠- تفيد أن كل المخلوقات خاضعة لله تعالى.

٢٩٧١- تفيد أن الجمادات تعرف الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ وهذا أمر معلوم من آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الجمعة: ١]، وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[الإسراء: ٤٤].

٢٩٧٢- تفيد أن هذه الجمادات من أهل التمييز والمعرفة حيث وصف الله تعالى بعض الحجارة بالخشية، وبعضها بالإرادة، ووصف جميعها بالنطق والتحميد والتقديس والتأويب والتصدّع، وكل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز والمعرفة. قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[الإسراء: ٤٤]، ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ﴾[سبأ: ١٠]، وفي الحديث الصحيح: "إني لأعرف حجرًا كان يسلم عليّ قبل أن أبعث وأنه بعد مبعثه ما مرّ بحجر ولا مدر إلا سلم عليه، وفي الحجر الأسود إنه يشهد لمن يستلمه". وفي الحديث عن أحد: "أن هذا جبل يحبنا ونحبه". وفي حديث: "تسبيح صغار الحصى بكف رسول الله ﷺ" وقد دلت هذه الجملة وأحاديث أخر على نطق الحيوانات والجمادات، وانقياد الشجر وغير ذلك. فلولا أنه تعالى أودع فيها قوة مميزة، وصفة ناطقة، وحركة اختيارية، لما صدر عنها شيء من ذلك، ولا حسن وصفها به. وإلى هذا ذهب مجاهد وابن جريج وجماعة.

٢٩٧٣- تفيد أن لكل مخلوق لغته في التسبيح والذكر، فيا أيها الإنسان! لست وحدك العابد في الكون.

٢٩٧٤- تفيد أنه لو كان للجبل الذي فوق رؤوسهم قد نتق أن ينطق، أو للحجر الذي بين يدي نبيهم قد تصدع، أن يصدع؛ لقال بلسان فصيح: إن الحجر قد يكون أرق من أرق بضعة عند البشر.

٢٩٧٥- تفيد بيانا لعظمة الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ والخشية هي الخوف المقرون بالعلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]؛ فمن علم عظمة الله سبحانه وتعالى فلابد أن يخشاه.

٢٩٧٦- تفيد إشارة إلى أن العباد الطائعين يخشون الله ويخضعون له سبحانه.

٢٩٧٧- تفيد تعريضًا باليهود أنهم لم يقدروا الله حق قدره ولم يعظموه ولم يخشوه حق خشيته.

٢٩٧٨- تفيد سعة علم الله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

٢٩٧٩- تفيد الجزاء على الأعمال وما يدعو إلى المراقبة وإحسان العمل لله جل وعلا.

٢٩٨٠- تفيد أن من أساليب الحوار مع المعاند أن تبدأ معه بالأمور البدهية التي يدركها بحواسه، ثم تنقله إلى الأمور المعنوية التي لا يدركها بالحوار، فذلك أقوى في إقامة الحجة عليه وإن لم يسلم بذلك. يستفاد هذا من الآية الكريمة؛ حيث ذكر الله تعالى لتحول الحجارة من القسوة إلى اللين ثلاث حالات، فبدأ بالحالتين المحسوسة المرئية، ثم ذكر الثالثة الشرعية التي هي مكمن العبرة، ومحل التشبيه والمقارنة.

وبهذا تم الحزب الأول من القرآن الكريم بتاريخ ١٤٣٨/٣/٣ هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور أحمد رشاد